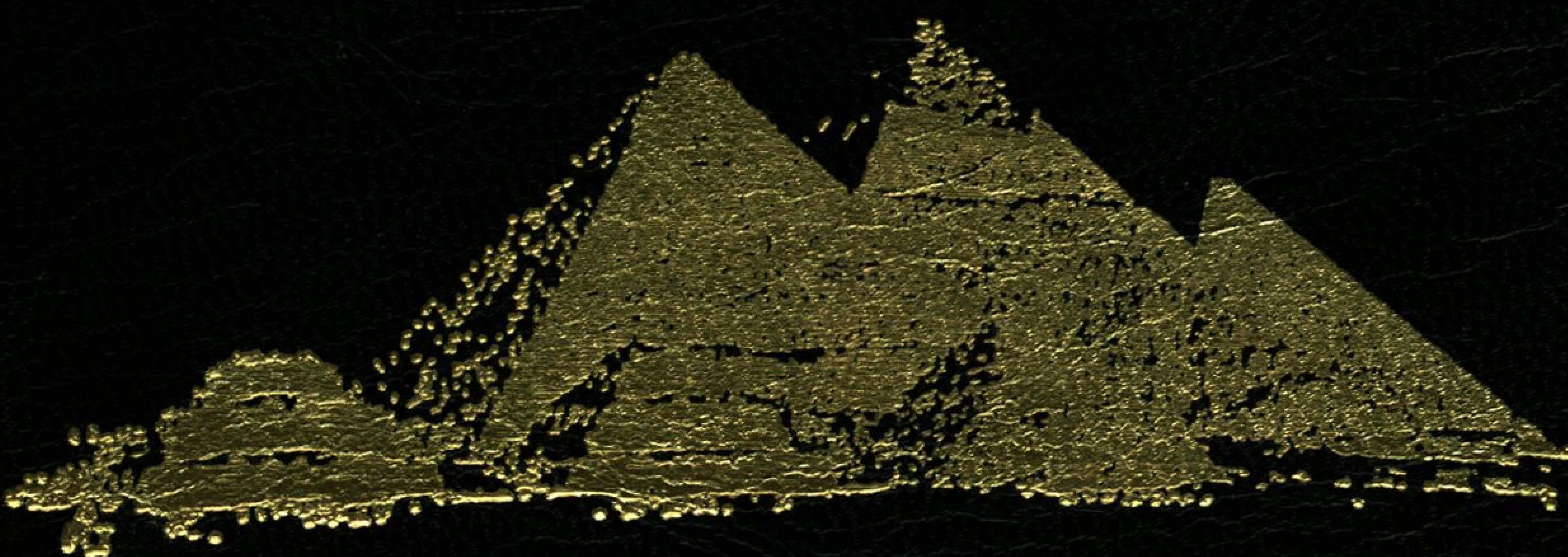


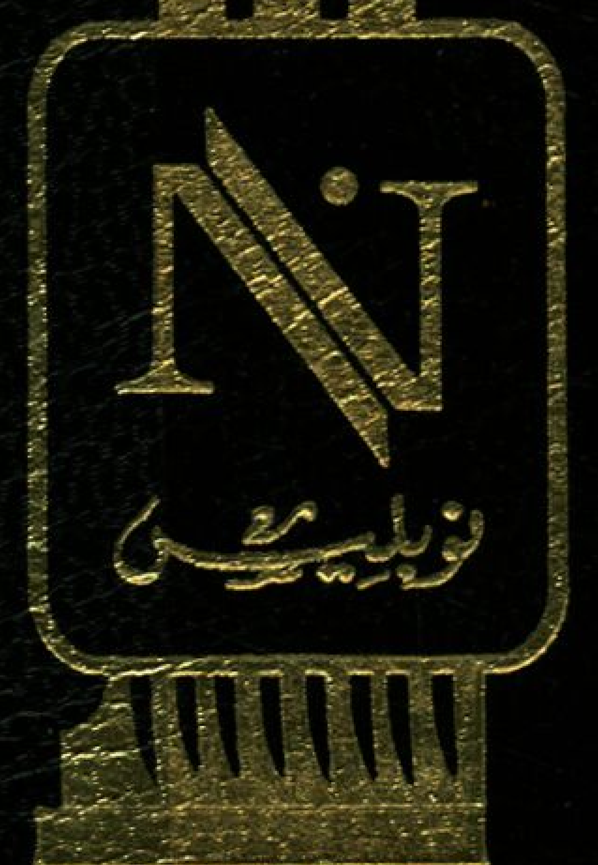
موسوعة

جغرافية مصر وتاريخها









موسوعة

جغرافية مصر وتاريخها

(٢٤)

السير وليم جارستن

موسوعة

جغرافية مصر وتاريخها

المجلّد الرابع والعشرون

الدليـــــل
في موارد أعالي النيل
ـ ١ ـ

دار نوبليس

نشر هذا الكتاب بعد أخذ حق النشر من مكتبة مدبولي

اسم الموسوعة: موسوعة جغرافية مصر وتاريخها

اسم الكتـــاب: الدليل في موارد أعالي النيل - ١ -

المؤلـــــف: السير وليم جارستن

قياس الكتاب: ١٧ × ٢٤

عدد الصفحات: ٢٠٠

عدد صفحات الموسوعة: ٥٧٨٤

مكان النشر: بيروت

دار النشر والتوزيع: دار نوبليس

تلفاكس: ٧٥ ٣٤ ٥٨ (١) ٩٦١

هاتـف: ٢١ ١١ ٥٨ (١) ٩٦١ - ٢١ ١١ ٥٨ (٣) ٩٦١

صندوق بريد: ٧٠ ٦٩ ١٦ بيروت لبنان

بريد إلكتروني: info@nobilis-int.com

الطبعة الأولى: ٢٠١٢

EAN 9786144031353

ISBN 978-614-403-135-3

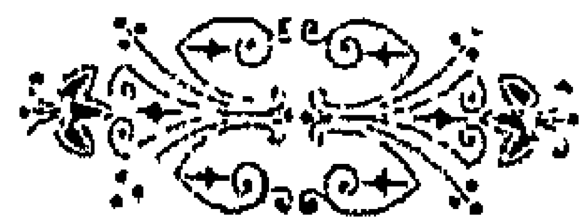
فهرست الكتاب

الملحقات

جدول الرسوم الشمسية

الرسوم التي تضمنتها مقالة المستر ديبوي في بحيرة تسانا وانهار السودان الشرقي

جدول الرسوم والقطاعات



تمهيد

وضعت كتابي هذا وجُلّ قصدي ان اسرد فيهِ ماجريات رحلتي الاخيرة في منطقة البحيرات في اواسط القارة الافريقية غير اني رأيت ان اضمنّهُ ايضاً ما استوعيتهُ في خمسٍ من السنين متوالياتٍ من الحقائق والقضايا الاولية فيما يختص ببحر الجبل مشيراً فيهِ الى ما تحريته من المعلومات النافعة في المشاريع التي توضع في مستقبل السنين لتعديل شؤون النيل الابيض وألحقتهُ بنبذةٍ لجناب المستر ديبوِي احد مفتشي الريّ في الديار المصرية أورد فيها حادثات رحلته في انحاء بحيرة تسانا وانهار السودان الشرقي[1] . قلتُ ومُذ رَقَمْتُ تقريري الاخير[2] الى يومنا قد اتّسع العلم كثيراً بمقدار ما ينصرف في النيلين الازرق والابيض من المياه في مَدَار السنة . طالع في هذا الكتاب فَصْل « تصرف النيل[3] » تتبينْ حقائق لم تتضمنها الكتب الاخرى المطبوعة في هذا الشأن . فلقد زوّدتنا مراقبة ماء النهرين في نحو عامين معرفة ما كان ينصرف منهُ في

---

(١) وردت هذه البحيرة في الكتاب باسم بحيرة تسانا وليس « تانا » كما قالهُ بعضهم ولما كانت الاراء متضاربة في ذلك رأيت ان اطلب الى السِر جُون هارنُتُن سفير الدولة الانجليزية في امبراطورية الحبشة ايقافي على الحقيقة فلبى جنابه طلبي واوعز الى وكيلهِ المستر كلارك فبعث اليَّ بكتاب من مدينة أدِس أبابا في ٢٩ اغسطس سنة ١٩٠٣ يقول فيهِ « ان اصل الكلمة في متن اللغة الامهارية « تسانا » وهي واقعة في مقطعين « تسا » و « نا » ولو ان كثيرين من الاحباش يقولون « سانا »

(٢) انظر الكتاب الازرق الثاني الذي اصدرته نظارة الخارجية الانجليزية عن البلاد المصرية في عام ١٩٠١

(٣) كلمة اطلقها القوم على مقدار ما يجتاز من ماء النيل او ماء احدى الترع عند نقطةٍ مفروضة في مدة معينة فأجْرَيتُ في هذه الترجمة على عِلاّتها وهم يقولون في جمعها « تصرّفات » (المعرّب)

كل شهر من شهور تلك المدة وكذا ابلغتنا الاسبار[١] التي بوشرت في عامي ١٩٠٢و١٩٠٣ امام المَسَاك[٢] وخلفه مقدار ما يطلقهُ بحر الجبل من الماء إبَّان فيضهِ[٣]. وهذه المراقبات او الأَرصاد احدثت تعديلاً اكبر في المشاريع التي عُرِضت في عام ١٩٠١ لاصلاح أعالي النيل . اذاً ليس هذا الكتاب بمنزلة رحلةٍ ادوّنها فان البلاد التي جُبْتُها قد وصفها كثيرون غيري أَبْيَن مني وهم من اكابر الكتاب كالمستر جراي جُنْصُن مثلاً فان كتابهُ «مستعمرة أُغَندا» لم يترك شاردة في هذا المعنى الاّ اوعاها واَثبتها . فما كتابي الا كتاب فنيّ دوَّنت فيهِ أنباءً عن حوض النيل نَسَّقتُها تنسيقاً ملائماً اقصد بذلك التسهيل لاستيعاب المسائل والحقائق المختصة بمياه النيل على اني قد ادَّت بي الضرورة في مواضع الى ان آتي على وصف البلاد التي جُزْتها ولكني عند اسهابي الكلام على نهر من الانهار المديدة كان يتعذَّر عليَّ ان اتحاشى التكرار والاعادة راغباً في ألاّ أُغفل نبأً قد يكون منهُ في مستقبل الايام فائدة وجدْوى ولو اني بذلك قد تجاوزت وافرطت . ولما كانت بغيتي الكلام على غدير النيل أي حَوْضهِ كاملاً غير مجزوءٍ بقدر ما استطيع الى ذلك سبيلاً فقد جمعت اقوال الروّاد والمكتشفين في المنطقة التي لم يتيسر لي الأَخذ اليها وضممتُها الى اقوالي مشيراً الى المؤلفات التي اقتبست منها تلك الاقوال ولهذا الغرض عينهِ نقلت ايضاً من تقريري السابق ما قلتهُ في المَسَاكات المعروفة عند أَناسيّ النيل الاعلى «بالسَدّ»

---

(١) جمع سَبر مصدر سَبَر النهرَ اذا جسَّهُ وامتحنهُ ليتعرَّف غورهُ (المعرّب)

(٢) المَسَاك مكان من النهر تتراصف اليهِ حُطَامة الاغصان ورُفَاض الحطب والعشب وغيرها فتحبس ماءهُ وتعوق سيرهُ ويعرف بالسد (المعرّب)

(٣) تولّى هذه الأَسبار الشهرية المهندسون برُنْ وهُيوم وبدْزِل ووُدْ وهم من ادارة عموم المساحة واما أسبار اطلاق المساكات وانتزاعها فتولاها المستر كَرَيج وهو مهندس في تلك الادارة ايضاً

وما دوّنتهُ في موارد النيل الابيض مع شيء من التنقيح والتعديل بحسب ما اتصل بي من الانباء الحديثة . ولم اذكر تعهُّدي مستعمرة افريقيا الشرقية والوادي الكبير لاني لم أَلبث في تلك الارجاء ذات الشأن الا زمناً يسيراً وكانت وجهتي الرئيسة مراحل النيل ومناطق حائر مائه[١]

هذا وليُعلَم اني لم اتمكن من تسطير هذا الكتاب الاَّ في أُويقات الفراغ من عملي بنظارة الاشغال العمومية ولذلك انا التمس المعذرة عن كل تقصير وإغفال فيهِ . اقول ولقد بوشرت الارصاد المتوالية بالهِبْسومتر[٢] في قطعةٍ كبيرة من وادي النيل ولكن نتيجتها جاءت قايلة الاهمية[٣] فان ميزانيات الارتفاعات من بحيرة فكتوريا الى الخرطوم مجهولة لم يسبق لها مقاس قط وليس في الشُقَّة[٤] من قاعدة يركن اليها في هذا الشأن الاَّ الارصاد البَرُومترية والهِبْسومترية . ثم ان ارتفاع بلدة كُنْدُكُرو قد بحث فيهِ الاستاذ هَن الالماني[٥] فقرر ان ضغط الهواء عند تلك البلدة يزداد في بعض الاشهر من السنة في حين انهُ عند الخرطوم ينتقص وبالعكس . واما في شهري يونيو ولوليو فانهُ يكون متعادلاً في الموقعين مع ان بينهما مدىً قدره احدى عشرة درجة واحدهما احطّ من الآخر بقدر ثمانين متراً ولذلك كانت ارصاد

---

(١) الحائر اسم فاعل من حارَ الماء اذا دار في مسيلهِ واجتمع (المعرّب)

(٢) آلةٌ تُتعرّف بها الارتفاعات (المعرّب)

(٣) قد استعنت في الفصول التي وصفت البلاد والمواقع فيها بالارتفاعات الجغرافية الواردة في احدث الخرائط لكني لم اورد القُطاع الطولي لذلك البحر كما كان في عزمي ان افعل في بادئ الامر

(٤) يُراد بالشُقَّة هنا الناحية والارض التي يشقُّها المسافر (المعرّب)

(٥) راجع مقالة «هواء الخرطوم وكُندُكُرو» في الجريدة الالمانية المعروفة بِتِّيلْمنجن صفحة ٤٣٢٥ مطبوعة في لندن سنة ١٨٧٥

الارتفاعات بواسطة الأَنيرُويد[١] والهِبْسومتر لا تعد الاَّ تقريبية[٢]

ولقد درنا سائرين من فم نهر سِمليكي عند بحيرة البرت فكتوريا وتتبعنا ريف النيل حتى بلغنا كندكرو وكان خط سيرنا متواصلاً الاَّ في قطعةٍ منهُ تقع بين بحيرة البرت وراس شلال نيمولي فهذه قد جانبناها معتمدين على الخريطة التي وضعها القائمقام دَلْمي رَادِكْلِفّ

هذا والذي اوجبهُ على نفسي في ختام هذا التمهيد الاعتراف بما ابداهُ المأمورون الذين لاقيتهم في رحلتي هذه الطويلة من المؤانسة والمروءة والنجدة وانا أثني الثناء الطيّب على جناب السر تشارلس أَلْيُطْ وكيل مستعمرة شرقي افريقيا والقائمقام هيَزْسَدلَر وكيل اقليم أُغندا والسر جُرْج وَيتْهَوس رئيس مهندسي السكة الحديد الأُغَنْدية فلولا ما هيأوهُ لي من المُدَد واوجدوهُ من التسهيل لكانت اسفاري اشدّ وطأَةً ومراساً بكثير مما كانت وربما كان يتعذّر عليَّ اتمامها في الزمن المفروض . وقد لاقى رجالْ رَكْبي ايضاً من هؤلاء ومن مأموري الاقسام كل اكرام وحفاوة وكَرَم فساعدوهم المساعدة التي لا يشوبها مَلَلٌ على غير ما مأربٍ — قلت وما من مرة قصدت فيها بلاد السودان الاَّ وكان السِرْ رِدْجينَلْد ونْجِت باشا حاكمها العام لي مسعفاً ناصراً بالآلاء الجيبة الخالصة وانا اشكر لهُ ما امدني به في رحلتي الاخيرة فانه قد تكرم فجعل تحت أَمرْتي باخرةً تتوقع وصولي الى كُنْدكرو فتحملني راجعةً الى الخرطوم

---

(١) آلةٌ يُتعرَّف بها ضغط الهواء الجوّي (المعرّب)

(٢) يوجد اليوم في كلٍّ من محلتي مُنْجُلاّ (وعرضها الشمالي اثنتا عشرة درجة وخمس دقائق) وكُدُك بارومتر زئبقي اذا اتت عليهِ سنتان او ثلاث سنين وأخذت ارصاده يُعلم منها مقدار الضغط في تلك الانحاء باكثر ضبط وربما يكون المساحون بالموازين الالكحولية في اثناء تلك المدة قد انجزوا مساحاتهم على ضفاف النيل الابيض وبحر الجبل .

هذا وانا اشكر ايضاً لمن رافقوني في حلّي وترحالي فانهم يسّروا لي مستصعبات مأموريتي وسهّلوها في وجهي . ثم ان اثنين من رجال الركب قد خارت عافيتهما احدهما من مصلحة المساحة وهو المستر دَوْصُن والآخر من مصلحة الصحة وهو الدكتور بِتْش فاضطرتني الحال ان اخلّف احدهما في عَنْتِّبي والآخر في هُويما . وفي عامة رحلتي قد صحبني وآزرني من قبَل سعادة السردار جناب الكَبْتن مَرْكم فأولاني بذلك معروفاً كبيراً فانهُ أَخذ على نفسهِ ادارة موكب الرحلة وشؤون الميرة وهي بالحق خدمة جليلة لا يعرف قدرها الاَّ من خَبُرَ الاسفار في فيافي افريقيا واطّلع أَمر الحمَّال في تلك الانحاء فجنابهُ لم يألُ جهد المستطيع في تفريج كربتي وأَنا أَعزو نجاح مأموريتي اكثره الى العمل الشاق الذي تولاَّه هو فيها — وقد لاقاني جناب الكبتن لَيَنْز مدير عموم المساحة عند كندكرو فصحبتهُ في رجوعي الى القاهرة وهو ساعدني مساعدة كلية في الابحاث المختصة بالنيل الأعلى فكان رقيب اعمال الخرائط والقطاعات ومراجعة حسابات التصرُّف والحسابات الرياضيّة لا بل تولّى هو بنفسهِ تصحيح مساحات بحر الجبل شمالي كُنْدكرو وهي المساحات التي طُبعت في عام ١٩٠١ وقد استخرج على وجهٍ مخصوص مناسيب بحيرة فكتوريا الى اليوم وارصادهُ في هذا الشأن ملحقة بهذا الكتاب في مذكرةٍ له هي غاية في الاهمية والإِفادة . وزد على ذلك ما تكلَّفهَ في جمع المعلومات المدونة فيما يختص بغدير النيل . ثم ان المستر جُرَيْج خلَف المستر دَوْصُن رافقني من هُويما الى الخرطوم وساعدني مثل هذه المساعدة في اسفاري وفي تجهيز جداول التصرف وقد أُدرجت حساباته في هذا الكتاب ولقد استوجبت اعمال الخرائط في الاشهر الاخيرة تكثير العمال في قلم المساحة لهذا الغرض

هذا ولقد علّق المستر بارِسْفُرْد مفتش عموم الري في الهند اهميةً

كبرى على الغَرَض المقصود من رحلتي وكثيراً ما تباحثنا في مسئلة نهر النيل بجميع اطرافها وتفاصيلها فكان المشروع الذي اشَرت فيهِ باحداث مجرًى آخر للنيل شمالي البُرّ باشارتهِ في حديث كان لي معهُ في هذا الصَدَد

ولا اراني الا شاكراً ايضاً للمستر هرَبَرت صموئيل من رجال الشُرطة العسكرية والمستر بُتْشَر من عمال الادارة الملكية في اقليم أُغندا والميجر لُفْلِن من جنديته فانهم آذنوا لي بطبع الصور الشمسية الواردة في هـذا الكتاب باسمائهم (١) سَطَّرَتهُ في القاهرة



(١) ان البحيرات والنيل الاعلى قد أخَذتُ عنها صُوَرَها انا بنفسي واما الانهار التي الى شمالي كندكرو فقد اخذ عنها صُوَرها المستر كِرْني احد موظفي مصلحة المساحة . وليعلم اني بعد أن كتبت هذا الكتاب قد عاودت الرحلة الى اقاصي النيل وخبرُها تراهُ في ملحقهِ السادس

القسم الاول

« تعريفات وصفية »

الفصل الاول

قولٌ عام في اتساع البحيرة

اذا تبينَّا افريقيا الوسطى من الخريطة رأينا في اديمها مَفْجرتين مشهورتين[١] تأخذان من الشمال الى الجنوب في مسافات شاسعة وبطن فَرْجتيهما ارض واسعة الارجاء اختلفت الآراء في ماهية طبقاتها وتعددت التصانيف العلمية في هذا الباب واصحابها من نخبة العلماء المتضلعين في علم الجولوجياء[٢] وعلى ذلك لم اتعرض الى وصف ما طرأ على تلك الاصقاع من التغيُّرات لا مسهباً ولا موجزاً اذ رأيت ذلك ليس بذي جدوى غير انهُ لما كانت موارد النيل لها علاقة وثيقة بهاتين المفجرتين كان لا بدَّ لي في وصف مجاري النيل من ذكر تكوينهما وتركيبهما واصلها متلمّساً لي بذلك عذراً فاقول

تبتدئ هاتان المفجرتان كلتاهما في نقطة واحدة من بحيرة نِيَسَّا ثم تتشعبان عند طرفها الشمالي الواقع في خمس عشرة درجة وعشر دقائق من العرض الجنوبي ومن ثم تكون وجهتهما سمت الشمال وتكادان في مَضْجَعهما تحاذيان وبينهما زهاء ست درجات من الطول وتذهب المفجرة الشرقية على محاذاة هاجرة شرقي جرينج على ست وثلاثين درجة الى ان تفضي الى

---

(١) المفْجَرة بالتعميم ارض تطمئن وينفجر فيها اودية وبالتخصيص فجوة ما بين جبلين وهي الفَجة والوادي والغَوْر (المعرب)

(٢) وردت اسماء هؤلاء المصنفين جميعاً في كتاب للعلامة جريجوري طبع في مدينة لندن في عام ١٨٩٦ وهو احدث المصنفات في هذا الموضوع

بحيرة رُودُلف فتغيب فيها وهي على الدرجة الرابعة من العرض الشمالي او هي تُلاحف الانجاد[١] الحبشية الجنوبية الى ان تلحق بغور مثلها يُعرف اليوم بالبحر الاحمر واما المفجرة الغربية فموضعها بين هاجرتي تسع وعشرين وثلاثين درجة شرقاً لكنها ليست بقدر الشرقية اعتدالاً واستقامةً ولعلّها تنقطع بجوار كندكرو والعرض الشمالي اربع درجات وثلاثون دقيقة وفي كلتا المفجرتين بطائح وبحيرات ففي الشرقية بحيرة مَنْجارا وبحيرة نطرون وبحيرة نَوَسَّا وبحيرة المِنْطِيطي وبحيرة تاكورو وبحيرة هانِنْتُن وبحيرة بارِنجو وبحيرة رودُلَف . وفي الغربية (وهي المعروفة اليوم بوادي ألبرت) بحيرة طَنْجَنْيَكا وبحيرة كِيفو وبحيرة البرت إدْوَرْد وبحيرة البرت وعلى مجراها الشمالي وادي النيل الاعلى ممتداً في مئين من الكيلومترات

قلت وليس في انحدار هاتين المفجرتين ووجهتهما انتظام ولا اعتدال وكثيراً ما تصادِف في كلتيهما نواتىء ونواهد[٢] تفرّق بين مياههما فتجري في مجريين منفرجين . ويقع ارتفاع الشرقية معظمهُ في نقطة تكون على مقربةٍ من بحيرة نَوَسَّا غير ان الجُرُف هناك غير هارٍ[٣] على عكس ما في المفجرة الغربية فان الفارق ظاهر بيّن أما إن بين بحيرة كِيفو وبحيرة ادورد البرت سلسلةً من جبال نارية تعترض الوادي فتقسم مجموع البحيرات بمنطقتين متخالفتين . ومَعالم هاتين المفجرتين بالنظر الى سيماء تلك الامصار مما يستوقف الأبصار فهما يجتازانها في درجات كثيرة من العرض فتكون سعتهما متراوحة بين ثلاثين وسبعين كيلومتراً تقوم على جانبيهما هضاب[٤] متواصلة

---

(١) جمع نَجْد وهو الارض المرتفعة المُشْرِفة

(٢) صخور بارزة قائمة في الغور (المعرب)

(٣) يراد بالجُرُف الهارئ حَرْف صخرٍ هاوٍ (المعرب)

(٤) جمع هضبة وهي اسم يطلق على ما دون المرتفع من الجبال (المعرب)

وهي حزون[١] وعرة هاوية يبلغ ارتفاع بعض ا[illegible] [illegible]ها سبعمائة متر عن فضاء غور الوادي وبجانب هذه الهضاب كثير من الفوّهات[٢] المنفردة التي خمدت براكينها من قبلُ كفوّهات كليمنجارو وكينيا وجون وانجونت . ولا ريب في ان مجاميع الصخور البركانية التي لفظتها الارض حديثاً في هاذين الواديين لها شديد العلاقة بخطرات الارض الكبرى وارتجاجاتها التي احدثت تلك الفوّهات

هذا وينزع الجولوجيون الى أن الارض الواقعة بين هذين الغورين والاغوار الاخرى الشرقية والغربية كانت في العصور الخوالي جميعها مرتفعاتٍ وعلاياتٍ آخذةً في كل وجهة من اديم الارض ويبلغ ارتفاعها أشدَّهُ في نحو اثنتين وثلاثين درجة من هاجرة شرقي جرينج . ولقد حدث في الارض منذ واضطراب اخرجت به نواتئ كان منها انقلابٌ في طبق تلك المنطقة فتبدلت بذلك معالم طبيعتها وخصالها تبدلاً اكبر. قال الجيولوجي خريجوري في كتابه المعروف « بوادي المفجرة الكبرى » انهُ بعد ان قذفت البراكين بحممها المفترشة اليوم في بساط واسع من الارض استراحت الطبيعة من عملها برهةً من الدهر فأخذت الارض اثناء ذلك في الانحطاط على التدريج على جانبي بعض النتوّات شرقاً وغرباً وظلّت بينهما ظهور ناهضة وما انفكّت الارض تنخفض رويداً حتى بانت على جانبي تلك الفوارق شقوق وصدوع متوازية وما زالت قممها تتزحّل متهايلةً حتى اصبحت اوديةً للمفاجر . وعلى اثر هذه الحادثات عادت البراكين فقامت قيامتها وتراكمت حممها ورمت بمقذوفاتها صُبَراً على جوانب تلك الفوارق فاعاقت تلك الحادثات انصراف المياه عن الارض فاحتبست في الاغوار والمنخفضات فكانت بحيراتٍ وبطائح

---

(١) جمع حَزن وهو خلاف السهل وما غلُظ من الارض (المعرب)

(٢) جَمْع فوّهة وهي من جبل النار فمُهُ (المعرب)

حابسة . وقد كان في اثناء هذه التغيُّرات زمن تمطر السماءُ فيهِ مطراً غزيراً اغزر منهُ في يومنا بدليل ما تراه من المثالج في جبلَي كينيا ورُوِنْزُوري فادَّى ذلك الى تعاظم تلك البحيرات فبلغ منسوب مياهها في تلك الاعصر مبلغاً لا يبلغهُ في هذه الايام. ثم ان هبوط العلايات الكبرى الوسطية الواقعة بين الشقوق حدث عنهُ غور عظيم يبلغ مسطحهُ من الكيلومترات آلافاً . وكانت مياه المرتفعات تتفجَّر منحدرة اليها حتى تكوَّن منها على ممر الزمن مُجْتَمَعٌ من الماء يُعرف اليوم ببحيرة فكتوريا . وعلى كَرّ الايام طفحت مياه البحيرات الاخرى فاندلقت على ما انحطَّ من جوانبها . فكانت من ذلك أنهارٌ جارية تتبَّعَت في جريها ميول الارض وهَبْطاتها . اما بحيرة فكتوريا فاخذ طفوحها في طرفها الشمالي فكان منهُ نيل فكتوريا. واما مياه بحيرة البرت ادورد فسال منها نهر سِملِكي ذهبت مياههُ حتى اجتمعت ببحر فكتوريا وانسكبت في بحيرة البرت . ومن ثمَّ تضامَّت تلك الامواه مترامية بعضها الى بعضٍ فتألف من مجموعها مجرًى فردٌ يقال لهُ بحر الجبل ويعرف بعد سيرهِ في سمت الشمال بالنيل الابيض

ولا خفاء ان الظواهر البركانية قد انقضت وانكفَّت من اعصر خلَت غير ان انقضاءها غير باتٍّ وليس بالمكيث فلربما عادت جبال النار في مستقبل الازمان الى الهِيَاج والثَوَران فيُحَسُّ بهما ولو في قسمٍ واحد من تلك المنطقة شأن البراكين شمالي بحيرة كيڤو فانها ما دامت الى اليوم في هِيَاج وفوَران . وسيماءُ الارض هناك دالة على ان قشرتها لم تبلغ الى الآن حد التوازن والاعتدال. يؤيّد ذلك تصاعد الدخان في جوار بحيرتي نيغاشا و برّو ثم الفوارات السخنة في الطرف الجنوبي لبحيرة البرت ادورد ثم العيون الحارة المستديرة بجبال رُوِنْزُوري وما هو منها على مقربةٍ من بحيرة البرت ايضاً وفي اعالي وادي النيل . ثم ان ارتجاجات الارض واهتزازاتها في تلك الامصار لها في نفوس

الاهلين أثر سيّئ فهي لهم ذكرى بها يذكرون بان ارضهم واقعة في منطقة الزلازل . اذاً لا غرو ان عادت البراكين يوماً الى الثوران وألقت بمقذوفاتها فالْفتْها بعضها فوق بعض . عندئذٍ يقع انقلاب آخَر في سَحْناء تلك البلاد وكِيانها . غير ان ما تقدم تخريجهُ من وجوه هذه المسألة ما خَرَج عن حد التخمين والظن ولكني أُوجب الاشارة في هذا الصدد الى تغيُّراتٍ اخرى يصحّ ان تندرج في عِدَاد الاكيدة الحدوث لانها مُسْنَدَة الى سنَن طبيعية ثابتة . نعَم قد لا تكون حادثاتها سريعة الوقوع فلا يكاد الحِسُّ يدركها في قرن من الزمن ولكنها راسخة مستديمة لا صادَّ لها ولا مانع حتى يقع لها الأَمر المقدور الذي لا بد من وقوعهِ . اريد بتلك الحادثات امرين الواحد تآكُل الجبال وتحاتّها والآخر نخر الماء في بواطن النهر . ولا خفاء ان هذين الامرين دائما الحدوث في الارض لكن في الانحاء التي نحن في صددها على الخصوص قد يكون لهما في مستقبل الايام اثر اكبر على موارد النيل . تلك حقيقة بيّنة حرية بالذكر . والبلاد الاقرب تأثراً ولها العلاقة الكلية بتلك الموارد انما هي بلاد المفجرة الغربية وفيها بحيرة البرت ادوارد وبحيرة البرت ونهر سِملكي

هذا ومما لا خلاف فيه ان بحيرة البرت كانت فيما مضى تغمر ارضاً مساحتها افسح بكثير مما تغمره اليوم فان معَالم مناسيبها الدالة على منازل مياهها في الزمن الغابر ظاهرة بالرواسب الابليزية التي نضبت عنها تلك المياه وخلفتها على مرتفعات الارض التي في جوارها . وزد على ذلك ان هيئة الاخوار والخلجان والرؤوس القديمة وكذا المناسيب المتتالية ظاهرة كلها لمرأى العين في جوانب حوض البحيرة كأنها خُطّطَت في رسم يعيّن مستدير ذلك الحوض . وبعض هذا الانحسار بالنسبة الى البعض الآخر حادث من عهد ليس ببعيد ولربما كان حدوثه أسرع مما تخيلهُ القوم . والله يعلم ما سبب الهبوط الاكبر الحادث باديءَ بدء . لكن الامر الذي لا ريب فيهِ هو ان المفجرة في الشمال عن البحيرة كانت

مرةً مسدودة بحاجزٍ يقطع بطنهـا من جانبهِ الواحد الى الآخر وهو يصد المياه عن السير فكانت تحوش من ورائهِ متكاثرة . ومن ثم انفكّ ذلك الحاجز وكيفية انفكاكهِ غير معلومة . ومهما يكن سببه فانه قد أدى الى انتقاص مياه البحيرة وتقلصها فقلّت بذلك فساحة الارض التي كانت هي تغمرها قلةً تذكر واختطَّ مخرجها في الارض اخدوداً نشأ عنهُ نهر يقال لهُ نهر سملكي يسير بانحدارها حتى يفضي الى بحيرة البرت فهو اذاً يصل منطقتي البحيرتين الواحدة بالاخرى . وكانت مياه ذلك النهر تجرّف ارض مجراه وحِفافيهِ حتى بلغت المناسيب فيهِ ما بلغتهُ في ايامنا ويؤيد ذلك ما تبيّناهُ من القطاعات العرضية في انحاء هذا النهر القصيَّة . وكلما تزايد التجريف على هذه الصورة كانت مياه البحيرة يزداد انبعاثها منها فتنتقص . ولما كانت مياه النهر لا تزال الى اليوم تعمل في ارضهِ فتسحوها [1] فلا مشاحةَ في ان يكون منسوب البحيرة مقيماً على الانحطاط وليس على ما نرى من عائق يعوق هذا الانحطاط سوى ما في منتصف مجرى النهر من الصخور الناتئة المعترضة فهذه تترامى عليها المياه في جنادل وشلالاتٍ فتكون تلك الصخور بمثابة قنطرة تعديل تخفف التجريف في باطن النهر . على ان هذه الصخور لا بدَّ يوماً من زوالها حيَال انخفاض قاع النهر انخفاضاً تدريجياً مستديماً بشدة الانحدار وفعل المياه فتى زالت تزول معها ولا ريب بحيرة البرت ادورد

اما بحيرة البرت فالحادثات فيها على خلاف ما تقدم ولكن لا مردَّ لوقوعها وفعلها اكيد ذلك ان مثالج جبل رونزوري والفواعل الجوية فيهِ تؤدي الى تحاتّ جوانبهِ على الدوام وتفتتها وكل ما ينساب منها من الرُفاض [2] تجترفهُ

---

(١) من سحا الطين يسحوه اذا قشره وجرفه (المعرّب)

(٢) رُفاض الشيء قشارتهُ وما تحضَّم منهُ فتفرَّق (المعرب)

السيول الى اخاديد[1] ومضايق ذاهبة بهِ الى نهر سملكي وهو يرمي بها الى بحيرة البرت ومعها مقادير الطين التي تجلبها مياهه من انحائه العليا . هذا وانحدار النهر عند الطرف الجنوبي لبحيرة البرت يقل فتخف بذلك جريته فتصبح مياهه وليس لها قوة دافعة تستاق تلك المواد فتستقرُّ جميعها في بطاح البلاد المجاورة . وعليه فقد كوَّنت رواسب الاجراف[2] في الاطراف الجنوبية من بحيرة البرت سهلاً بسيطاً من الارض يتداخل شيئاً فشيئاً بمياه هذه البحيرة فيرفع منسوب قاعها ولا تزال هذه الرواسب تعمل هذا العمل على التوالي . ومثل ذلك يعمله بحر فكتوريا في الطرف الشمالي للبحيرة فهو يلقي بابليزه واجرافه في البحيرة فتضيق . وكذا تحمل السيول الكثيرة الآتية من الاكام والهضاب المجاورة شرقاً وغرباً شيئاً كثيراً من الاجراف فتلقيه فيها وتكون تلك الاجراف مدعاةً الى ارتفاع قاعها . وفي النهاية تغيب بحيرة البرت وبحيرة البرت ادوارد ولا يكون لهما اثر سوى نهرٍ تنصرف اليهِ المياه من آكام كيڤو ووادي المفجرة وهو يذهب مبحرّاً حتى يصب في بحر فكتوريا عند مصبهِ اليوم في بحيرة البرت . ولا يبعد ان يقع في هذه الانحاء ما وقع في انحاء اعالي النيل . وعند غياب البحيرتين وزوالهما تقوم في الارض مناقع اشبه بمناقع منطقة السدود والمساكات يتبدّد فيها النهر مستبحراً في عدة مجارٍ . وطبيعيٌّ ان تكون التغيرات الحاصلة في بحيرة البرت حاصلةً ايضاً في بحيرة فكتوريا والانهار الرامية اليها من صعيد الارض[3] ونجدها تحمل مياهها شيئاً كثيراً من المواد التي يكون من شأنها على التمادي ارتكام البحيرة وانقاص فساحتها . على انه اذا اعتبرنا تلك الفساحة ومقدار ما يدخل البحيرة من مياه الانهار المنسكبة فيها رأينا ان تأثير تلك

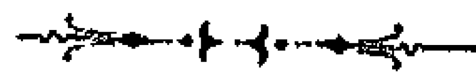
---

(١) جمع أخدود وهو الحفرة المستطيلة في الارض (المعرب)

(٢) أجراف جمع جُرْف وجُرُف وهي ما تجرّفتهُ السيول واكلتهُ من الارض (المعرب)

(٣) الصعيد ما ارتفع من الارض واشرف (المعرب)

الانقلابات والتغيرات يكون في البطء والمَهَل غايتيهما فان لم يندكّ الحَرْف القائم عند جنادل ريبون اويخفّض فهذه التغييرات والانقلابات لا تحدث نقصاً ظاهراً في مياهها الا بانقضاء الدهر الطويل . اذاً يحتمل انهُ عند زوال بحيرة البرت والبرت ادورد بأزمان بعيدة المدى تبقى بحيرة فكتوريا مستجمعاً اكبر لمياه النيل الابيض وينبوعاً صحيحاً له



الفصل الثاني

في بحيرة فكتوريا

هذه البحيرة اوسع البطائح والمناقع العذبة في العالم القديم تقع بين عشرين دقيقة من العرض الشمالي وثلاث درجات من العرض الجنوبي وهاجرتي ٤٠َ و٣١ْ و٣٥ْ شرقي جرنيتج . ارتفاعها عن متوسط منسوب البحر الرومي عند مُنْباسا بقدر ١١٢٩ متراً يخترقها خط الاستواء عند طرفها الشمالي وتكتنف جانبيها من الجهة الشمالية ارض الشقة الانجليزية الالمانية كأن تشطرها بشطرين متساويين وذلك عند الدرجة الواحدة من العرض الجنوبي . اما شكلها فشبه مربع يتخلل شواطئها الشمالية الجنوبية اخوار وخلجان بعيدة الغور تكون بها مضرّسةً مفرّضةً واما جانبها الغربي فأقوَم وأعدَل لانهُ يكانف المَهْواة(١) الكبرى الواقعة عند مصب نهر كاجيرا ذاهبة في مهب الغرب من مهب الشرق . والبحيرة نادرة بكثرة مجاميع جزرها غالبها لا يبعد كثيراً عن البر(٢) واضخم هذه المجاميع ثلاثة مجموع بوفوما شمالاً

---

(١) فجوَة ما بين الجبلين (المعرّب)

(٢) ان اواسط هذه البحيرة لا تزال حتى الآن غامضة ولذلك ليس بالمستبعد ان يكون في بطونها مجاميع جزر اخرى غير ما ذكرنا

ومجموع سسيّ في الشمال الغربي والمجموع الذي بجوار جزيرة أُوكِرِوِي الى الطرف الجنوبي الشرقي من البحيرة • ومنها ايضاً المجموع الصغير المعروف عندهم بمجموع كُومه الى الجنوب الشرقي ايضاً• واضخم جزُر البحيرة جزيرة أُوكِرِوِي في ارض الشقة الالمانية تقرب ان تكون شبه جزيرة متصلة بالبر في مستطيل من الارض قليل السعة يسيل فيهِ مجريان يعرفان عندهم بالرُجَيْشي[1] • والسواد الاعظم من هذه الجزائر مأهول غالب اهله طوائف الصيادين وفي كثير منها اراضٍ زراعية واسعة الاقطار • ويرتفع من جزر سسيّ جيّد البن[2] واكثر هذه الجزر شريف المنظر ولاسيما مجموعي بوڤوما وسسيّ وفي غالبها جبال قد يكون ارتفاع بعضها خمسمائة او ستمائة متر عن سطح البحيرة• وفي جميعها غابات كثيفة ملتفة النبت وطبقات ارضها كلها حجرية يشوب تربتها الحديد من تحتها طبقة من الحجر الصواني البلوري[3]

ثم ان اغوار البحيرة لا يعلم عنها شيء يذكر الا اغوار نصفها الشمالي فانه مسبور معلوم • واعمق غوْر عُلم على ما جاء في احدث الخرائط يبلغ ثلاثة وسبعين متراً وذلك بالقرب من جزُر اللّولُوِيّ على الساحل الشمالي[4] • اقول ان الاعماق في منطقةٍ من البحيرة تبعد عن البر بقدر خمسة عشر الى عشرين كيلو متراً تختلف كثيراً فان ما كشفتهُ المَسابر يشير الى ان تلك الاعماق تتباين أَدراكها[5] فتكون بين خمسة عشر وستين متراً[6] ومياه

---

(١) طالع كتاب اوغندا والسودان المطبوع في لندن سنة ١٨٨٢ للقس ولسن

(٢) ان اهالي جزُر سسّي قد ذاقوا العذاب الاليم من داء النُوام الذي يفتك بهم فتكاً ذريعاً منذ اعوام

(٣) قال العالم استولمان ان هذه الجُزُر هي ضلع من جسم الطبقات الحجرية الصوانية التي تكونت منها المرتفعات في القديم

(٤) ترى ذلك في خريطة القومندان هُوَيْتهَوس التي طبعتها نظارة البحرية

(٥) جمع دَرَك وهو اقصى الغور أي القاع (المعرب)

(٦) ترى ذلك ايضاً في تلك الخريطة

الخلجان والأخوار ضَحلة قريبة الغور ولا يعلم شيءٌ الى الآن عن اعماق اواسط البحيرة . اما مشتملات ارضها فهي بين رمل خشن الحُبيبات وطينة سوداء دقيقة الذرّات تضرب الى السنجابية . ولكنها كثيرة الشعاب حجريّتها وكثير منها ما يكاد يلحق بسطح الماء ولذلك كان في الملاحة فيها شيء من الخطر . اما ماء البحيرة فقَراح شفاف شديد الحلاوة على خلاف البحيرات الواقعة في وادي المفجرتين فان بين هذه وتلك تبايناً اكبر فلون مائها سموي ازرق مُعجب في إبان الصحو الشامسة ولكنهُ متى غامت السماء فهو أغبر قاتم وربما كان أسود . هذا والبحيرة عرضة للعواصف والزوابع تثور فيها شديدة الوطأة فتحدث امواجاً تتلاطم فتعلو علواً هائلاً وقلما سلمت الزوارق من الخطر اذا هي سارت فيها متباعدة عن الجزر فان هذه الجزر مرفأ لها امين عند اشتداد العاصفة[1] . وفي البحيرة فوارات تظهر احياناً[2] . — وتبلغ مساحة هذه البحيرة ثمانية وستين الف كيلو متر مربع (ذلك ما يعادل مساحة البلاد الاسكوتلاندية) واقصى طولها اربعمائة كيلو متر ومعظم سعتها ثلاثمائة وعشرون كيلومتراً ويقع اليها عدة انهار ولكنها ليس لها الا مخرج واحد ينفجر منه نهر فكتوريا يسير على جنادل ريبون في خليج نابوليون على الضفة الشمالية . اما الجداول الرئيسة الجارية اليها من الشمال فجدول سِيُو وجدول أُنْزُويا وجدول لُوقُص (ويقال لهُ ايضاً جدول يالاَ) وليس الى غربي جدول سيُو من انهارٍ تجري الى البحيرة عند طرفها الشمالي

---

(١) في ربيع سنة ١٩٠٣ أنشئت سفينة محمولها ٦٠٠ طن وانزلت في الماء من بُرْتُو فلورَنْس واليوم تنشأ سفينة اخرى والغرض منهما استكشاف ما بقي من هذه البحيرة الى اليوم خفياً غامضاً . ولا ريب في ان جرمهما موافق لهذا الغرض حتى لا يكون عليهما خطر البتة اذا عبرتا البحيرة في ابان العواصف فيتيسر بهما بلوغ المرمى

(٢) راجع كتاب اوغندا والسودان للقس ولسن

لان المَسَايل[١] هناك في جنب الشاطئ والانهار في تلك الانحاء تنشأ على بعض الكيلومترات عن البحيرة فتسير بعيدة عنها طالبة سَمْت الشمال وتفضي الى النيل . واما الجداول الجارية اليها من مهبّ الشرق في الاراضي البريطانية فهي جدول نِياندو وجدول تُونْيايو وجدول صُنْدو . ويقع اليها من صوب الغرب شمالي التخوم الانجليزية الالمانية نهر كاتنجا ونهر الرُّوِيْزِي وعند متصل هذه التخوم بالساحل يسيل اليها نهر كاجيرا وهو اكبر مستورَد لها . وسأذكر فيما بعد صفة هذه الجداول والانهار بقدر ما اتصل بي خبرها لان كثيراً منها لا يُعلم عنهُ الآن الا ما ليس بشاف ولا بكاف بخلاف المجاري الذاهبة اليها في تخوم الشقة الالمانية فان المعلومات عنها كثيرةٌ[٢] وقد نشرت الحكومة الالمانية عن تلك البلاد خريطة وافية مصححة لحد يومنا هذا يتبين منها ان الانهار الرئيسة الواقعة في الجهة الشرقية هي ما رادباش (أو مارا) ورْوَانا وَمبالَسْتي وتنسكب فيها مياه العلايات الشرقية . واما الانهار الصابة من الجنوب فهي مْتُومَا وسمو يويا وموَامي ووامي ولُكُنْجَاتي ورُوِيجَا . يقال ان بعض هذه الانهار كبير وان نهر المارادباش هو ثاني نهر كاجيرا حجماً واهميةً . هذا وانهار الشُقة الانجليزية تختلف عن انهار الشقة الالمانية بان الانجليزية ماؤها جارٍ[٣] والالمانية (خصوصاً في البقعة الجنوبية الشرقية منها) بعضها سُيُول غزيرة تفيض في زمن الامطار ثم يدركها الجفاف في حصة من السنة

اما الخلجان فاضخمها خليج كافِيرُندو وخليج بَرْكَلي وخليج نابوليون وخليج مَرْكِيسُنْ في الاقطار الشمالية وخليج امين باشا وخليج سميث

---

(١) جمع مسيل وهو مجرى الماء - (المعرّب)

(٢) طالع كتاب انباء المستعمرات الالمانية في ستة عشر مجلداً طبعتهُ الحكومة الالمانية . راجع ايضاً تأليف فيشر وبَوْمن واستولمسن وفُنْ جوزِن

(٣) اي نابعٌ دائم الجري (المعرّب)

وخليج اسبيك في الانحاء الجنوبية وغيرها عدد لا يُحصى من الجوَن والاخوار ماؤها ابداً ضحلٌ كانه مخاضة وارضها كثيرة الطين وضفافها في الغالب تستدير بها الآجام الواسعة وهي غاصة بالبَرْديّ وشامخ القصب تغوصها فرس البحر والتمساح ويسبح بها طير الماء ويكون في اجوافها جماعات السمك ضروباً واصنافاً يصطاده الاهلون بالقرب من الشاطئ وسواحل البحيرة تتخالف شكلاً وهيئةً فهي مرتفعة لا سيما في الضَفير الشمالي[1] فتكون هناك هضاباً مستديرة يتفاوت ارتفاعها من بين مائة متر الى مائة وخمسين متراً عن سطح الماء وهي أنوفٌ متلاحقة من الصخر تترامى الى الشاطئ . واما الوادي القائم الى ما وراء هذه الهضاب فذو غابات ملتفة الشجر ثم هي في الطرف الشمالي الشرقي منها منبسطة جرداء ليس فيها الا ما قل من النجم[2] وبعض الشجيرات فيكون منها بسيط من الارض واسع الاطراف يلحق بآكام نندي . وفي الجهة الغربية تكون منقادة الى الجنوب على سَنَنٍ حتى تبلغ نهر كاتنجا ومن تلك النقطة حتى مندغم نهر كاجيرا بالبحيرة تتناقص مناسيب الارض فترى على جوانب الماء بسائط رملية والساحل هناك مشهور بمهواةٍ بعيدة المرمى تمر في محاذاة البحيرة من الطرف الشمالي الغربي على مسافة بعض الكيلومترات عنها حتى تجيء الى فم نهر كاتنجا شمالاً . وبالقرب من نهر كاجيرا تتراد هذه الهضاب فتتحول عن المـاء وهناك مناقع رحيبة مغشاة بالعنبج والبرديّ تمر في بعض المسافة عن الشاطئ صوب البر والى جنوبي النهر هناك تعود الارض فتقوم فيها رَوابٍ يكون ارتفاع بعضها ثلاثمائة متر عن سطح الماء وفيها وهادٌ تتصل بالبحيرة ويبلغ غور الوهدة الواحدة منها مائة متر وفي الطرف الجنوبي الغربي آكام جرداء حجرية التربة وجروف تمتدّ شعباً في الماء ويكون ساحلها

---

(١) ضفير البحيرة شطّها (المعرّب)

(٢) النجم النبت القصير الساق (المعرّب)

الجنوبي اكثرَ سواحلها الاخرى جبالاً ويوجد على الجانب الجنوبي الشرقي جبال ماجيِّتا وماجُو ترتفع قممها عن سطح البحيرة بقدر سبعمائة متر وساحلها الشمالي صخور ناهدة يكون منها عقبات وحروف متوالية تتصل بسلسلة جبال لُمْبُوا على تخوم خليج كافيرُنْدو . ثم ان جانبها الشرقي ماء ضفته بلصق البر بعيد الغور في الاكثر اما الجانب الغربي (ولا سيما ما بين نهري كاتنجا وكاجيرا) فالمياه فيه ضَحلة الى مدى بعيد فيها[1] ويجتاب البحيرة تيارٌ أو دُرْدورٌ من حد نهر كاجيرا الى جنادل ريبون والباعث على قيام هذا التيار شيئان شدة جرية الماء في ذلك النهر وهبوب الرياح الدورية ولكن لا يعلم مقدار ما لكل من هذين الامرين من الفواعل في حدوث هذا التيار . وتبلغ مساحة حائر البحيرة نحواً من مائتين واربعين الفاً من الكيلومترات المربعة من ضمنها مساحة البحيرة نفسها وشكل هذا الحائر غير نظيم لا يسهل تخطيطه ولا سيما في الشمال والشمال الغربي . قلت في ما تقدم ان الجُرُف الذي تتزلق عنه مياه الرَصَف في الجهة الشمالية ما بين نهر سيو والنيل واقع في الساحل نفسهِ وان النقيل اي مياه السيل التي تجري الى الشمال مصدرهُ الآكام التي تحيط بذلك الساحل . وانت ترى غربي مخرج النيل حَرْفاً يذهب في وجهةٍ شمالية غربية حتى يفضي الى تلال لحف الرونزوري ومن ثم يسير جنوباً حتى سلسلة جبال الرُّوَمبارا التي هي حَرْف النقيل الشمالي لنهر كاجيرا فهذه المنطقة ترمي بمياهها الى نهري كاتنجا ورُويزي . واما مسيل نهر كاجيرا فمعظمهُ يذهب جنوباً وغرباً حتى يلاحف الآكام المحيطة ببحيرة طنجنيكا . ثم الى الجنوب تعود تلك المنطقة فتضيق ولكنها في الجهة الشرقية تنفرج فساحتها الى مدى بعيد

---

(١) ان ما قيل هنا عن الساحل الواقع جنوبي الشقة الانجليزية الالمانية غالبهُ مأخوذ من كتاب القس ولسن المعروف باوغندا والسودان سنة ١٨٨٢

عن تلك البحيرة فتكون في هذه المسافة اشبه بعلاية حجرته . واما الفوارق[١] في الشمال الشرقي فآكام لُمبُوا وجرف مُوْ واسفل عنه شمالاً علاية ناندي

واعلم ان ارصاد متوسط الامطار السنوية في عامة هذه المنطقة ناقصة نقصاً بيناً ولذلك يتعذر تعيين مقدار ما يقع الى البحيرة من المياه في مدار السنة الا على التقريب ونحن في ذلك نستند الى المعلومات القليلة التي لدينا في هذا الشأن . ومن الواضح ان بقعة مثل هذه واسعة الاقطار مساحتها تناهز ضعف مساحة البلاد الاسكوتلاندية لا بدَّ من ان يكون اقليمها اي هواؤها وجمهور مياه الامطار فيها على اختلاف كبير باختلاف الاماكن والمواقع . يؤيد ذلك ما تراه من الامطار المفرطة بجوار نهري رونزوري ونَنْدي وعلايات مُوْ . واما الانحاء الجنوبية الغربية فامطارها طفيفة والى شرقي البحيرة يبسٌ من الارض مديد غير ممطور . اقول ومَراقب الحادثات الجوِّية معدودة متباعدة بعضها عن بعض ولم يُبْدَأ بقيد ارصاد الحادثات المذكورة في كثير منها الا من عهد قريب اذاً ليس في الامكان تعيين جِرْم ما يأتي البحيرة من المياه سنوياً فيزيدها تعاظماً ونماءً الا متى رُصدت امطار النصف الجنوبي للبحيرة وامطار النصف الشمالي ايضاً ودونت ارصادها في عدة سنين متوالية . فكل ما يُعيَّن في ايامنا من الارصاد على غير هذه الصورة لا نصيب له من الصحة . وليس في الامكان ايضاً تعيين مساحة مضاجع المياه المترامية صوب البحيرة بالضبط الاَّ متى وضعت لتلك النقطة خرائط واستتب العلم بالمناسيب . فعامة ما يقال اليوم في هذا الشأن لا يعوَّل عليهِ

هذا ولقد تمكنا من ارصاد الامطار في اماكن معدودة . ولكن القيود الواردة فيها تلك الارصاد غير مستكملة وقلَّ منها ما اشتمل على ارصاد سنة

---

(١) يراد بالفوارق الجبال التي تفرق ما بين الوهاد وتكون في اقطار اعالي النيل مساقط للغيث الذي يترامى ماؤه في منحدرات جوانبها منسكبة الى تلك الوهاد (المعرّب)

واحدة بكمالها . واكبر نسيق جاء في تلك القيود ما ورد عن عنتّبي وناتيتي في الطرف الشمالي الغربي للبحيرة فقد تعلمنا بها متوسط الامطار في اربعة عشر عاماً وكان ذلك المتوسط الفاً ومائتين وسبعة وستين مليمتراً . ولقد بلغ المتوسط في قسم كيسومو على خليج كَفيرنْدُو الفا ومائتين واثنين واربعين مليمتراً في خمس سنين وفي مومياس من ذلك القسم الفا وثمانمائة واثنين وثلاثين مليمتراً في ست سنين وذلك في العلايات . اقول وقد اقيمت مقاييس للامطار عند مَساكا وأُمبارارا في قسم انكولي وكذلك في حصن بُرتَل على مقربةٍ من جبال رونزوري ولكن ارصادها لا تشمل الى الآن سنة كاملة اما في الشقة الالمانية فتؤخذ الارصاد عند بُوكوبا على جانب البحيرة الغربي وقبالة مُوَانْزَا على الجانب الجنوبي وفي طابوره وهي محلّة تقع في خمس درجات وثلاث دقائق من العرض الجنوبي ارتفاعها عن سطح البحر الملح الف ومائتان وثلاثون متراً الى جنوبي بحيرة فكتوريا على مسافة مائتين وثمانين متراً عنها[1] . ويتبين من ارصاد هذه الثلاث المحلات ان الامطار كانت اغزرها واكثرها في قسم بوكوبا المتقدم ذكره فان المتوسط بلغ فيهِ الفين ومائة وواحداً وثمانين مليمتراً في اربع سنين واما قسم طابوره فلم يكن متوسطهُ في اربع سنين سوى سبعمائة واربعة وثلاثين مليمتراً . ولقد دلّ مقياس مُوَانْزَا على ان ما وقع من الامطار هناك بلغ الفا وثلاثمائة وخمسة وسبعين مليمتراً في سنة ١٩٨٤ – ١٨٩٥ ولكنهُ في سنة ١٩٠٢ بلغ الفين وثمانمائة مليمتر . على ان هذه القيود ما هي الا نُتَف متفرقة لا سبيل الى اقامة مقابلة بينها لان سنيها متغايرة لكنها يستخلص منها ان ما وقع من المطر في ساحلي البحيرة الغربي والجنوبي اكثر مقداراً منه في الساحل الشمالي واقل من هذا

---

(١) وتؤخذ الارصاد ايضاً عند شيراتي شرقي البحيرة ولكن تلك الارصاد لم يطبع بعد منها شيء

ما وقع في الجنوب الاقصى وليس للجانب الشرقي من ارصاد للامطار ولكن يستفاد من الجداول المتقدم ذكرها انه وان كانت الامطار تقع في كامل السنة متخالفة بين قلة وكثرة فأشدها يقع في مدتين الاولى مارس وابريل ومايو والثانية ستمبر واكتوبر ونوفمبر . واكثر شهور السنة جفافاً شهرا يونيو ويوليو . ويتبين من تلك الجداول ايضاً ما في انسكاب الامطار بين خفة وشدة من الاختلاف باختلاف المكان ففي مُوَنْزَا بلغت مياه المطر في سنة ١٩٠٢ الفين وثمانمائة مليمتر ولم تكن في طابوره (وبعدها عن مُوَنْزَا مائتان وثمانون كيلو متراً فقط) سوى ثلاثمائة وثلاثة وخمسين مليمتراً [١] في ذلك العام

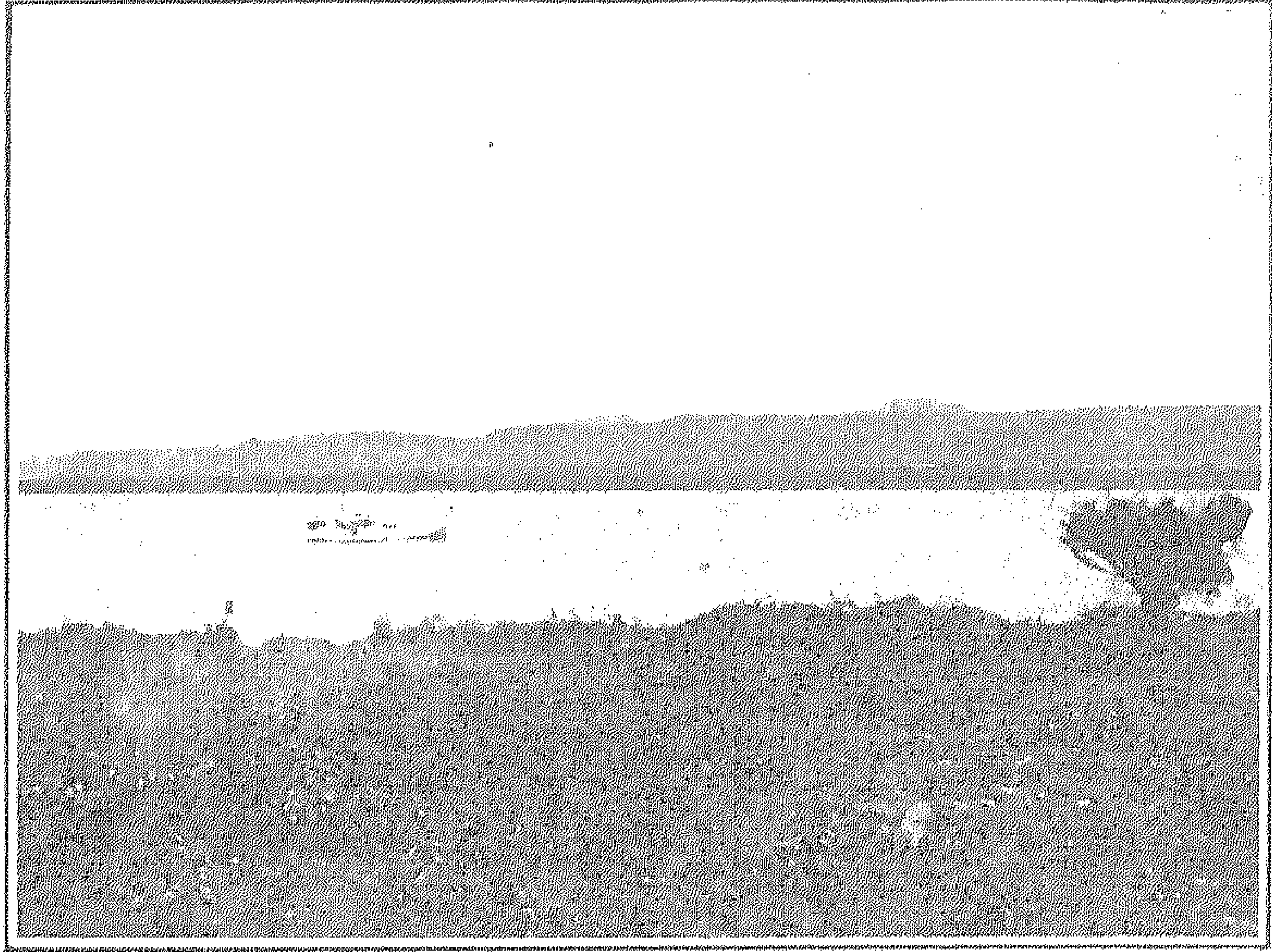
والذي يتلمَّس العلم بما لصعيد الارض المحيطة ببحيرة فكتوريا من الطبقات يَرَى أن تركيبها الجيولوجي انما هو من المَرْو (او الصوان) والكوارتس والحجر اللوحي غائصة في قشرة حمراء طُفَالِيّة طباشيرية وذلك في الاجزاء العليا منها واما في النجود والوهاد فيشو بها الصَلْصال السمين وتكون تلك المنطقة جميعها ولا سيما ما جاور البحيرة نَشَزاً من الارض طبقتهُ حديدية حجرية وعند تفتتها ينكشف عنها لون احمر بديع خاص بتلك البلاد [٢] . هذا وسأتكلم في ما يأتي باكثر ايضاح على الجوانب الشمالية والغربية للبحيرة مستخلصاً ذلك من مذكرات ومفكرات جمعتها في رحلتي السابقة فاقول . ان على الجانب الشمالي الغربي لمستودع البحيرة مُنْحَدَر مُوْ يبلغ ارتفاعه الفين وسبعمائة واربعين متراً عن سطح البحر الملح ويبعد زهاء مائة وخمسين

---

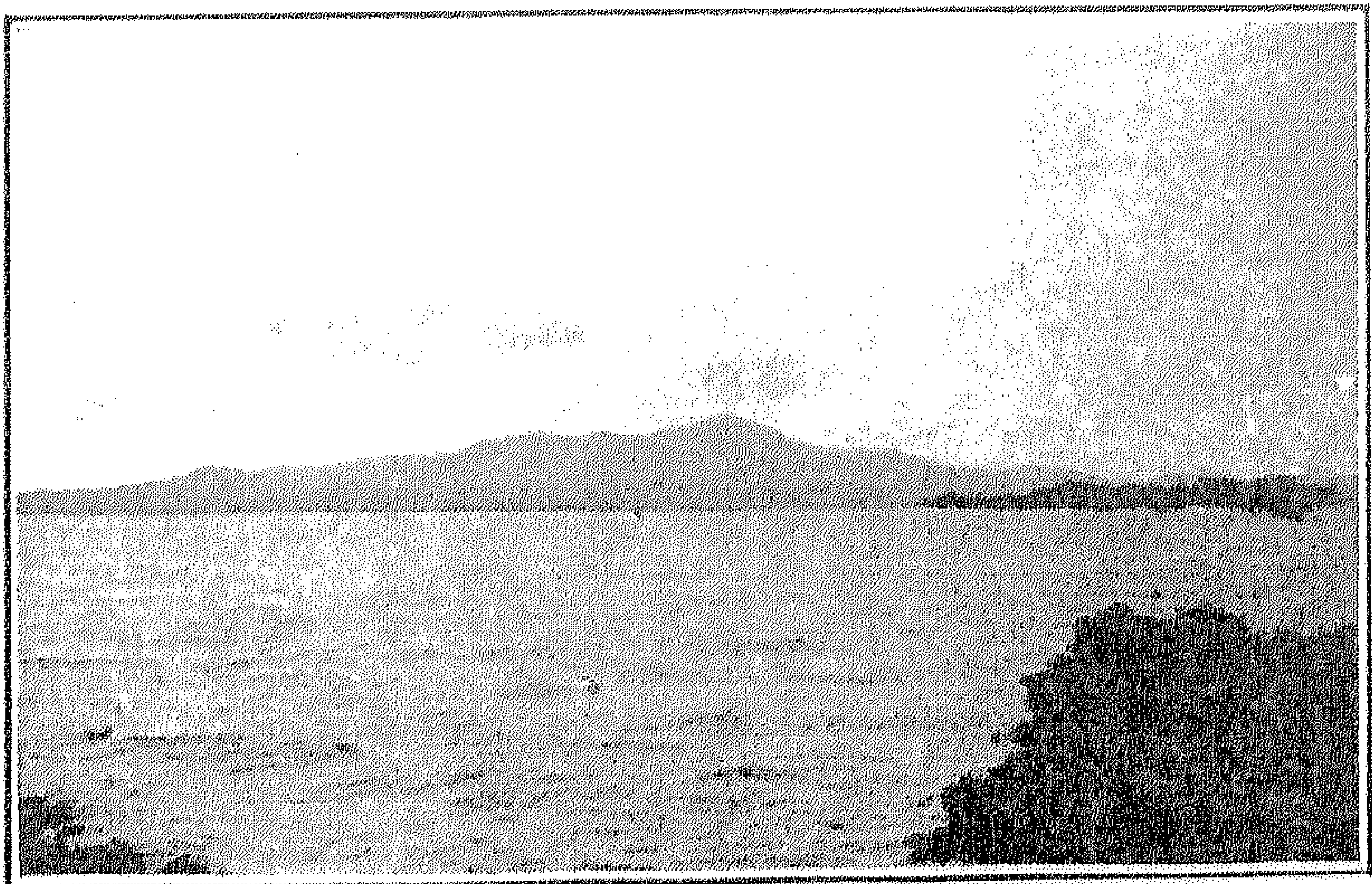
(١) تقع ازمنة الجفاف في شهري يناير وفبراير وكذلك في شهري يونيو ويوليو واما اغسطس فامطاره مختلفة جداً وفي دسمبر يكون المطر في الغالب غزيراً ويتساءل اصحاب الشأن هل يجئ الخريف متقدماً او متأخراً .

(٢) انظر كتاب استلمان المعروف بكتاب « مع امين باشا في قلب افريقيا »

لوحة ١٠



بورتفلورانس على بحيرة فكتــــوريا



خليج كاڤيرُونْدو على بحيرة فكتوريا

كيلو متراً من ضفتهِ ومن هناك تميل الارض بانحدار سريع ويكون الانحدار فيما بين حرف العلايه وموباروني بقدر ١٣٥٠ متراً ومسافة ما بين المكانين اربعة وتسعون كيلومتراً فقط والارض هناك حجرية اكثرها عاطل من الشجر وفيها اودية واسعة عميقة وفي بومو باروني على ارتفاع مائة وستين متراً عن سطح البحيرة الحالي يكون طبَق الارض في مخترقات سكة حديد اغندا مفترشاً بالحصى والدماليك[1] التي خلفها السيل ومثل هذه المخلَّفات تشاهد ايضاً في اماكن اخرى حول البحيرة الى الجهة الشمالية وهي ترتفع ارتفاعاً يذكر عن ذلك المستوى. واذا انحدرت صَوْبَ البحيرة تنبسط لديك البلاد تدريجاً حتى تصير سطيحاً بين ارتفاع وهبوط غاصاً بالكلأ[2] يتخلَّلهُ في مسافات منهُ جروف ذات غابات كثيرة الاخوار رقيقة الماء. والى الجهة الجنوبية هضاب ناندي وهي شمَّاء أشبه بسور منيف جرداء وعرة تتشعب منها رؤس مديدة تصب الى الوادي التي تشرف هي عليهِ وكلما انحدرت نزولاً كثفت الاشجار والادغال وفي الخمسة والثلاثين كيلو متراً منها بسيط مرتفع من الارض تكون النقائع في طائفةٍ من تضاعيفه على كثرةٍ سطحهُ يتحدر تحدراً خفيفاً ليناً حتى يلحق ببورتفلورنس وهناك منتهى سكة حديد اوغندا على بحيرة فيكتوريا

اما كيسومو فواقعة في خور[3] يقال لهُ خور أُوجوي في الطرف الشرقي لخليج كافيرُندو يكون عرضهُ بمقدار كيلومتر واحد ونصف اما بورتفلورنس ومحطة السكة الحديد وديوان عمالها وخدمتها فمامتها على الشاطئ الجنوبي وكيسومو واقعة قبالتها توًّا على الطرف الشمالي للخور وهي مركز الادارة الملكي.

---

(١) جمع دُملوك وهو الحجر الاملس المستدير (المعرب)

(٢) الكلأ يابس الحشيش (المعرب)

(٣) يُراد بالخور هنا الخليج أو دخلة من الماء في البر (المعرّب)

وتعلو بورتفلورنس عن سطح البحيرة بقدر ثلاثة وخمسين متراً وكيسومو احط منها باثنين وثلاثين متراً وهي مشهورة بالحمى الاجمية فهي تعد أوخم ما على شاطئ البحيرة من البلاد واقلها موافقة للابدان على عكس بورتفلورنس فانها مرتفعة يُعتنى كثيراً بتطهيرها وتنظيفها وموقعها في غاية الملاءمة بالنظر الى الرياح الغالبة في تلك الانحاء وعلى ذلك قد قطع اولو الامر في نقل مكاتب الحكومة من كيسومو اليها . واقامة ما ينبغي اقامته من الاماكن جارٍ اليوم على قدم وساق وبقعتها موافقة لذلك وهي عبارة عن أنف أو رأس من الارض يمتد الى البحيرة فيغيب فيها واما تربتها فحديدية بسكولية وهي الطبقة الغالبة على خلقها في عامة شاطئ البحيرة والمادة نافعة في البناء بالحجر وهي عند اقتلاعها لينة هشّة لكنها لا تلبث ان تتعقد بملامستها للهواء الجوي وبحجارتها تُبنى اليوم الاماكن المستحدثة جميعاً وهي العنصر الاعظم في تربة مغيض البحيرة(١) . والعمل جارٍ ايضاً على غير بطء باقامة مباني المكاتب وتخطيط الشوارع فان تم لموالي سكة حديد الاوغندا ما يؤملونهُ لها من التقدم واتسع بها نطاق التجارة فلا مشاحة في ان بورتفلورنس تصبح فرضة من اشد الفرض اهمية اذ تكون حينئذٍ مَطْرح جميع الارزاق المرتفعة من اقطار سواحل البحيرة فتنفذ منها وتحمل الى فرضة منباسا على الاوقيانوس الهندي . اما كيسومو فهي المحلة الملكية ومركز قسم كڤيرندو ابنيتها قليلة تحيط بها الاشجار ناشئةً في سهل قليل الشخوص غاص بالاعشاب ذاهباً في سمت الشمال حتى يلحق بآكام كوروندو وهي حرف من جبال نَنْدي يمتد غرباً امداً بعيداً فيقع الى نقطة تكون عن ضفاف البحيرة ستة كيلومترات او سبعة والسهل غزير المرعى طيّبهُ ودليل عمرانهِ وفرة بلاده . وترى في ذروة الآكام

---

(١) هذا تحليل تلك المادة على ما جاء عن جناب المستر لوكاس مدير المعمل الكيماوي بنظارة الاشغال العمومية بمدينة القاهرة

المذكورة سهلاً باسطاً يذهب في مهب الشمال مسافة شاسعة وهو في خلقتهِ كتلة بركانية حُمَمية يختلف سمكها بين ستة عشر وثلاثين متراً والمشهور ان ارضها غايةٌ في وفرة الزروع والارض فيما وراءه تتصاعد راقيــة الى علاية نندي وهي مغطاة بمتلف الشجر يُرتَفَق باخشابها لجودتها [١] وفي كيسومو سوق عجيبة اذا قامت تراها غاصة بجمهور الـكافيرندو [٢] وهم باشون باسمون واخص ما يعرض فيها البطاطا وقديد السمك . وهم نساءً ورجالاً عراة الاَّ ان المرأة تتستَّر من قُبُل وزرةً حواشيها خرز دقيق وتزدان من دُبُر بهنةٍ محبوكة من مَسَد [٣] اشبه شيء بذيل بقر الخيس ويلبس الرجال قليلاً من الخرز ولهم في كعوبهم خلاخيل وعلى معاصمهم دمالج من حديد وهم ينظمون شعورهم تنظيماً غريباً ويحلّونها بسن فرس الماء . وكلا الجنسين دأبهم التدخين وكلهم يستصحبون قصار اقصاب التدخين المعروفة واحدتها « بالجحشة » وهم قبيلة جمة كثيرة الخلق ولقد فتك في من يقيمون منهم

التحليل الكيماوي المتقدم ذكره

مواد التحليل	مقادير بالماية	مظاهر المادة
ساليكا ومواد غير قابلة الذوبان	٣٢ ، ٧٨	مظهرها حجر جيري اصفر يضرب الى السمرة وقد يكون اسود وفيه اثر من المواد البسكولية
اكسيد الحديد مع شيء من اكسيد الالومينيوم	٦٥ ، ٦٢	
المزيج	١٠ ، ٦٠	
المجموع	١٠٠ ، ٠٠	

(١) يقول المستر هبلي جابي الاموال بمقاطعة كافيرندو ان اشرف اشجار الخشابة في تلك البقعة شجرة الكوكلان او العرعر وشجرة البودوكَرْبُس وثمرها مخروط اشبه باكواز الصنوبر وخشب العرعر احمر اللون وخشب البودوكَرْبس ابيضه وقد ينيف قطر بعض شجرهما على متر

(٢) ان قوم الكافيرندو المفترشين ضفير البحيرة هم المعروفون بكافيرندو النيل واما المقيمون منهم بالمرتفعات فممتازون عنهم كثيراً وهم من نسل بَنْطو الاكبر

(٣) حبل من ليفٍ (المعرب)

بجوار البحيرة من عهدٍ قريب داءُ النُوام فتكاً لا يطاق وهم ينزعون بالخلقة الى المشاجرة والخصام لكنهم يرجعون الى مسالمة فهم سهلو المراس قريبو الاختضاع ويستعملون العزّامين والعزّافين والسحرة للاستمطار والاستشفاء ولهم ماشية على كثرة ويقولون انهم قوم الجالوي . والذي نراه ان ادارة المستر هُبلي قد أدت بالقوم الى التعامل فيما بينهم وترويج المتاجر فهم اليوم يعلمون بما تساويه الروبيّة ويفضلون اخذ المسكوكات ثمناً لسلعهم على الخرز وهم ماهرون بصيد السمك . ويطفو على وجه الماء في تلك النقطة من البحيرة عدد غفير من الزوارق تختلف طولاً فيما بين ثمانية الى عشرة امتار وعرضها متر واحد فقط ولا يستعملون المسمار في بناء مراكبهم فهم يشدون اخشابها بعضها الى بعض بحبال من مَسَد ويصنعون المراكب من خشب يعرف عندهم بخشب امولي ومقدم المركب غريب الشكل ينشأ من اسفله على موازاة القاعدة افقياً ذراعٌ حادٌ قويم هو عندهم أُمّ الحروب تُدَمَّر بهِ مراكب العدوّ وعلى هذا الذراع ذراع السُلّم يمتد الى الامام ثم ينعقف الى فوق ويكاد يكون انعقافهُ عمودياً وكثيراً ما يكون مزداناً بالارياش او قرون الظباء ويحمل مركب الاتجار او مركب الصيد من ستة عشر الى ثمانية عشر رجلاً يقعدون فيراقبون وجهة سيرهِ . ثم هم يستخدمون مجاذيف قصيرة ضيّقة الراحات . والمراكب في جزيرتي بوزوجا وبوڤوما اكبر جسماً من هذه بكثير وربما بلغ طول الواحد منها ثلاثة وعشرين متراً وعدد رجالها نيفاً واربعين ويسبح التمساح في جوار خليج كاڤيرندو وهو من دون غيرهِ جريءٌ مخوف يتقاضاهم ضريبة سنوية يكون لها في نفوسهم وَقعٌ عظيم[1]

---

(١) قبل ربيع عام ١٩٠٣ كان اجتياز البحيرة بين بورتفلورنس والمحلة الشمالية على بخارية صغيرة يقال لها وليم مكّينون . وعند هياج المياه (الأمر الذي يكاد يكون مستديماً ليثاً في البحيرة) لا تروق الملاحة فيها لان اسباب الراحة قليلة جداً في السفينة

ثم اذا انت بارحت كيسومو مريداً ضفاف البحيرة الشمالية والتفتَّ الى ورائك تبينتَ منظراً بديعاً . تذهب جبال لَمبُوَا ملازمة لشاطئ الخليج الجنوبي وفي مجيئك شرقاً على مسافة من ذلك الشاطئ ترى سلسلة جبال نندِي اشبه بنَدْحةٍ جميلة المرأى ويبلغ طول هذا الخليج سبعين كيلو متراً ومعظم سعته اربعة وعشرين لكن متوسطه اقل من ذلك بكثير فانهُ لا يتجاوز تسعة او عشرة كيلو مترات فيما بين شطيهِ . والوجهة من كيسومو في الغالب جنوبية غربية حتى مجرى رُوزنجا ومن ثم تنعطف في مصب الشمال الغربي . ويغشى طبق الماء طوائف البردي متناثرة على سطحهِ وغور تلك المياه قريب في عامة انحائهِ والذي تبيَّناه بالمسابر والمجاسّ ان معظم عمقهِ قلما يتعدَّى خمسة عشر الى عشرين متراً . واذا كنت من بورتفلورنس على تسعة وعشرين كيلو متراً [1] رأيت رابية مستديرة عشيبة قائمة على منبسطٍ من الارض يمتد بأزاء الشاطئ الشمالي وهذا البسيط عِرق اجرد خلوٌ من الشجر ولكنهُ كثير القرى المعروفة عندهم بالبوما . والى ما وراءهُ وعلى مقربةٍ منهُ هناك سلسلة آكام كُوزَندو المتقدم ذكرها . والارض على الطرف الشمالي للخليج غريبة في منظرها وشكلها ارض متقطعة متكسرة تُطبقها الأَدغال وهي تسير على هذه الصورة حتى تفضي الى آكام لُمْبَوا . وعند الكيلومتر السابع والثلاثين ترى فوَّهة بركان هُوْمَا الخامد ناشزة في الخليج ركاماً هائلة يصلها بالشاطئ مستطيل منخفضٌ من الارض كثيرة الرمال وعند هذه النقطة تتضايق سعتهُ فلا يزيد على تسعة كيلومترات . وبالقرب من تلك النقطة ترى في مهب الجنوب والجنوب الغربي مجموع رؤوس معروفة برؤوس عيسُو على مسافة يسيرة

وهي مفرطة القَلَق والتمايل على وجه الماء

(١) عُلمت المسافات المذكورة في هذا الكتاب من سرعة البخارية وقد قيست بالمسافات الواردة في الخريطة التي وضعها الكومندور هُوَيتْهوس ونشرتها نظارة البحرية

من الشاطئ يكون اعلاها رأس رُوي له ارتفاع عن مستوى سطح البحيرة نحو من ستمائة متر وشكل الآكام المذكورة غير منتظم. و بعض تلك الرؤوس مخروط و بعضها مستدير القمة وجميعها في الاصل بركانية الخلقة وهذا الشطر من الشاطئ فضاء وَعْر والارض في صوب الشمال منبسطة لكنها فوق مستوى الماء بكثير وفي امتدادها على سمته تملوها الجُنَب والاعشاب واذا أوغلت سيراً وصرت على بعض الكيلومات عن تلك النقطة زادت الخوانق ضيقاً وينتهي حرف يُوَاما في علاية منبسطة تعرف بعلاية أُمطَارَا فتلج المجرى من الشاطئ الشمالي و بالقرب من تلك النقطة صخرة من حجر البازلت نابتة في الماء تعرف بصخرة الحارس تنزلها طير الماء وسعة الخليج هناك لا تكاد تبلغ خمسة كيلومترات . و بعد اجتيازك علاية أُمطارا بقليل ترى على الشاطئ الجنوبي سلسلة جبال كاساجنجا شامخة على غيرها من الجبال علوًّا وارتفاعاً ويكاد طرفها الشمالي يلحق بالماء والمشهور ان هذه الجبال (اي جبال كاساجنجا) اعلى الجبال المحيطة بالبحيرة. وأرفع قممها عند خليج كاڤيرندو قمة جمبي يبلغ ارتفاعها ثمانمائة متر ولكن قمم غوازي في تلك الجهة يبلغ ارتفاعها الفاً ومائتي متر عن مستوى البحيرة ومظاهر الجبال هناك مشهورة بفظاعتها وَوَحشتها وذِرْوَة الجبال مع سياق الرؤوس المسنَّنة اشبه شيء في تحديدها بالمنشار عظيم الفَجَوات فهي شاهقة في الوَسَط كانها مخروط رثيث المناكب وقبالة هذه الآكام ساحل مستوٍ دَغِل يتصل بحرف الماء.. ولك من مجموع ذلك كله منظر غاية في الغرابة والنُدرة . ثم اذا تجاوزت الجبال من بورتفلورنس فانت في مقابل خليج كاڤيرندو وعلى جانبهِ الجنوبي جزيرة روزنجا وهي جزيرة كبيرة فيها كثير من الهضاب لا يزيد اعلاها على اربعمائة متر يفصلها عن البر الجنوبي خور متقارب الضفتين سمته في النقطة الشمالية نحو خمسة كيلومترات يحتفظ بهِ على اليمين جرُفٌ غاصّ

بالغياض والاشجار وفي طبقات ارض الجزيرة حجر الجير متداخل في طبقات الحمم والباقيات البركانية . والحجر كيانه رديء ولكنهُ صالح للبناء في بورتفلورنس . والى الجنوب الغربي عن روزنجا جزيرة اخرى يفصلها عنها خَوْر متداني الجانبين وتعرف بجزيرة مُفُونْجانو وهي اعلى منها مستوًى واوعر وفيها اربعة او خمسة انوف صغار وكل هذه الجُزُر آهلة بصيادي السمك والقاصدُ يدخل الخليج من بورتفلورنس فيقطعهُ وهو منها على سبعين كيلومتراً فيقع الى عين البحيرة . وهناك صخرتان أَدت غرابة شكلهما الى تسميتها بجزيرة العبَّارة وهناك يتغير لون الماء فهو عند كاڤيرندو قذِرٌ عكر ولكنهُ في البحيرة نقي طاهر واذا قصدت ناحية جنجا فقبِلتك مهب الشمال الغربي ولا تبصر العين الى الجنوب ارضاً ولكنَّ في الشمال حُرُوفاً ورؤوساً وجُزَيّراتٍ عديدة ولا يكاد البرُّ يُرى في المسافة القصيَّة . وعلى خمسين كيلومتراً من خليج كاڤيرندو في الوجهة المذكورة ايضاً هناك عدة جُزُر معروفة عندهم بجُزُر لُؤلُوِي فيها اربع بقاع حجرية احداهنَّ فسيحة والثلاث الأُخَر منحطّة الاديم وجميعهنَّ كثيرة النبات والآجام كثيفتها وموقعهنَّ يجعلهنَّ مرفأً أميناً تتقي فيهِ المراكب شر العواصف التي تقوم في البحيرة وهي على مسافة خمسين او ستين كيلومتراً عن بورتفكتوريا الى الجنوب الشرقي . ولقد سبرت مياه البحيرة في ما وراءَ هذه الجُزُر فكان غورها معظمه ثلاثة وسبعين متراً . واذا تخلفت عن جزائر لولوي على سنن الاتجاه المتقدم ذكره تغيب عنك الارض ما خلا بعض الجُزَيّرات القصية في الشمال ومياه البحيرة اشبه شيء بالبحار . والانواء اذا قامت فيها زادتها شبهاً من اوجه كثيرة فان عصفت الريح هاجت المياه وماجت وتعالت علوًّا عظيماً فيكون السير فيها شاقاً جداً على الملاَّح المجاذف ويتلو المرفأ المتقدم ذكره مرفأ آخر يقع في جزيرة بُوجَايا على ثمانية واربعين كيلومتراً من جُزُر لولوي الى الشمال الغربي

عنها. والجزيرة واسعة شاخصة روابيها صُعُداً ورؤوسها مستديرة تميل نزولاً من أوساطها بانحدار خفيف حتى تتدانى من الماء . والقنن القصوى علوًّا خلوٌ من الشجر ولكن تخنقها الحشائش والاعشاب على خلاف القنن المنحطة فانها كثيرة الشجر وهناك كثير من القرى متوارية في وهاد تلك الجزيرة والمتعارف انها آهلةٌ بالخلق الكثير وآثار بناء الخندق الذي كان الجزائريون يستخدمونه في وقائعهم المستديمة مع اهل واجَنْدا لاتزال الى اليوم ظاهرةً للعيان والمنبسطات من الارض بجوار الشاطئ تزرع دخناً (ذرة) وبطاطا ويكثر في تلك الانحاء شجر الموز وعلى وجوه القوم امارات اليسر والبِشْر ولباسهم نظيف ولهم بذلك أشدّ الشبه بقوم الكافيرندو ومنحدرات هذه الجزيرة والجزر الاخرى التي في جوارها مكسوَّة جميعها طبقة حجرية رملية . واما اعالي الروابي فتربتها ضعيفة غير خصيبة وعلى سطوحها طراً منبثقاتٌ من الحجر المتبلور والحجر الصواني وليس الشاطئ بأجميّ ولكن في البرّ مستنقعاتٍ واسعة النطاق والى شمالي بوجايا تواً ترى جزيرة بُوفوما الكبرى ويفصل بين الجزيرتين لسان من الماء فُرجة ما بين جنبيهِ تمايز بين خمسة الى ستة كيلومترات . ولما كان هذا المضيق تكتنفهُ الارض كان ولا ريب سرفاً صالحاً للمراكب إبَّان العواصف

اما بحيرة بوفوما المتقدم ذكرها فاضخم الجزُر في تلك البحيرة وهي مثلثة الشكل وتحوم مساحتها حوالي اربعمائة وخمسين كيلومترًا ومنظر شواطئها كثير الشبه بشواطئ بوجايا لكن ارض الجزيرة جبلية قيل يبلغ ارتفاع بعض جبالها عن سطح مياه البحيرة ستمائة وخمسين متراً وتزيد (١) . وفي الجزيرة بقاع مستفيضة بالغابات والمشهور عن اهالي بوفوما انهم أشد قبائل الجزر الاخرى بأساً واقتداراً فلقد حملوا على جماعة السر استانلي يوم همت بالنزول الى

(١) كتاب مستعمرة اوغندا للسر هنري جونسن مطبوع في لندرا سنة ١٩٠٢

الجزيرة وردوهم مستظهرين • قيل كان للقوم فيما تقدم عمارة ضخمة من الزوارق وقد ظلوا جيلَهم يواصلون شن الغارات على اهل اوغندا من البر واما هؤلاء فقد احبطوا واعياهم الاستظهار

اقول ومنظر هذه البقعة من البحيرة لهُ نضارة رائعة سيمتُهُ السكون والهيبة فانك ترى البحيرة هادئة يطيف بها رواب ذات اشجار وغابات ومضارب الاهل مسقفة نظيفة وفيها كثير من غابات الموز وكلها جَمْعاء تمثل السَكِينْةَ والبقاء في الخير فلا يُخيِّل لرائد تلك الانحاء الا انه في البلاد الاوروبية لا في اجواف افريقيا

هذا والمضيق الذي تجري فيه المراكب فيما بين بوجايا الى جنجا تكاد تكون ذِهْبَته شمالية محضة وهو يسير غربي بوفوما فارزاً اياها عن البر وسعتهُ ما بين خمسة وستة كيلومترات ويتخلل في سيره نسيقاً من الجُزُر ذاهباً من بينها بتعاريج وله في ذلك صُوَر واشكال جميلة تدهش الابصار ويقرب من هذا المنظر منظر تلك الجُزُر مقروناً بمنظرة البر وعلى ضفاف الماء وضفيرها صغار الآكام والقنن وفَجَوات الاودية الغاصَّة بالادغال والآجام ومن وراء تلك الآكام والقنن براح فسيح من الارض متعادٍ صعوداً وانخفاضاً متعاقبين وعلى خمسة وستين كيلومتراً شمالي بوجايا مدخل خليج نابوليون وهو خليج ضخم شكلهُ غير نظيم وعلى جوانبهِ كثير من الأَخوار كانها فُرَض احدها يقع شمالاً بغرب حتى يتصل بمساقط ريبون فمخرج النيل وآخر كبير الجرم يذهب شمالاً بشرق ويعرف بخور رَسْتُن تحبُّباً بذكرى الماجور رَسْتُنْ • وترى بين هذين الخورين قمم اوزرجا تشخص صعداً الى حد مائة او مائة وعشرين متراً عن سطح مياه البحيرة • ويزدان الخليج بجُزَيّرات شتى وعلى يمينك شرقاً حصنٌ مشهور بحصن لُوْيَا وفيهِ قُتِل الماجور لويا صاحبهُ وصَحبُهُ اجمعون بيد الجنود السودانية ايام الثورة المهدوية وكان ذلك في عام ١٨٩٧

وعلى يسارك في البر حَرْف مستعلٍ وعلى قَيْدٍ قصير منهُ الى الشمال الغربي اكَمة مسنَّمةٌ . ثم ان محلة جنجا على ميمنة الخليج المستطيل المؤدي الى المساقط او الجنَادل والخليج نفسهُ في مسافة ثلاثة كيلومترات من مجراه يكون بين جروف قائمة مستوعرة وهو يضيق عرضاً كلما قرب من مخرج النيل . والمحلة قاعدة قسم بوزوجا وهي صغيرة وموقعها صالح قائمة على معاقل نابتةً صعوداً من الماء وفي هذه النقطة موردة (مأتاة) صُغْرى لها مِقْياس ترصد بهِ منازل مياه النيل غير ان المقياس فيه نَقْصٌ وهو غليظ مصنوع بغير هندام ولا اتقان ورَصْد ارقام منازله مستصعب . ومهما يكن امره فموقعهُ افضل مواقع المقاييس المقامة على البحيرة فانه في أديم يكتنفهُ البر فيقيه شرّ العواصف والانواء ولما كان موقعهُ عند النقطة التي ينبع النيل منها كان معتمد القطر المصري على الارصاد المأخوذة عنه . اما مكاتب الحكومة ومخازنها ومستودعاتها فيشملها سور من اخشاب طويلة مغروزة في الارض متقاربة بعضها من بعض وشكل السور مربع قائم الزوايا . والقسم المذكور كثير الزروع وأهم ما يرتفع منه البطاطا والذرة الهندية والموز

والارض هناك سمينة الى الغاية تربتها دقيقة الحُبَيْبات راسيةً فوق رأس الصخور الشفافة في جميع تلك الارض فاذا تطلَّعْتَ البلاد من جنجا كان لك منها مرأى انيق بهيج فالى جانب واحد ترى البحيرة وجزُرها والى جانب آخر ترى العلايات الخصيبة المشرفة شمالاً وشرقاً وارض القسم عامتها مستوية مكشوفة ولكنها تنحدر انحداراً بيناً صوب الشمال وهناك منطقة الغياض الواسعة الاطراف والغابات الملتكة الشجر . يقال ان في بعض المحالّ من البلاد معدن الحديد على كثرة وحجر الطُّفَال والنحاس وفي مواضع منها يُشاهد حجر الجير

قلتُ فيما سبق ان نقيل (١) لوزوجا يميل الى الشمال متنائياً بعيداً عن

---

(١) السيل يجئ من ارض ممطورة (المعرّب)

البحيرة . وأقول ان جميع الانهار التي تقطعهُ تتعالى الى حد الرابية القائمة بازاء بحيرة فكتوريا وتسير الى النقيع الاكبر ومن ثم تذهب فتصب في النيل . واهل هذا القسم هم البازوجا يشاكلون اهل الواجندا هيئةً وسحنةً وهم طوال القامة سمر اللون وكثير منهم حسان الخلقة ماهرون في الملاحة خبيرون بها ويتقبَّعون قبعاتٍ من وَبَرَ مختلط اللون سواداً ببياض[1] . هذا وان تكن جنجا مرتفعة عن مستوى البحيرة فهي وخيمة الهواء كثيرة الادواء . ولقد نزل باهل بوزنجا داء النُوام فكانوا اكثر القوم مَصَاباً بهِ فقد فتك بهم فتكاً فظيعاً وربما استُثنيَ من هذه البلاد جُزُر سسّي . قال المستر جرانت وكيل المندوب في تلك البـلاد ان هذا الداء قد هلك بهِ ما ينيف على اربعة عشر الفاً من الانفس وفي بعض المواضع اغتال الداء خمسة وسبعين أو ثمانين بالمائة من هؤلاء البائسين . قالوا ان هذا الداء تفشّى في زمن المجاعة التي انتابت اهالي وادي النيل الاعلى وقسم البحيرة في سنة ١٨٩٩

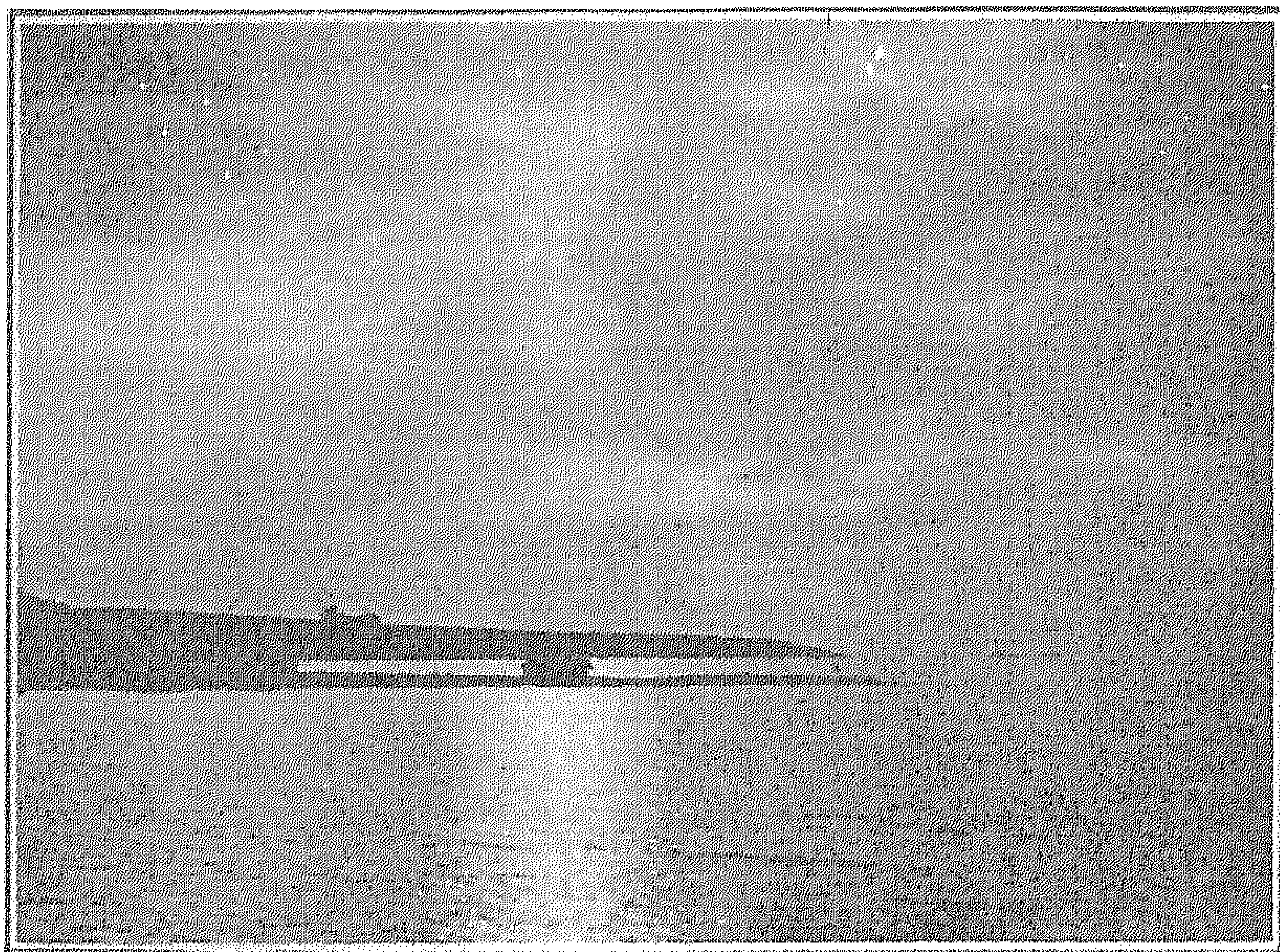
وعلى مقربة من جنجا الى الجهـة الخلفية الشمالية ترى على وجه مياه البحيرة مجرًى ظاهراً تكون ذهبته صوب الشمال وتسمع لوقعه طنطنة ودوياً واذا دُرتَ بجُرُف هنالك مرتفعٍ ترى في الماء الى جنوبي الشلال رِداهاً ناتئة منه[2] ثم يضيق المجرى حتى تخالهُ قمعاً او مدخنةً قائمة حَشْوَ الجروف يبلغ ارتفاعها زهاء ستين او سبعين متراً عن سطح الماء وظاهر هذه الجروف مطبَق بكثيف النبات وقمهُ مكسوة غاباتٍ وادغالاً وحمرة لونها تقع على بقاع تلك الارض الغبراء لامعــة براقة وهذه الجروف الحادة قائمة فوق الماء كأنها حُرَّاس شِيبٌ . ثم تسيب مياه النهر الى الحجاب الحاجز كأنها في في مسيرها بلور واذا بلغتْ الجنـدل تنقصف بثلاثة مجارٍ يتخللها جروف

(١) لعلهُ وَبَر القرد الكولابوسي
(٢) الرِداه جمع رَدْهة وهي الصخرة في الماء (المعرب)

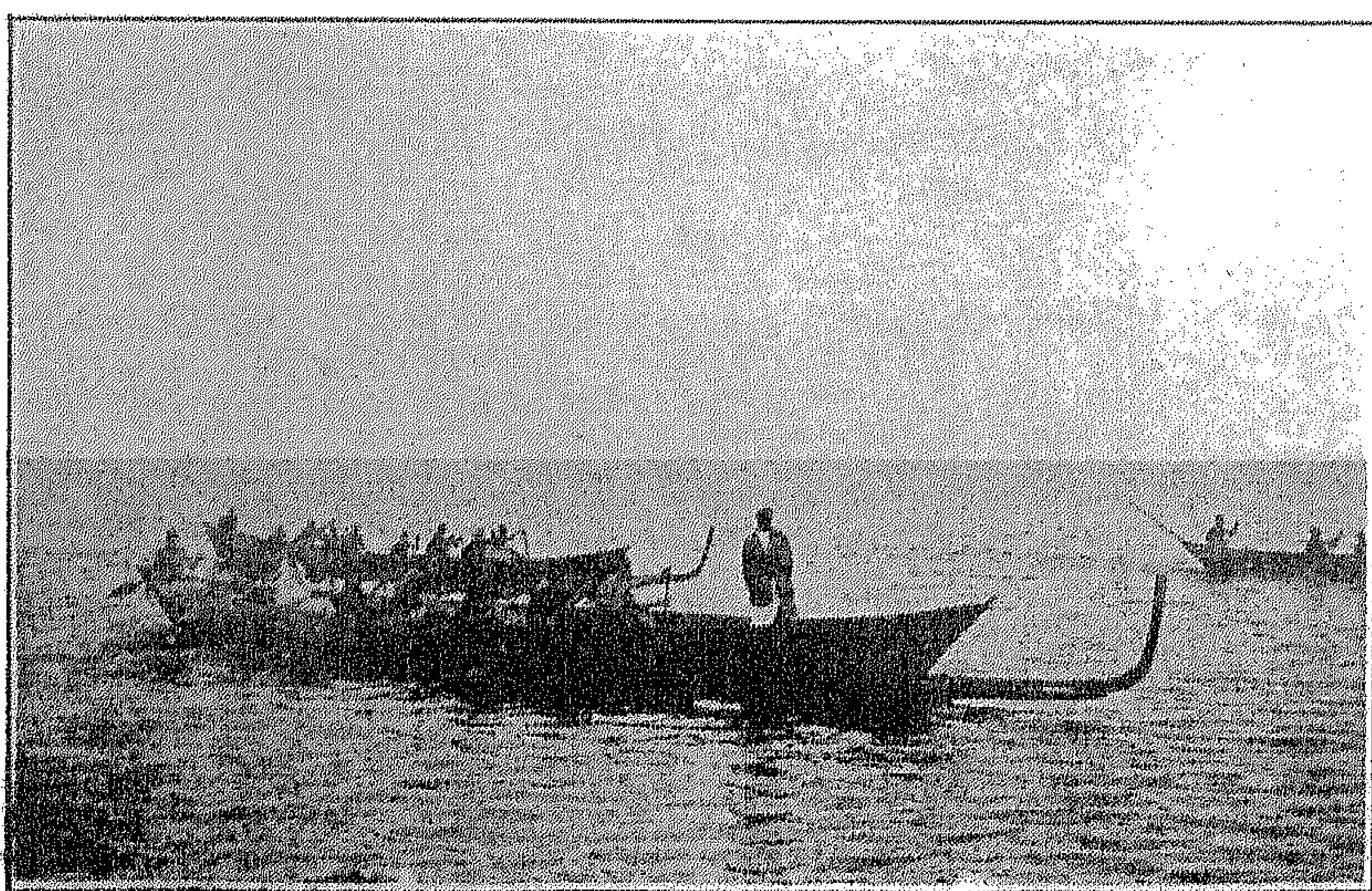
فوارق وتنهمر منسكبةً في الشلال فتثور في حضيضه جائشةً في زَبَدٍ كالعهن المنفوش . والمنظر باجمعهِ فريد الملاحة والبهاء ولكنهُ هائل الى الدرجة القصوى . اقول وهو أَحسن ما يُشاهَد في تلك المستعمرة من المناظر منظر لا يكاد يفوقه منظر في نقطة اخرى . وأبهى من هذا وذاك منظرة تجتليها العين من اعالي الشلال : يسير النيل في مهب الشمال منساباً في مضيق عميق تكتنفه جرُوف كثيرة الغابات على كلا الجانبين فتجوز مياههُ من بينها مترامية على صخور الجنادل الدردورية فتتلاطم عندها مزبدة . اما لون مائهِ فازرق قاتم يقرب من لون اللازورد ولكن حبائك الزبد ناصعة اللون الدالة على وجود الصخور في مسيله تجعل سطحهُ مخططاً الى ما لا نهاية وقد تعترض الجزُر مجراه فتجعله عدة مجارٍ متفارزة تشملها الجروف المستعلية الغيلية . ومشاهد جنادل ريبون تنطبع في مخيلة رائيها فلا تمَّحي منها لانهُ فضلاً عما يوقعهُ منظر تلك البقعة في النفس من الخاطرات لِمَا أَن فيها منابع النيل فان مرأَى البلَد نادر الجمال حتى لقد تندغم صورتهُ في ذهن رائيه فلا تبرحه . هذا والرسم الملحق بهذه المجلة والقطاعات العرضية تهيئ للبصيرة ماهية هذه المسَاقط ومجرى النهر عاليها وسافلها (١)

ثم ان عرض النهر في نقطة هي عن الجرُوف الحجرية نهاء ثلاثمائة وسبعين متراً جنوباً يكون خمسمائة وخمسة عشر متراً ومعظم غوره ستة امتار ولا يجتاز الجرُف المذكور حتى يتدانى جانباه فتقل سعته وربما صارت الى ثلاثمائة وخمسة وخمسين متراً ثم يتسع بالتزايد حتى يبلغ ثلاثة عشر متراً وعندئذٍ يصير المجرى مجريين أَشدهما واعمقهما يسير بازاء الضفة الشرقية ويقع بين هذين المجريين بطيحة سمة مغيضها سبعون متراً ماؤها يكاد يكون

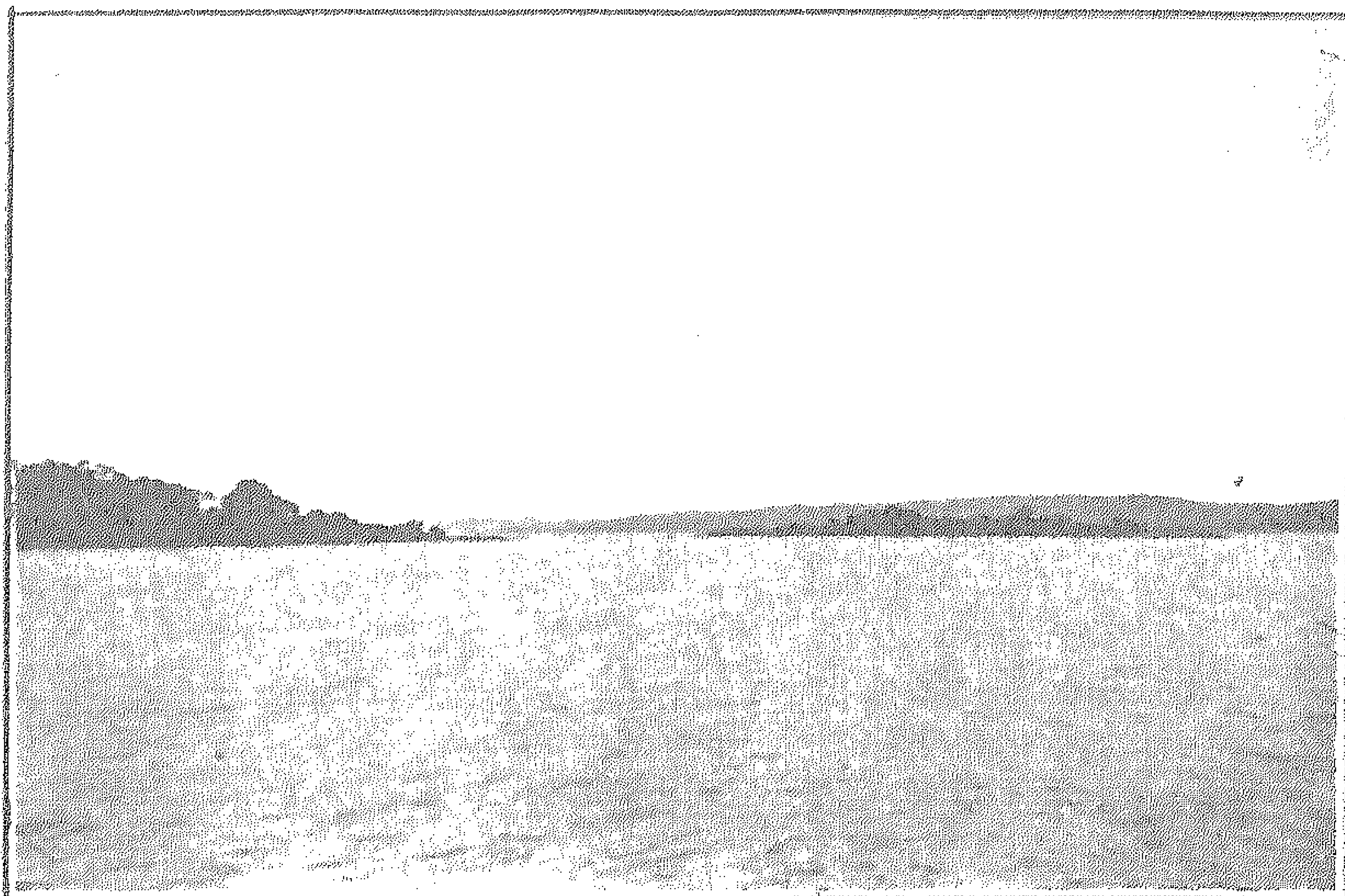
(١) مساحة هذه البقعة باشرها جناب السر جورج هُوَيْهَوْس رأس مهندسي اوغندا بناء على طلبنا .



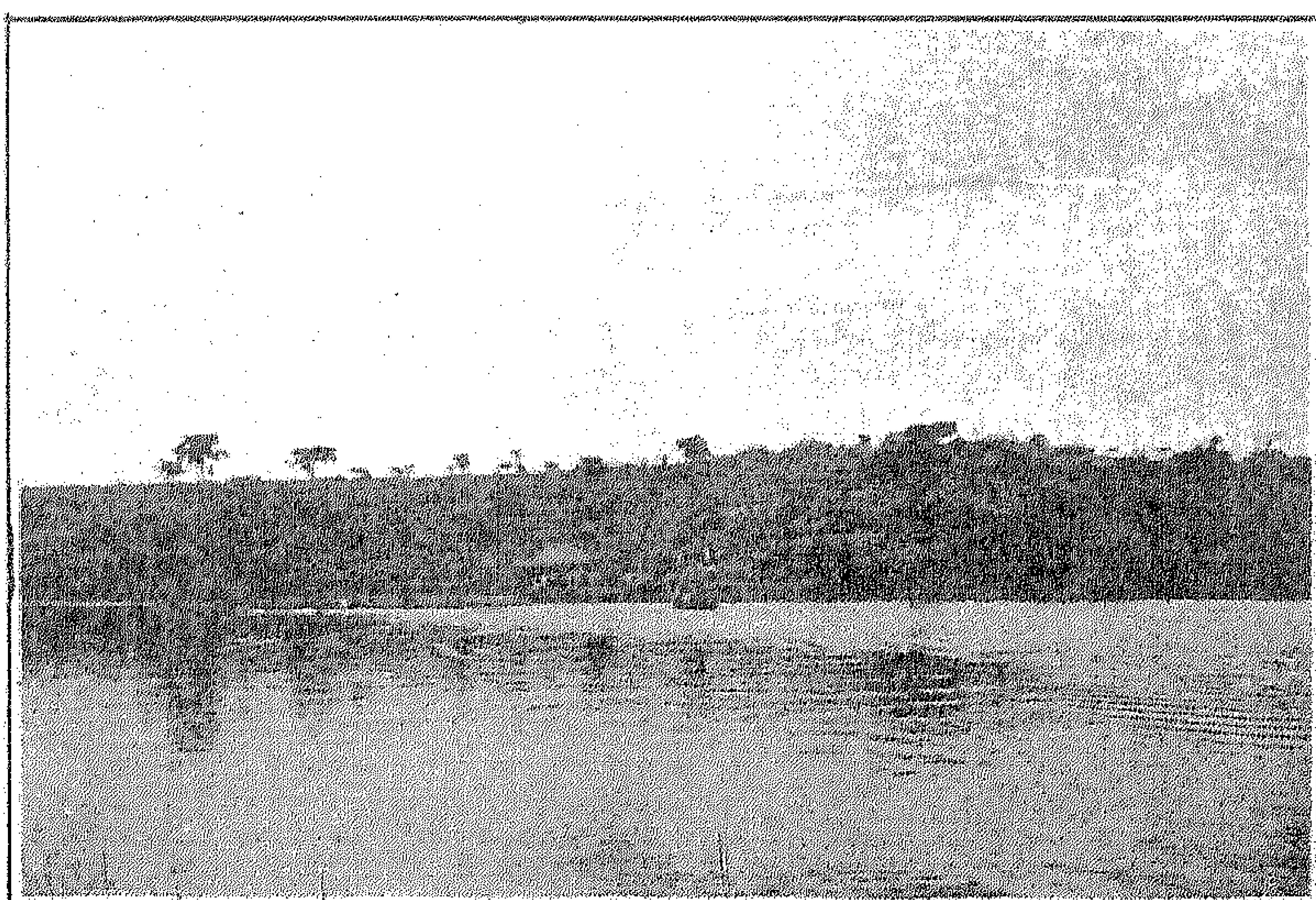
جزيرة بوجايا فى بحيرة فكتوريا



زَوَارق أغَنْدية فى بحيرة فكتوريا



خليج نابوليون فى بحيرة فكتوريا



محلة جنجا الملكية فى قسم بوسوجا على بحيرة فكتوريا

آسناً لا يتجاوز غوره متراً واحداً ونصفاً . والى الجنوب عن الشلال في شقة قدرها ستون متراً عنه قطعة من صخرٍ مستطيلة ضيقة بارزة في الفرع الشرقي تذهب بالمياه القهقرى وتقطع المجرى وعلى ذلك تجتاز المياه معظمها من فوق الجنادل من الفوهة الغربية . واما الجرُف الحادث منه الجندل فله ثلاثة مخارج تنفذ منها المياه زالقةً من فوقهِ اعظمها الغربي وعرضه سبعون متراً ولكن الفوّهة الوسطية يكون عرضها اربعين متراً. والمخرج الشرقي اصغرها سعته سبعة عشر متراً فقط . وارتفاع مسقط الجندل خمسة امتار. واما مقدار دَرَك المياه المتزلجة عن قمتهِ فيتعذر تعيينهُ. وبعد الجندل الى الشمال عنهُ تعدل المياه فوراً الى الجانب الشرقي منعطفة حول صخرة ناتئة ثم تحول توًّا في سمت الغرب فتكون وُجهة مجراه في تلك النقطة شمالية في عامته ويكون متوسط سعة مسيلهِ في مسافةٍ من طوله مائتين وخمسين متراً. والانحدار هناك شديد والجنادل مقيمة فيهِ على قدر مد النظر ويؤخذ من الاقيسة التي عُملت عن ايراد مياه النيل في الثاني والعشرين من يناير سنة ١٩٠٣ على مسافة اربعمائة متر جنوبي الجنادل وعلى مائة متر جنوبي الجرُف الاول ان سعة النهر في تلك النقطة تكون اربعمائة وستة امتار وتسعين سنتيمتراً ونهاء غور المياه فيهِ تسعة امتار وعشرون سنتيمتراً لكنها قريبة الغور على الضفة الغربية منهُ . وبلغ معظم متوسط السرعة في اي قطاع من القطاعات خمسة وثلاثين سنتيمتراً في الثانية الواحدة واقلهُ واحداً واربعين مليمتراً في الثانية وبلغ المتوسط الذي استُخرج ثلاثة وعشرين سنتيمتراً وسبعة اعشار واما مقدار التصرف فخمسمائة وثمانية واربعين متراً مكعباً في الثانية الواحدة وكان مقياس جنجا رقمهُ حينئذٍ قدمين وعقدتين أي تسعة وسبعين سنتيمتراً . هذا ولما كانت المراكب التي تستعمل في تلك النقطة من البحيرة قَلِقةً جداً

(١) هذه الجروف الصخرية تبعد بقدر ثلاثمائة وسبعين متراً عن الشلالات

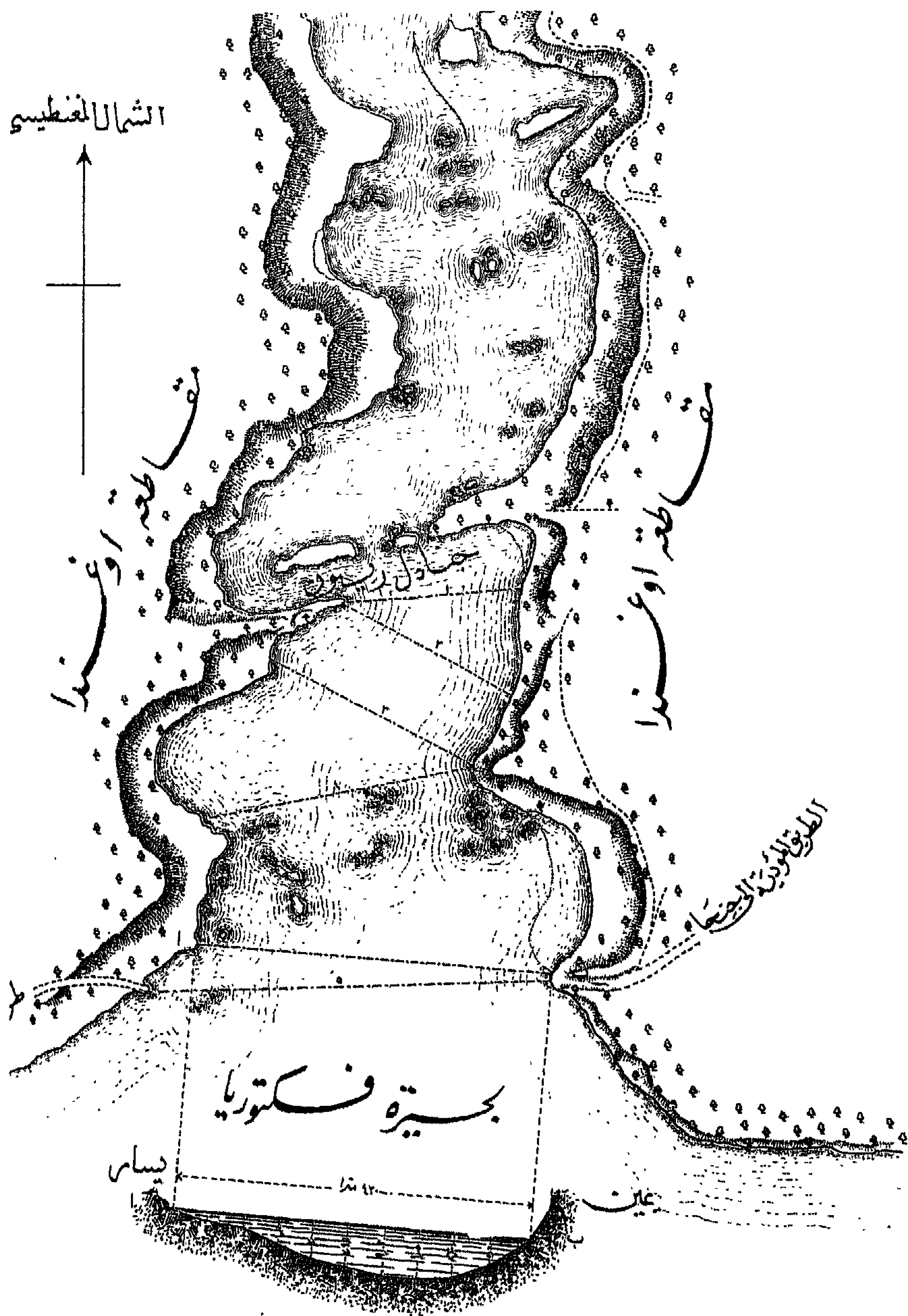
اذ هي قطعة واحدة من أرومة[١] ينقبونها ويصوغونها قارباً كانت الحال توجب الاحتراس الكلي والتدبر عند مدّ القَلْس[٢] وشد القوارب . هذا وملاحو بازوجا ماهرون في حرفتهم ولكن لو تأتى ان ينفصم الحبل في اثناء عملية المقاس في مجرًى من النهر هدّارٍ لحملت مياههُ القارب دافعةً اياه في مهواة الشلال . والنهر هناك يسبح في اجوافه جنود جرارة من التمساح

واما مسألة ما اذا كانت جنادل ريبون موقعاً صالحاً لان يقام فيه حابس لموازنة المياه وتعديلها فوجز ما اقوله فيها الآن ان ليس في اقامة حِبْس في النقطة المذكورة من الصعوبة الاَّ ما قلَّ فالصخر هناك صَلْدٌ مادته دِيُوريتيَّة مُصْمَتَة الالتحام ولا تُخَال الاّ ملائمة لاقامة ذلك الحِبْس فاذا أُريد اقامته حُوّلت مياه النهر (وتحويلها قليل الصعوبة) فتجوز من واحدة من الشعاب ريثما يتم البناء في الشعاب الاخرى فمتى تمَّ هذا الجزء تُدَار المياه على الحِبْس المصنوع فتمر خارجةً من فتحاته ثم تسد تلك الشعبة . واما تخفيض الحرف ففيه صعوبة اكثر اذ ليس تدبير التحويلة التي تقام هناك بالامر المستسهل وزد عليهِ ما يستوجب هذا العمل من نسف الصخور في بطن النهر حتى يتهيأ له مسيل ثابت . نقول ومع ذلك فان هذه العملية ليست العصوبة فيها مستحكمة حتى يمتنع مُبَاعدتها وزحزحتها

ولقد لازمنا في مسيرنا من جنجا الى عنتبي بوغاز بوفوما مسافة اربعين كيلومتراً كما فعلنا في سفرنا من بُوجايا فهبطنا الى مضيق رزبيري والبوغاز واسع يختلف عرضه من بين ستة الى ثمانية كيلومترات وهناك على يمينك براوغندا وعلى شمالك صف من الجُزُر يقيه شر طغيان الماء . والوجهة العامة سمت الجنوب الغربي وهذا المضيق آمن لا تهيج مياههُ الا اذا هبَّت

---

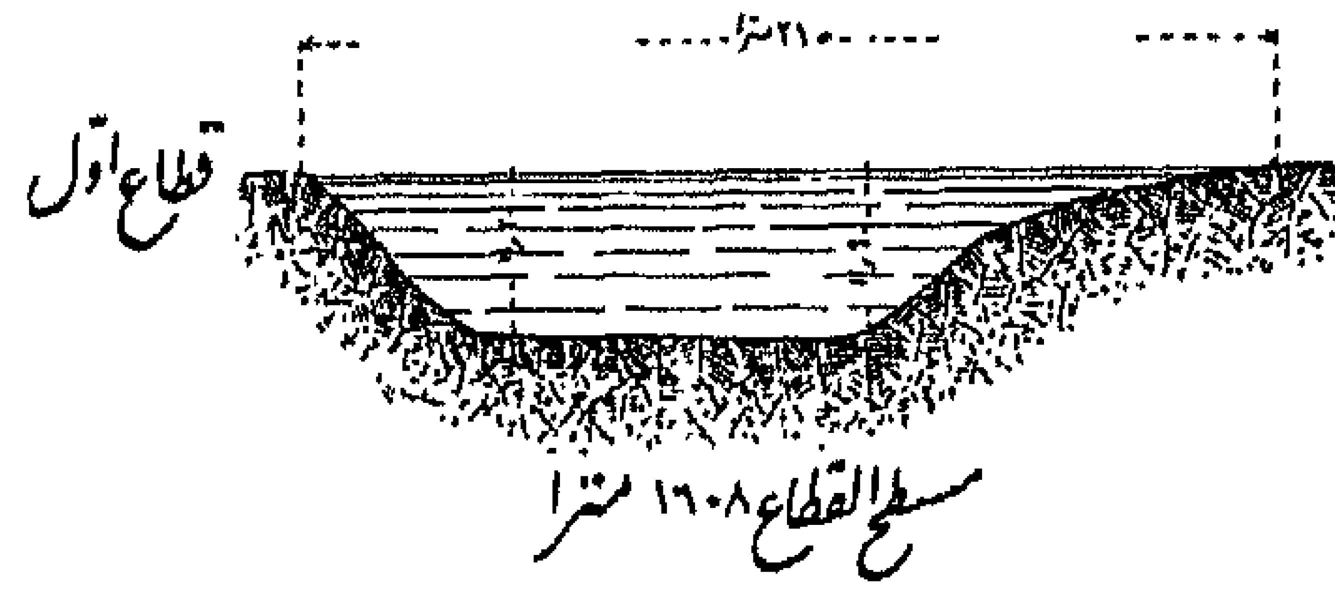
(١) الأرومة اصل الشجرة وجِزْعها (المعرب)
(٢) القَلْس حَبْل للسفينة ضخم (المعرب)



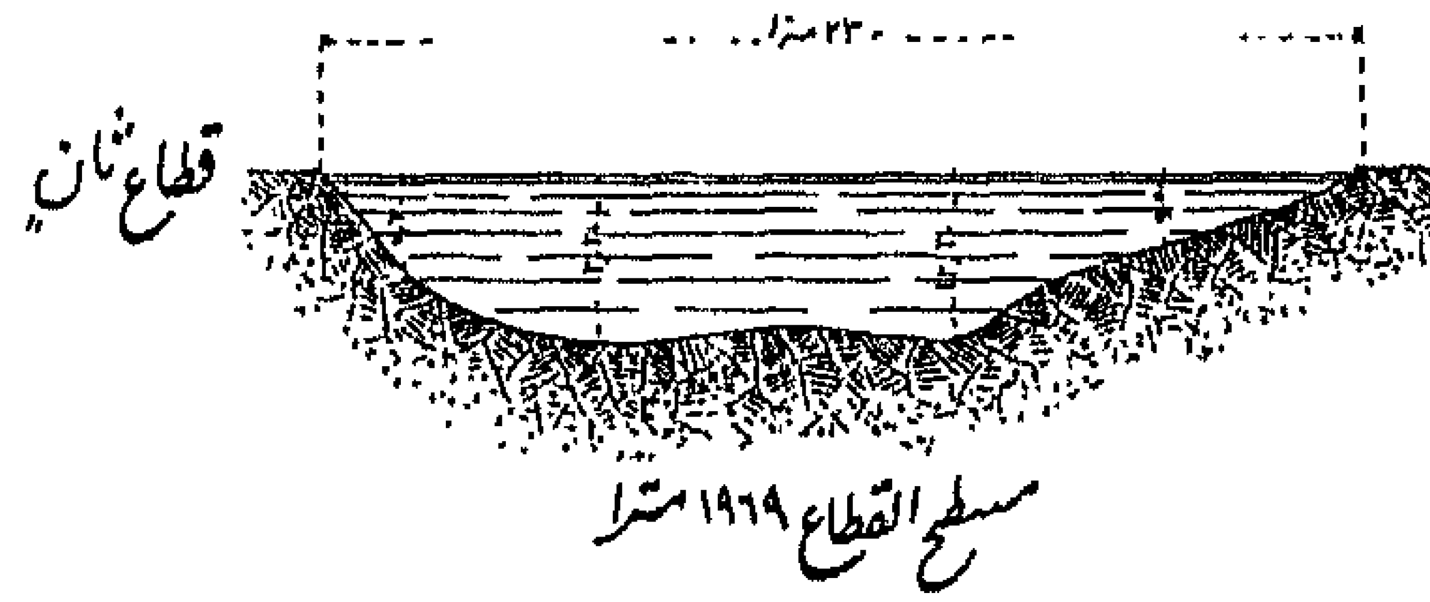
الشمال المغنطيسي
مقاطعة اوغندا
مقاطعة اوغندا
الطريق المؤدية الى جنجا
بحيرة فكتوريا
يسار
يمين
مقياس افقي
امتار
يردات

الرسم الأول (ب)

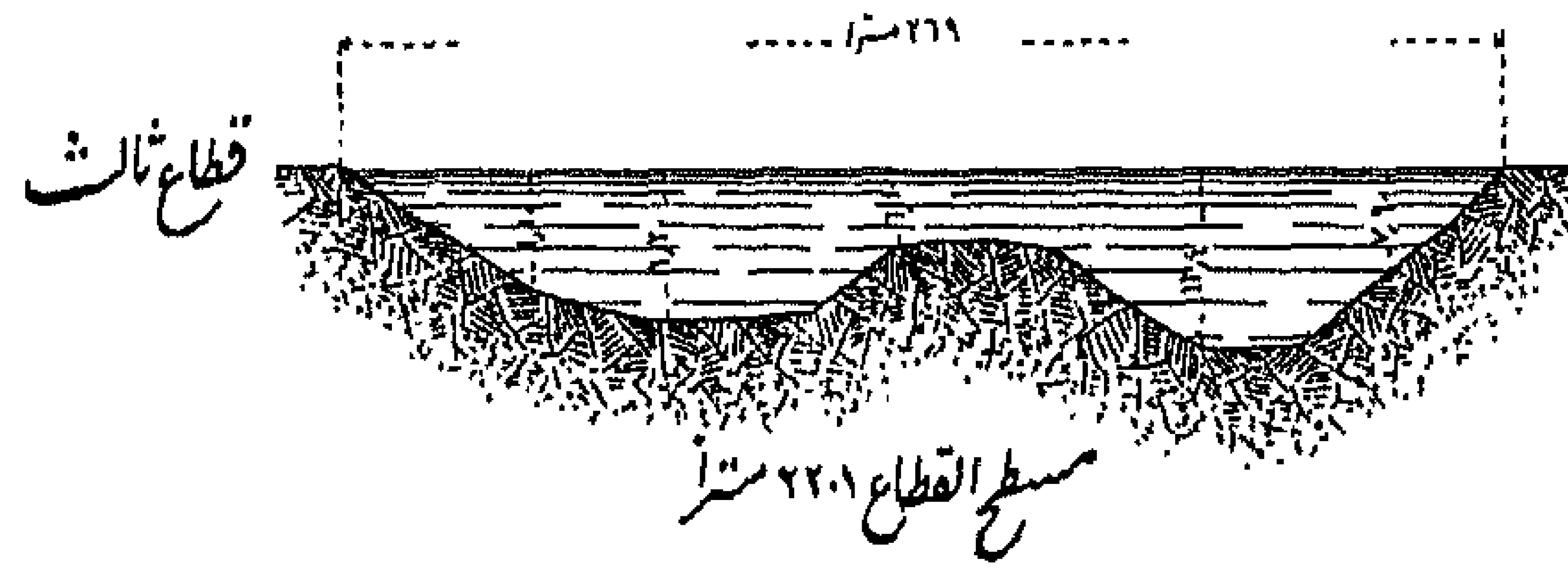
قطاعات عرضية للنيل في سنة ١٩٠٣ عند جنادل ريبون



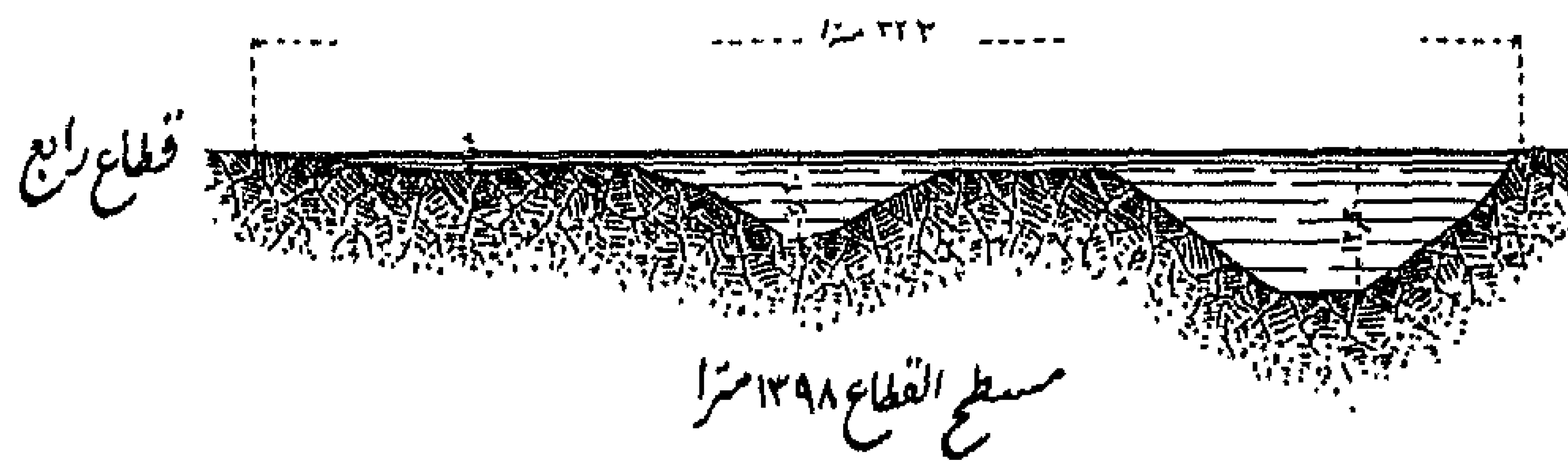
مسطح القطاع ١٦٠٨ مترا



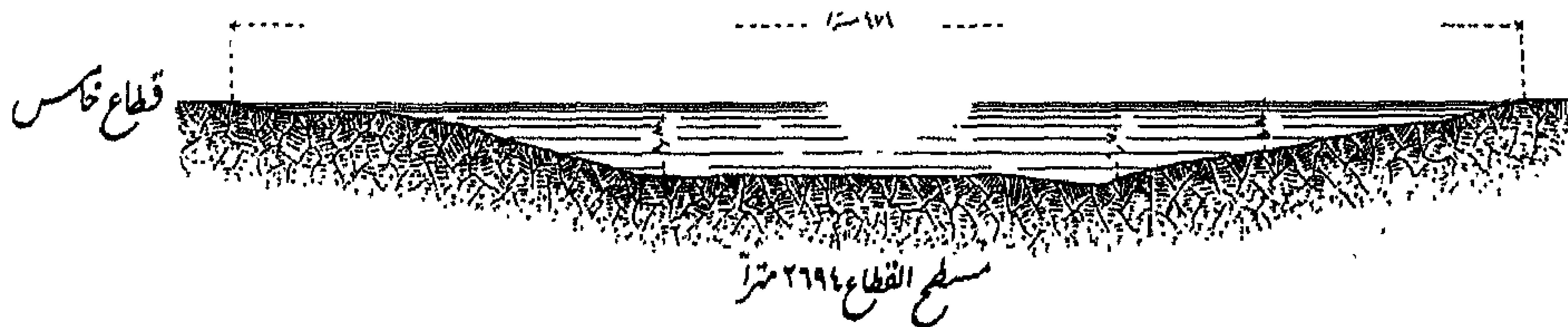
مسطح القطاع ١٩٦٩ مترا



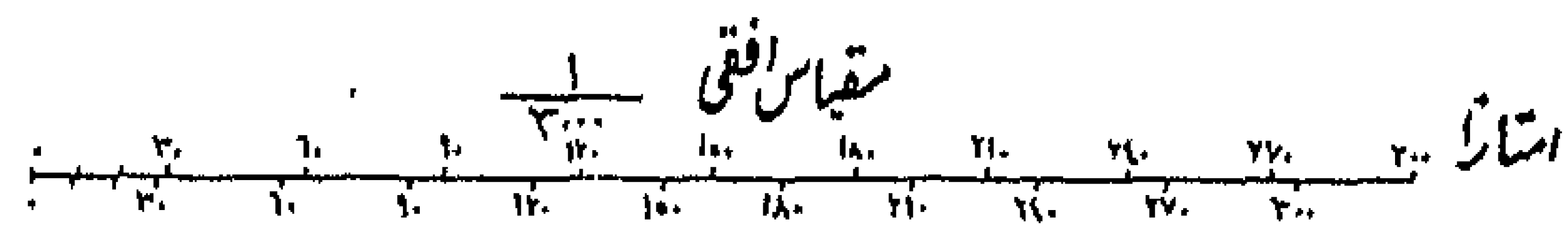
مسطح القطاع ٢٢٠١ مترا

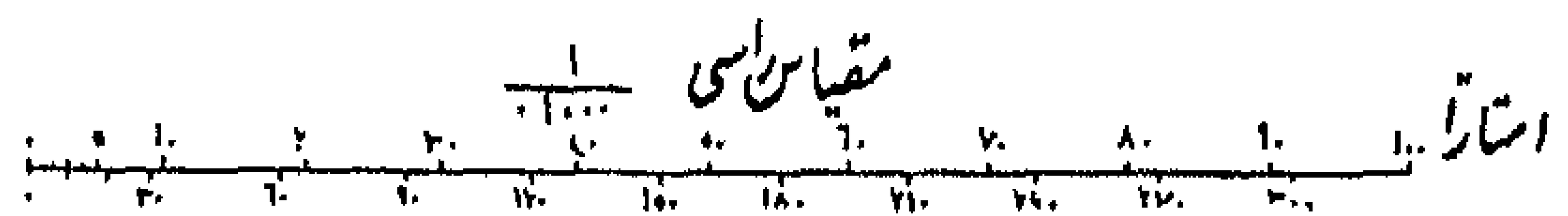


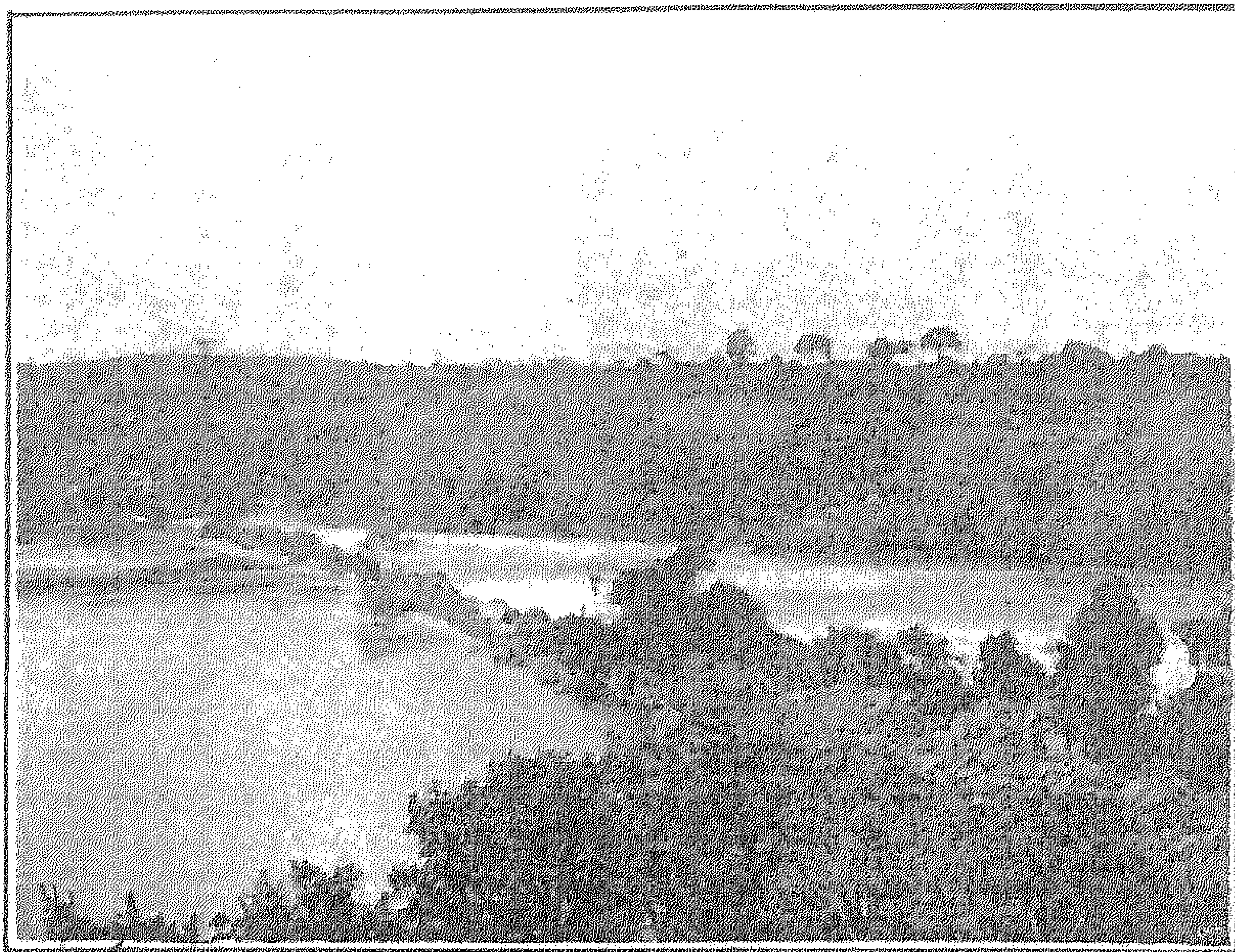
مسطح القطاع ١٣٩٨ مترا



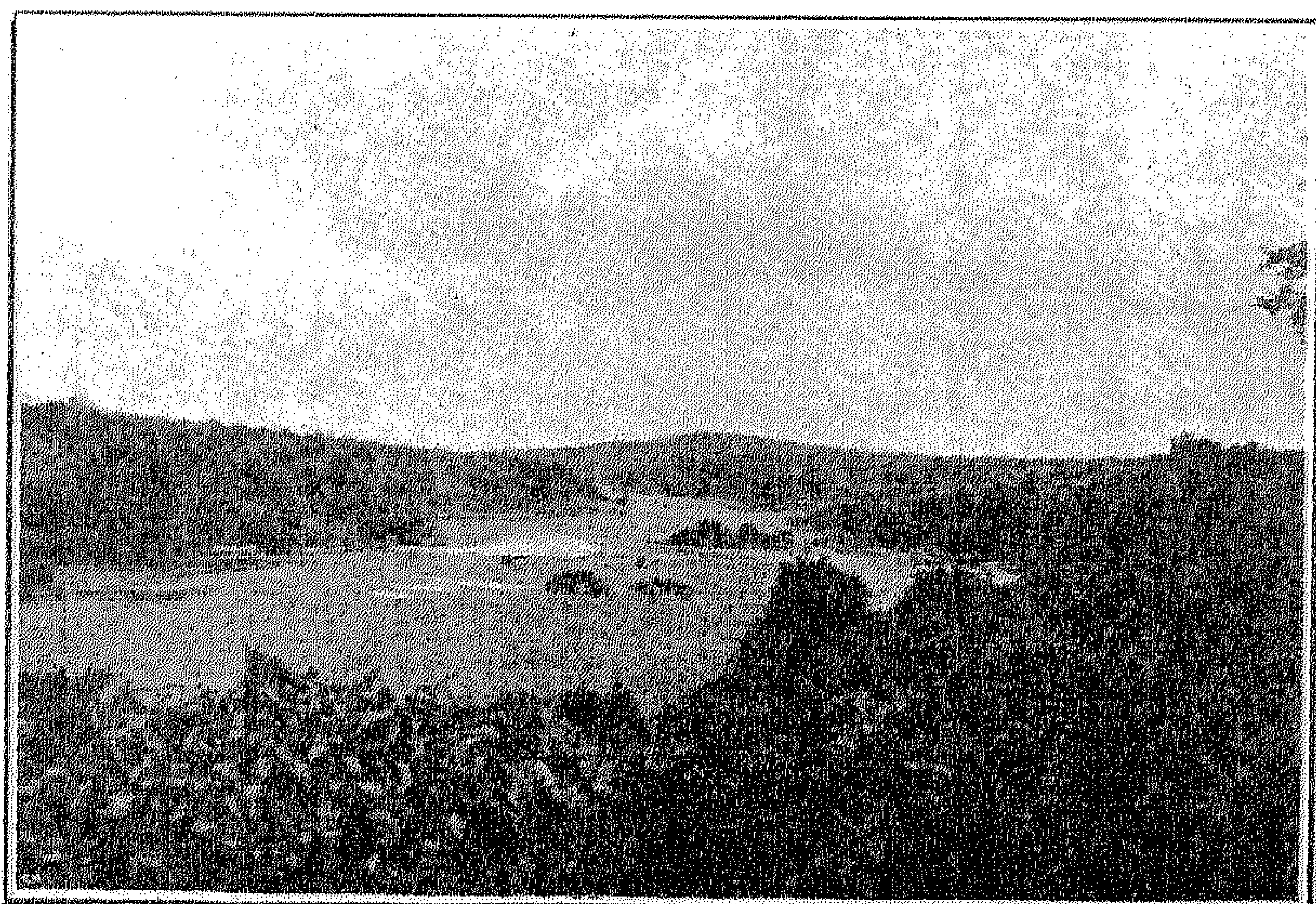
مسطح القطاع ٢٦٩٤ مترا







جنادل ريبون ومخرج النيل الابيض على بحيرة فكتوريا



النيل الابيض من خلفه عند جنادل ريبون على بحيرة فكتوريا



جنادل ريبون (عن رسم شمسى للمستر هربرن صموئيل)

اليها نسمات شديدة من الجنوب الغربي . وهي الجزُر على شمالك قطعة من الارخبيل البوقومي ولكنها من حيث الايرادات معدودة من ارخبيل سسّي . ومنظر مضيق رُزبيري مُملٌ مُضجرٌ . وهنـاك الخليج والعلاية يتتاليان على نمطٍ مُسئم . والروابي منخفضة وأعاليها مهَدات قاحلة جرداء لا غرابة في شكلها ولا ما يستميل النظر الى رسمها . وما من رابية منها يتجاوز ارتفاعها مائة متر عن سطح البحيرة . وعامة ضفاف الخلجان والمَسايل غابات وحرَجات . وهذه الارض الصلعاء تنشأ من شاطئ البحيرة في مستطيل يكون عرضه من بين سبعة الى ثمانية امتار والى ما وراء ذلك بقعة من الارض كثيرة الاهل والزروع وليس في جوار البحيرة الاَّ ما قلَّ من المرُوت(١) والآجام ولكن في الوادي داخل البرّ مآجل مستنقعات واسعة الاطراف واما مضيق رزبيري فاذا صرت في خمسة وخمسين كيلوامتراً منهُ تراه ينفرج مستعرضاً ويعرف هناك بمضيق دَمْبَا وذلك من حد جزيرة دَمْبَا الكبرى شرقاً . والآكام قُبالة تلك النقطة تبرز من الماء شاخصة شخوصاً عمودياً والصخور قائمة بمنحدراتها وميولها تغشاها الاعشاب وليس على الشاطئ في تلك الجهة اسكلة او موْردات . والوجهة العامة بانحرافٍ على سمت الشرق ومن ثمَّ يتبسَّط البرُّ والآكام تنصرف منكفَّةً عن البحيرة واغرب ما يُشاهد في تلك الاصقاع قُرى النمل وكهوفه فانها كبيرة ضخمة لا عدَّ لها تفترش اديم تلك الآكام الى اعاليها . وجزُر دَمْبَا لهـا ساحل متطامن ولكن الآكام الداخلية تذهب علوًّا في السماء عظيماً واذا وقعتَ الى نقطة هي حيال مدخل مضيق مركيصن . ينقطع سياق الجزُر الى يسار المضيق وترى قُبالتك غمراً من الماء يتصل حده بالافق . وتبين معَالم جزُر سسّي للعين الاَّ في الجنوب الأقصى . والمضيق المذكور داخل في الارض مسافة اربعة وعشرين كيلومتراً

---

(١) المروت جمع مَرْت وهو الارض العاطلة من النبات (المعرّب)

وعلى كلا جانبيه حتى منتهاه حضيض من الارض وهناك قننٌ وروابٍ تداني ساحله الشمالي وترى عند مخرجه جزيرتين صغيرتين جداً[١] واذا عبرت المَهْواة المعروفة بمهواة مركيصُن تيننت بمرأى العين الروابي المدورة الراسية عليها كورة عنتبي . وهناك الشاطئ منحطٌّ وفيهِ لفيف كثيف من النخيل المعروف بالرافيا . وفي تلك النقطة خَوْر أو مضيق آخر يقال له خور كيسوبي يتباعد دخولاً في الارض نحواً من خمسة كيلومترات ويتلوها مَوْردة (مأتاة) عنتّبي على مسافة مائة وثلاثة كيلومترات من ناحية جِنجَا . اما عنتّبي هذه فكانت تعرف من قبلُ ببورتأليس وهي اليوم مقرّ مندوب المستعمرة الاغندية ومركز الحكومة المحلية وموقع المحلَّة جيّد ملائم وهي قائمة على رابيةٍ اوبالحري رابيتين يتكيف شكلهما في شبه جزيرة تحيط بها البحيرة من جوانب ثلاثة ومعظم ارتفاعها عن مستوى الماء يبلغ مائة وثلاثة عشر متراً ويصلهمابالبرّ الاصلي برزخ مطمئن من الارض عرضه نحوٌ من خمسة كيلومترات وفي الجهة الشمالية الغربية عن رابيتي المحطة مرتفَعٌ أو حَزْنٌ آخر أرفع منهما هو موقع قَلْعة قديمة العَهْد شادها السر هنري كولڤيل وهي واضحة الاثار الى اليوم مشرفة على البحيرة وبرّ أغندا . والمنظر هناك يمثّل بلاد الاغندا صحيح التمثيل وكيفما اجلت الطرف ترى على قدر مد البصر روابي منسطحة القُنن او مدوَّرتها ومَفَاجر أودية على التعاقب بين تلك القُنَن والمَفَاجر . واعالي القنن غاصَّة بالدَّغل والعشب وميولها ملأى بشجر الموز متصل بعضه ببعض الى أمدٍ بعيد ووهاد الاودية كثيرة الشجر وفي جميعها آجام ومآجل واسعة المساحة ينبت فيها غابات كثيفة من البردي

---

(١) ان مدينة كَمْبَالا وتعرف بناحية مِنْجو هي مقام سلطان اغندا ومركز رسالة الكنيسة الانجليزية والرسالة الكاثولوكية وموقعها في برّ المضيق وتبعد عن ضفته الجنوبية نحواً من اثنى عشر كيلومتراً

والقصب وليس في تلك الارض قِيدُ ميلٍ مربع مبسوط الاديم سَهلُهُ وهي آهلة بالخلق وقُراها محتاطة بالزُروع فهي في تلك الروابي اشبه ببقاع نضيرة تربتها سمينة الى الغاية والبلاد على الاطلاق من أخصب بلاد المستعمرة واكثرها نماء وتقدماً . ومحلة عنتبي تخطيطها حَسَن ففيها الشوارع الفسيحة النظيمة تكتنفها سطور الاشجار على الجانبين ودار قائد الجند وديوانه موقعهما على قمةٍ تشرف على البحيرة وكلاهما في ارض فسيحة تطل على منظر بديع . واما منازل المأمورين الآخرين فمنبثّة في حدرات الميول أحطّ ما فيها يعلو عن سطح تلك البحيرة ثمانين متراً . وطنوف سطوحها صفائح من حديد مغضّن او هي مغمّاة بالقشيش ولكل منها موقع قائم بنفسه حَوْطُهُ سياجٌ صائن ومنظر المحلّة من وجه عام يشبه منظر معسكرات الجند في الاقطار الهندية وفي عنتبي ايضاً كنيسة وفُندق وكثير من الحوانيت والمخازن والمستودعات التجارية غالبها لتجار الهند والبارسيّ[1] : ويقام اليوم هناك مستشفى آخر في اعلى موقع عن سطح البحيرة[2] . وبجوار الحديقة العمومية باحةٌ للعبة الكرة (الكريكت) ورحابٌ يُلعب فيها الطّاب (لُنج تنّس) . وفي النية جرّ الماء الى المحلّة من عند مالِيَن وهو لسان طويل من الارض داخل في البحيرة الى الجهة الجنوبية عن تلك المحلة وفي مالين مباني الرسالة الفرنساوية وبين عنتبي وكمبالا طريق نظيم متسع مستقيم السيرة وتبلغ مسافة ما بين هذين الموضعين زهاء ثلاثين كيلومتراً . وقد أُقيم للمأتاة (الموردة) رصيف صغير من حجرٍ يُصْعَد منه الى المحلة في سكةٍ مدوَّرة المطاوي تخترق غابةً جميلةً زاهية . ومالم تمسَسْهُ يدٌ من جوانب الاكمة تراهُ مفروشاً نباتاً طبيعياً كثيفاً .

---

(١) ان في عنتبي قليلاً من تجار الالمان والطليان

(٢) قد أُقيم مستشفى مخصوص لمعالجة داء النوام ويلحق بهِ معمل كيماوي فيه يتولى الطبيب كستلاّ الابحاث فيما يختص بحُوَيْنِين ذلك الداء أي ميكروباتهِ

واما بقعة المدينة فقد كُشف عنها ذلك النبات لكنَّ قطع دابرهِ يستلزم عملاً مستديماً فان الحرارة هناك رطبة نديَّة تثير النبات فيشبُّ بسرعة غريبة وهناك كما في بورتفلورنس يستخدم الحجر الحديدي كثيراً . واما بهجة المنظر وبهاؤه من عنتبي فحدث عنهما ولا حَرَج . فانك اذا اشرفت على البحيرة ترى في الجنوب والجنوب الغربي جزُر سَسّي بشتات اشكالها تشق رؤوسها اديم الافق واقرب من تلك الجزُر في مهب الشرق ترى جزُر دَمْبا وكُرْني شاخصة في العُلى وبينهما الى الجنوب الشرقي يمّ من الماء كأنه ينتشر في الانحاء كافةً وعند رَواق الجوّ وصفاء الهواء وسكون البحيرة ينعكس عن بلورية سطح الماء ظل القبة الزرقاء زاهرة بكامل افيائها فتمثل للرائي في تلك المرآة الباهرة كل حرف وجزيرة تمثيلاً دقيقاً صحيحاً وانت تنظر الى الاوراق الخضراء الغضة كانك ترى في صورة . وتقع مناظرها من خلال الغابات المعجبة للعين او يسترقها النظر مستطلاً عليها من منافذ وَسْطَ نخيل الرافيا . وعنتبي هذه بما هي عليهِ من جمال المنظر وحسن الموقع لها معايب ونواقص فان اقليمها أي هواءَها حارٌّ رطب على الدوام ولا يكاد موقعها يصلح للاستشفاء وعباب مطرها اي معظمه في الربيع والخريف غير انه قلما يخلو يوم من مطر الا في ايام معدودة من السنة فاذا وقع علَقِت في البيوت غشاوة من تراب أبيض وخرجت اسراب النمل الابيض فكانت على الناس نائبة كبرى . وهناك تكثر الزلازل والارض في الغالب عرضة للعواصف الناسفة وتحدث العاصفة على الغالب ليلاً فاذا تبينتَها مرةً واحدةً ينطبع مرآها في مخيلتك وقلما تَبرحتْها . ومبدأ العاصفة على وجهٍ عام نفخة ريح شديدة الهبوب تعبث باعالي الاشجار فتميّل رؤوسها ذات اليمين وذات اليسار وتثير في هبوبها عِثْيَراً ورمالاً تتطاير في الفضاء كانها محدثة في اديمه سدًّا هائلاً ويتلو ذلك رعود قاصفة دويُّها مقيم وقد تسمع لها قعقعةً داكة والبرق متقارب الوميض حتى يكاد ضياؤه يكون

متلاحقاً متواصلاً ولا تخالهُ الاَّ شاقاً كبد السماء منتشراً في انحاء الجلد[1] وفي غضون ذلك تقع الامطار وَبْلاً مدراراً تراهُ كالجدار الغليظ فيكون لمنظر هذا السيل الجارف والوميض اللامع فيهِ أثرٌ في النفس ساحر . والعواصف هناك مخوفة جدًّا فقد تخترق الشرارة الكهربائية سقف المنزل المطويّ بالقشيش فتلحق بأثاثه فتحرقها ومن عهد قريب اصابت الصاعقة ديواناً من دواوين العسكرية فدمرتهُ تدميراً

وحديقة النباتات في الجهة الشمالية الشرقية من المحلة وهي حريَّة بأن تشاهد وتبلغ مساحتها نحو مائتي فدان من الارض واقعة في منحدر الاكمة وتشرف على جون أو خليج صغير وكانت ارضها من قبل غابةً وهي اليوم تُكتشف وتُهيَّأ . وتربة الحديقة من مُمات الاوراق وحُتات الصخر وهي تربة غاية في الخصب والسِّمن والحديقة مخطَّطة تخطيطاً حسناً وفيها طوائف الشجر والنبات ومديرها المستر ماهون يُعالج اليوم استنبات كثير من حاصلات المنطقة الحارة كالكوكو والبن والشاي وشجر الصمغ الهندي (الكاوُشوك) على اختلاف انواعها والظاهر ان هذه الاصناف وكثيراً غيرها زراعتها نافعة ومن مغروساتها صنوف الفاكهة على كثرة كالاناناس والمنجو والپوپو والثمر المعروف (ببشن فروت) واجناس الموز وانواع الورد الانجليزي والبقول وافرة فيها نضرة لكن يتسلَّط عليها النمل الابيض فيؤذيها كثيراً ولا سيما منها شجرة الكافور المعروف باليوكاليبتوس . وفيها ايضاً مُثُلٌ من جميع الاشجار البرية النابتة في المستعمرة[2] وقلما ينمو في عنتبي شجرة البُودُوكَرْبُسْ وشجرة

---

(١) في شهر يناير سنة ١٩٠٣ قامت عاصفة في عنتبي وعدَّت طلقات البرق فكانت ستاً وعشرين في الدقيقة وذلك بعد زوال حدَّة العاصفة

(٢) ان غابات أغندا لها شبه اكبر بغابات الكنجو من حيث تعدُّد اصناف الشجر والمتسلقات

الكوكلان مخروطتي الثمر لانهما لا تعيشان ناضرين في بقعة يكون مستواها عن سطح الارض فيما دون الف وسبعمائة متر . ومن أعم واجمل الاشجار البرية في بلاد أغندا شجرة البنْتادينيا افريكانا ويوجد منها مُثُلٌ عديدة في تلك المحلة وهي شجرة شهية المنظر وحيدة الساق مستقيمتهُ ينشب رأسها في السحاب الى علو مفرط وعلى محيط قاعدتها زعانف نابتة منها والغريب في هذه الشجرة ان أوراقها العليا مكتنفة بسحابة كثيفة من الزهر البنيّ اللون . وخشبها صالح للبناء . وهناك شجرة العطر المعروفة بباشيلوبوس كثيرة وخشبها مشهور بجودته ويستخرج العطر من لحائها أي قشرها . ويلقى الرائد ايضاً كثيراً من شجر الكناريوم والسابوتا وخشب الاول جيِّد بخلاف الثاني . وهناك ايضاً نخل الرافيا بغزارة وفي اختلاف اشكاله وضُرُوبهِ وتعددها ما يروق للنظر وتستخرج المِساد اي الالياف من صغارهِ وكثيراً ما يشاهد شجر الصمغ الهندي المتسلق المعروف بشجر نَنْدُلفيا واصناف شجر التين والجميز وفصائلها ويُصنع من أليافها انسجة وهي كثيرة في بلاد أغندا ولوزوجا . وأما نسج الاقمشة من لحاء هذه الاشجار فبسيط يسلخ الواجنديون اللحاء عن جِذع الشجرة افلاذاً وقدداً وشظايا ضخمة يطرقونها تطريقاً حتى تصير غاية في اللّيان والظاهر ان سلخ القشر على هذه الصورة لا يضر ببدن الشجرة ويباشرونهُ في ابَّان بزوغ الاوراق ورعرعتها واجود اللحاء ما جاء من قسم أغندا واكثر الشجر المستخدم لذلك يربّونه في الحدائق فسائلَ يغرسونها في الارض وقلما اتخذت الاشجار البرية . والشجرة حسنة المنظر ترتفع في السماء بقدر عشرة امتار وهي وارفة الظل . ومن مستظرف الجنبة أي صغار الشجر ودِقّها شجرة البن واختلاف صنوفها وألوانها بديع فترى لها نَوْرا ابيض باهراً واوراقاً قاتمة الاخضرار وهي تفوق شجرة الهند وأغندا حجماً وما يغرس منها في الاماكن الملائمة لغرسها في المستعمرة بنُّهُ غاية في الجودة وبُنُّ جزُرسسّي

مشهور بزكاء رائحتهِ ومذاقهِ وغالبهُ يستوردهُ بيت من البيوتات التجارية في مدينة ميلان من اعمال بلاد الطليان[١]

عَوْدٌ — أقول ومقياس البحيرة في عنتبي مقام في الخَوْر فيما تحت الحديقة النباتية لكن موقعه غير ملائم تمام الملائمة نعم ان لهُ واقياً يقيه غائلة العواصف لكنه اذا ما انتفخ الماء ولو في أويقات الصحو والسكون يتدرج في الخَوْر فيحدث اختلافاً في ارصاده على ان من المستصعب الوقوف على موقع آخر غير هذا الموقع في جوَار المحلة . اما حجابهُ الواقي لحاشيته من نبات القصب والغاب والنبات المعروف بالعنبج . هذا والبلاد المحيطة بمحلة عنتبي تربتها حديدية من حضيضها الى أوج آكامها ويغشاها أديم من الابليز الاحمر ومادة طباشيرية لا أثر في سطحه للصخور الصلدة . وفي المستنقعات هناك غِرْيَلٌ اي طين عَلِكٌ لعلهُ غسالة أو قشاطة الارض الحديدية

ثم اذا أنت غادرت عنتبي ويممت بالقارب جنوباً فأنت تسير بازاء الريف لصقاً وترى الى ما بعد التلة القائمة عليها المحلة بأمدٍ مديد منبطحات من الارض شاسعة الاطراف ومآجل مستنقعاتٍ غاصةً بالبردي والنبات المعروف بالعنبج وهناك ضفير البحيرة معوّج مفالج واذا ابعدت عن المحلة اربعة وعشرين كيلومتراً في مهب الجنوب الغربي دَخلْتَ في خليج يعرف بخليج ساليسبري وهو خليج عريض ربما بلغت سعتهُ خمسة عشر أو ثمانية عشر كيلومتراً يقع بين البر الغربي وجزُر سسي والساحل يتخافض منحطّاً شاملاً مآجل ومستنقعاتٍ وروابي تلك النقطة مستبعدة عن البحيرة والمناقع رحيبة واسعة وما البسيط هناك الاّ مغيضٌ لماء نهر كاتُنْجا يسير مستبحراً الى البحيرة على مسيرة خمسين كيلومتراً عن المحلة (محلة عنتبي) الى الجنوب

---

(١) معظم ما اوردته في ذلك استقطفتهُ عن المستر ماهون مدير تلك الحديقة وقد أفرد لي أصيلاً من النهار اراني فيهِ ما في حديقته من المنابت والمستنبتات

عنها وهو يدخلها بالقرب من جزيرة بُنجا كو والعرض الجنوبي اربع دقائق وبعد مضيّك عن خليج كاتُنجا ترى الضفير الغربي يتعالى ودليلهُ تلالٌ مسطحة القِنَن يتمايز علوُّها عن سطح الماء من بين مائة متر الى مائة وعشرين متراً وبين هذه التلال عِلايةً فسيحة وغابة ملتفة الشجر تمتد على موازاة البحيرة متفارزة عنها كيلومتراتٍ قليلةً وذلك من كاتنجا الى فم نهر الرويزي والضفير جنوبي كاتنجا معتدل الاستواء وهناك الخلجان قليلة وهي متضايقة السعة والمنحدرات غالبها يتدلى الى الماء حتى لا ترى للبحيرة عندها ساحلاً الاّ ما قلّ من البسائط الشجيرة وجزر سسي تلاحف خليج سالسبري الشرقي وهي اعظم مجاميع الجزُر في البحيرة فيهِ اثنتان وستون جزيرة منها اثنتان واربعون عامرة مأهولة [1] . واقرب الجزُر في خليج سالوسبري لولميا وبوڤو وكلتاهما من الجزر الصغرى المنخفضة لكنهما حافلتان بالغابات وهما تتدرجان صُعُداً من الشاطئ كثير الجُوَن والخلجان كأنها شُرُوم وفلول . وفي جزيرة بوڤو هذه قنّة اي تلة طرفها جُرُف وعر هائر عجيب الخلق يعلو عن سطح الماء بقدر مائة وخمسين متراً وعرض الخليج في تلك النقطة لا يتجاوز عشرة أو احد عشر كيلومتراً واكبر جزُر سسي جزيرة بوجالا بعد جزيرة بوقوما وهي عن عنتبي على نحو ستين كيلومتراً ومساحتها تنيف على اكبر ما في جزائر الاملاك الانجليزية ولا يكون ما بينها وبين البر الاّ سعة خمسة كيلومترات والفاصل بينهما بوغاز يقال له بوغاز بوجوما . اما ساحل الجزيرة في طرفها الشمالي فمطمئن بسيط تعلوه الادغال الملتفة لكن الانحاء الوسطى منها والجنوبية ففيها رواب ناتئة حرُوفاً كالفقرات ربما بلغ ارتفاعها عن سطح الماء مائة متر ونيفاً وشكلها مشوه غير نظيم وهي مستطيلة جداً ضيقة ملوّاة كمطاوي الحية يستغرق حجمها ربع درجة من العرض الجغرافي والى الشرق والجنوب جزُيّرات

---

(١) قالهُ المستر مارتن جابي الاموال في عنتبي والجزُر المذكورة في دائرة عهدته

عديدة متفارزة

هذا واذا تتبعنا الشاطي، وغادرنا شرفة كثيرة الآجام وجزيرات لُوَمْبَا على مسيرة ثمانين كيلو متراً من عنتبي وقعنا الى محلة بوجاجو وهي مرحل القوافل الى مزاكا وهي قاعدة قسم بُدُّو والساحل هناك مستعلٍ فيه سطر من الجروف الهاوية يكون ارتفاعها عن سطح الماء بين اربعين وخمسين متراً وفي مقدمته ضفير مفرط الضيق ويمتنع النزول الى البر هناك الاَّ بالزوارق ويكاد يتعذر في احايين العواصف لان الى الجنوب عن بوجاجو سماءً وماءً ولا برَّ تستجليه العين الاَّ خطاً معتدلاً هو جزء من الضفاف الغربية وبالجملة اقول ان الارساء في تلك النقطة ايام الزوابع خطر جداً واذا تطلعت الى سطح البحيرة من محلة بوجاجو تراه بقعاً من خليع نبات بستيا اُسْتَرَاتيوتس هذا والاخوار البعيدة القاع مدغلة تسير بين الجرُوف نزولاً حتى تلحق بالماء وهناك علاية سطيحة متسعة متداخلة في البر الى خطّ الفجوة الكبرى وهو خط يسير والشطّ الغربي للبحيرة مسافة قصوى . وسآتي على وَصْف تلك الانحاء باكثر بياناً عند الكلام على الطريق المؤدي من بحيرة فكتوريا الى بحيرة البرت ادوارد . اما منسوب الساحل جنوبي بوجاجو فينخفض تدريجاً وعند خط ٥٥ من العرض الجنوبي أي على مقربة من مصب نهري رُويزي وكاجيرا مآجِل ومستنقعات فسيحة تذهب اخذة من الريف داخلة في البر مسافةً قريبة

ولقد رأيت قبل البحث في مسألة ارتفاع منسوب البحيرة وهبوطه ان ابيّن بالايجاز الانهار الرئيسية التي ترمي الى بحيرة فكتوريا [1] لعل في البيان

---

(١) ان رحلتي في عام ١٩٠٣ كانت قصيرة المدى لم تمكني من تعرُّف الانهار الاَّ طائفة قليلة منها والذي سأذكره في هذا الشأن إن هو في الغالب الاَّ خلاصة اقوال الروَّاد ومرسومات خرائطهم وانباء رجال الحكومة في الاقسام التي توجد تلك الانهار في

فائدةً وجدوًى ولقد سبق لي ان ذكرت هذه الانهار على قلة ما لدي من المعلومات عن اكثرها فاقول ان الانهار الصابة من مهب الشمال اكبرها ثلاثة سيو ونوزويا ولُوكُس [١] واعظمها نوزويا وهو أهم مستوردات البحيرة ويقع مخرجه في الاملاك الانكليزية من سفح جبال ناندي وتكون جريته في سمت الجنوب الغربي مسافة مايتين وخمسين كيلومتراً صاباً في البحيرة عند خليج بركلي جنوبي رؤوس الجبال المذكورة التي تتصل بالبحيرة على مقربة من بورتفكتوريا وتعرف هناك بروابي ساميا والمشهور ان مسيله صخريٌّ الخلقة عرضه ثمانون متراً تيارهُ سريع حتى في اوان الجفاف وقليل ما هي مخاضاته التي يقطع هومنها ولا يُخَاض الاَّ في ثلاثة اشهر من السنة هي دسمبر ويناير وفبراير واما في الاشهر الاخرى فسَيْلُهُ جائش زَخَّار [٢] ثم نهر لوكسْ ويخرج من هضاب نندي ويصب في البحيرة على مقربة من نهر انزويا جنوباً وهو أصغر من انزويا قيل ان سعته من بين خمسة وعشرين وثلاثين متراً وعلى ثلاثة عشر كيلومتراً من مصبه يجتاز بحيرة قليلة [٣] ثم نهر سُيُو ويفصل قسم كافيرندو عن قسم بوزوغا وتيَّاره بطيء ينبت على ضفافه الغاب وتنصرف اليه مستنقعات الوجيد [٤] الابليزي التربة في تلك النقطة وله سعة قدرها ثلاثون متراً وهو بقدر ربع انزويا حجماً [٥] واكبر نهر تلتقيه في ساحل البحيرة من

دائرتها . وقد أدرجتها في هذا الكتاب لان الكلام على البحيرة لا يكون تاماً الا اذا قرن بذكر الانهار الممدة

(١) ويقال له ايضاً رُوكس ويالا

(٢) خلاصة اخبار عن مستعمرة الاغندا - نظارة الحربية في شهر سبتمبر سنة ١٩٠٢

(٣) كتاب رحلات السنتين في اغندا وأنيورو واعالي النيل للكولونل ڤَنْدُ لور مدرجة في الجريدة الجغرافية في ابريل سنة ١٨٩٧

(٤) الوجيد ما استوى من الارض (المعرب)

(٥) خلاصة اخبار عن مستعمرة الاغندا

الشمال الى مصب الجنوب نهر نياندو ولهُ فرع يعرف بنهر كيڤوس يقطع السكة الحديدية الاغندية في نقطة لا تبعد كثيراً عن بورتفلورنس وجمهور مائه غزير حتى في ايام القيظ والجفاف وتنسكب في نياندو مياه الامطار المترامية من جرُوف موْ الغربية مارة في بلاد لُمبُوا ثم تنصرف الى البحيرة عند طرف خليج كاڤيرندو الجنوبي والقسم منه يخترق أجمة من البردي وترمي اليه مياه اراض واسعة وهو فاصل بين قسمي كاڤيرندو ولُمْبوا [٢] وفي الاراضي الانجليزية نهران آخران فقط في الجهة الشرقية وهما تويايو وسُنْدو وينبع كلاهما من روابي لُمبُوا واكبرهما نهر سُنُدو يجري مكشوف الضفاف في مسيل حجري الخلقة يختلف عرضه من بين سبعة امتار الى ثلاثة وثلاثين متراً باختلاف الفصول واذا جاءت الامطار طما ماؤهُ وازبد فتعذر اجتيازه [٣]

اما الانهار في المستعمرة الالمانية فعظيمها نهر مارا دباش يصب في البحيرة من ضفتها الشرقية عند درجة واحدة من العرض الجنوبي وقال الروّاد فيه انه اعظم ممدات بحيرة فيكتوريا غير نهر كاجيرا [٤] وفي الانحاء الجنوبية الشرقية والانحاء الجنوبية على استقامةٍ عددٌ عديد من الانهار تذهب مياهها الى تلك البحيرة والمعروف الى اليوم ان ما من واحد من هذه الانهار مادته غزيرةٌ وكثير منهـا ما ينضب غديرهُ فتراتٍ معلومة من السنة ولما كانت مضاجع نقيل البحيرة واقعة في الجهـة الجنوبية ولا يكاد يبلغ عرضها درجة جغرافية في مواضع كثيرة منه اقل من ذلك كانت تلك الانهار قصيرة المسافة وقد يكون

---

(١) تقرر نظارة الخارجية للميجر جورج فبراير ١٩٠٢

(٢) انظر تقريري نظارة الخارجية للميجر جورج وللكبتن كارنجي فبراير سنة ١٩٠٢

(٣) مصنَّف كولمان في فكتوريا نيانزا لندن سنة ١٩٠٢

حجم مياهها لاضابط له بين قلة وكثرة . هذا ولا ينسكب فيها من الضفة الغربية سوى ثلاثة انهر وهي كاتنجا ورُويزى وكاجيرا اثنان منها وهما كاتنجا ورويزي في حدود الشقة الانجليزية واما كاجوا فيبلغ البحيرة من نقطة تكون شمالي الشقة الانجليزية الالمانية يكون سائره متراً في الشقة الالمانية ما خلا شيئاً منه . ثم ان نهر كاتنجا يخرج من العلاية التي تحيق ببحيرة دويرو شرقاً فيسير في سهل متعادٍ بين انخفاض ونشز حتى يتصل ببحيرة فكتوريا بالقرب من بونجاكو على نحو ثلاثين كيلومتراً عن عنتبي في الجنوب الغربي وهو يفصل قسم اغندا عن قسم بدّو ومسافة طوله مائتان وخمسون كيلو متراً وذهبته في عامة سيره شرقية محضة قال فيه المكتشفون انه مجرى بطيء السيرة يجتاز معظمهُ في مستنقعات البردي[1] وتكون سعتهُ عند مصبهِ اربعماية متر ويدخل البحيرة في سبخة واسعة . ونهر رويزي ينشأ في العدوة العليا من العلاية الغربية في قسم انكولي تترامى اليه مياه النقيل من ارض واسعة الاقطار ومنشأه في نسيق من الاجام الواسعة تنصب اليه مياه كثير من الجبال القائمة على جانبي مسيلهِ الاعلى ويبلغ طوله مايتين وثمانين كيلومتراً ويقع في بحيرة فيكتوريا بالقرب من نهر كاجيرا شمالاً ووجهة مجراه الغالبة مهب الشرق فيمر بمحلة أمبرارا قاعدة مقاطعة انكولي وهو نهر جارٍ مثل سائر الانهار التي تفضي الى تلك البحيرة الى الشمال عن التخم الانجليزي الالماني وبالقرب من تلك المحلة نهر رويزي يجري في مضيق ماؤهُ غور مسافة اربعمائة متر وعلى منكبيهِ رَوَابٍ وعرة يختلف ارتفاعها من بين خمسين الى ستين متراً وسعته ايامَ الفيض بقرب من سبعة عشر متراً ولقد سُبر غورُهُ في السادس من شهر فبراير سنة ١٩٠٣ فكان خمسة وسبعين سنتيمتراً وكانت المياه حينئذٍ في اقصى انحطاطها وجريتها مع ذلك متراً واحداً واثنين وعشرين

---

(١) ملخص معلومات واخبار

سنتيمتراً في الثانية وكان تصرفه احد عشر متراً مكعباً في الثانية ويبلغ معظم ارتفاع مائه ايام طغيانه مترين فينساب في مغيض سعته مائة متر وقطاعه حينئذٍ سبعة وسبعون متراً وبما ان جريته في ذلك الحين لا تكون اقلّ من ثلاثة امتار في الثانية فتصرفه اذاً مايتان وثلاثون متراً مكعباً في الثانية . ولما كان انحداره شديداً فلا غرو اذا بلغ تصرفه في جمام فيضه ثلاثمائة متر مكعب في الثانية . هذا ومسيل نهر رويزي سعته نحو من سبعة عشر متراً وغوره متران ونصف ويكاد يكون جُرُفاه عموديين عليه ومسيله كثير الصخور فهو يجري في تعاريج ومعاطف شتى وقلما تكون في اعاليه مسافة عشرين متراً منهُ مستوية المجرى . ماؤهُ كصافي الكهرباء لوناً فهو اشبه بلون الطُرْب(١) لكنه شروب وهو مُستَوْرَد رجال الحامية في أمبارارا . وعلى الف وخمسمائة متر عن هذه المحلة تهبط مياهه في جنادل وبعد ذلك بثلاثة كيلومترات ترى شلالاً مسقطهُ ستة امتار ومغيض النهر ما خلا مجراهُ الفيضي غاص بالدغل مطوياً بالنخيل وطوائف البرديّ وكذا المهاوي والهضاب مغطاة بالاحراج وفي اواخر مسيله يجوز اجام بحيرتي ماجنجا وكاشيرا وهناك يقترن بنُهيْرٍ مأتاه من مهب الشمال فيمتزج النهران وفي خروجهما من تلك الاجام يسيران معاً في مجرًى واحد يرمي الى بحيرة فكتوريا على مقربةٍ من مصب نهر كاجيرا فيها بعد مروره في نفس تلك الاجام

اعلم وفقك الله ان اهمّ الممدات الرامية الى بحيرة فكتوريا هو ولا ريب نهر كاجيرا المتقدم ذكره بغير قياس واذا صح ان نهراً يمون بحيرةً هائلة الاقطار مثل هذه لا بد ان يكون له شأن اكبر في ارتفاع سطحها وهبوطه يكون نهر كاجيرا اذاً اصل النيل ومصدرهُ . غير انّا اذا نظرنا الى ما لمُشْتَمَل البحيرة من المساحة واستدركنا مقدار ما يتبخّر من مائها بالحرارة تبين لنا

(١) انظر دائرة المعارف صحيفة ٢٤٩

ان ذلك الشأن حدسٌ وتخمين وان النهر ما هو الا واحدٌ من الانهار الكبرى الصابة الى البحيرة ولا شأن له قط في مقدار مياه النيل الخارجة منها . نعم يؤكدون[١] ان تياراً يتخطى البحيرة ويتجاوزها من نهر كاجيرا جنوباً الى شلالات ريبون شمالاً ولكن قد يكون ذلك التيار غير ناشيء عن وفرة ما يدخلها من مياه ذلك النهر وان قيل خلاف ذلك فالقول بعيد عن الصحة لا يعوَّل عليهِ ودليله ان ذلك التيَّار يُشاهد ايضاً في اوان غيض النهر والارجح انه ناشيءٌ عن هبوب ريح الشمال على وجه الماء في طائفة كبرى من السنة . ولا يصح الحتم بكون نهر كاجيرا مصدر النيل واصله فما مصدره الا البحيرة نفسها فهي حوض فسيح تحلَّب اليه مجارٍ شتى ينصرف منها مقدار مفروض من المياه منسكبةً في النهر الاعظم وعليه عمران السودان ومصر . أقول ان نهر كاجيراً قصده عدد عديد من الروَّاد والسيارين أشهرهم أُسبيك[٢] وأَستَنْلي[٣] واُستُلمان[٤] وبَوْمَن[٥] واُسْكُتْ إِليُطْ[٦] ورَمْسي[٧] واترُوثا[٨] وفُنْ جتْزِنْ[٩] ثم جاء من ورائهم رجال الوكالة الانجليزية الالمانية فاستطلعوه وفذلكة ما قالوه فيه هي كما يأتي :

---

(١) كتاب مستعمرة أغندا للسر جونستن - لندرا سنة ١٩٠٢

(٢) فذلكة في اكتشاف ينابيع النيل - جريدة سنة ١٨٦٤

(٣) كتاب « مجاهل افريقيا » والرحلة الى الديار المدلهمة

(٤) المعية الامينية في الرحلة الهرسية الافريقية - برلين سنة ١٨٩٤

(٥) كتاب دُرْخ مسيَّلَند زور نِلْكِله - برلين سنة ١٨٩٤

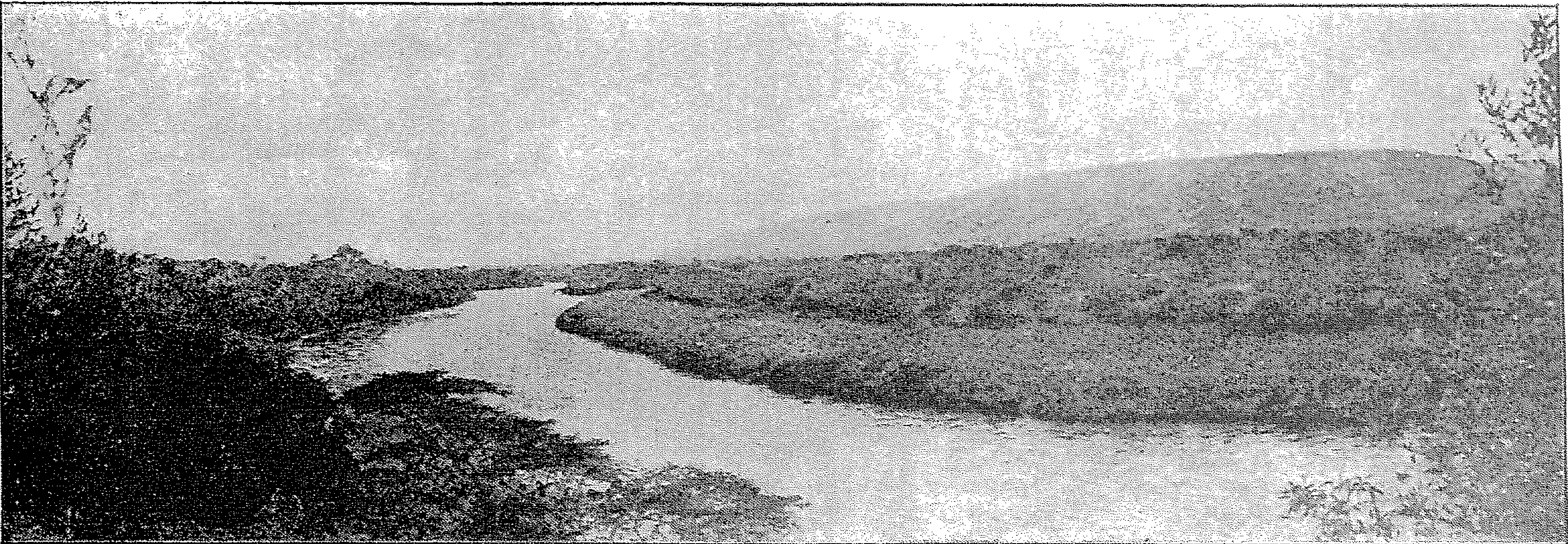
(٦) كتاب رحلة طبيعي في اواسط افريقيا - لندن سنة ١٨٩٤

(٧) كتاب أبهَنْدِلنجن دِرْدُتشن مُشْتزِجِبيِّه سنة ١٨٩٧

(٨) كتاب مَينَه بَرِيْسُن فُنْ دُتّش استْ أفريكا برلين سنة ١٨٩٧

(٩) كتاب دُرْخ أفركا فُنْ أست نَخْ وِست - برلين سنة ١٨٩٥

لوحة ٦



نهر كاريجا (عن رسم شمسى للماجور لجْلِن)

مزاج نهر كاجيرا من مياه ثلاثة انهار كبرى اولها نِيافرَنْجو يخرج عند ١ْ و٣٠َ من العرض الجنوبي في المنحدر الشرقي لسلسلة الجبال البركانية القائمة بين الانهار الصابة الى بحيرة كيڤو والانهار الصابة في بحيرة البرت ادوارد . وثالثها نهر أَكنْيارو ورابعها نهر روڤوڤو ويخرج هذان النهران عند ٢ْ و٥٥َ من العرض الجنوبي من رواب حجرية هي حدّ المفجرة الغربية ويكون ينبوع احدهما من الآخر جارَ الجنب ولا تبعد عيناهما عن الطرف الشمالي لبحيرة طَنْغَنيْجا ويكونُ الحرف الفارق هناك ضيقاً جداً وتفترق مياههما وبينهما الارض سعتها ثمانية كيلومترات فينعطف احد النهرين في مهب الشرق ويصب في بحيرة فكتوريا وينحرف الآخر صوب الغرب ويرمي الى بحيرة طَنْغَنيجا . ويجتمع نهر نِيافرَنْغُو (وهو على نحو مائتين وخمسين كيلومتراً من مخرجه) بنهر اكَنْيارو وبعد نقطة مجمعهما بخمسين كيلومتراً ينجاب اليهما نهر روڤوڤو ويكون من مجموعها نهر كاجيرا المتقدم ذكرهُ . هذا والظاهر ان نهر روڤوڤو هو اكبر الانهار الثلاثة المذكورة لكن نهر نيافرنغو أطولها . أقول وقد قصد الكونت فُنْ جِتْسِنْ هذا النهر في شهر مايو سنة ١٨٩٤ قال ان عرضه يبلغ اربعين متراً وغوره من بين اربعة الى خمسة امتار ومستفرغ مائهِ اربعين متراً مكعباً في الثانية . وقال الرحّالة رَمْسي انه استقصى سعة النهر في شهر مارس سنة ١٨٩٧ في نقطة اجتماعه بنهر اكنيارو فاذا بها ثلاثة واربعون متراً وسَبَر غورهُ فوجدهُ يقع بين متر واحد وخمسة وسبعين سنتيمتراً وبين ثلاثة امتار وخمسة وسبعين سنتيمتراً تصرفهُ بين اربعين وخمسين متراً مكعباً في الثانية. قيل ان النهر يقرب من نهر نيافرنغو ايراداً واما نهر رڤوڤو فقد استقصاهُ الرّحالة بَوْمن في شهر سبتمبر سنة ١٨٩٢ عند مخاضة رُوَانيلوا فكانت سعتهُ هناك خمسة وثلاثين متراً وغورهُ ثلاثة امتار وتصرفهُ مائتين وخمسين متراً مكعباً في الثانية الواحدة والنهر حينئذٍ في بدء فيضهِ ولقد تبينه ايضاً الرّحالة

رَمسي في مايو سنة ١٨٩٧ عند نقطة التقائهِ بنهر نيافرنغو فرأى سعتهُ هناك تسعة وعشرين متراً وغورهُ خمسة امتار ونصفاً وجريتهُ اثنين وتسعين سنتيمتراً في الثانية بمعنى ان تصرفه يكون مائةً وخمسين متراً في الثانية . وعن الرحالة بومن ان لهذا النهر مستمدين جدول لوفيرنجا وجدول مواريزي وكلاهما مصدره في الجنوب من روابي كنجونسي على اطراف بحيرة طنيغنيجا والى الشمال عن ملتقى النهرين هناك تبصر نهر كاجيرا ذاهباً في سمت الشمال بازاء الفجوة العظمى مسيرة مائة وسبعين كيلو متراً ويكون انحدارهُ في تلك المسافة عشرين متراً ثم يسير امداً مديداً في نسيق من الاجام الكبرى تنتهي الى مستنقعات بحيرتي إبكيمي وكَسّنغيني . قالوا ان سعتهُ تختلف بين كيلومترين وخمسة كيلومترات وفي ابان فيضهِ يفعم الوادي ماءً فيغمرهُ فكأن البحيرتين والمنافع حوَا كم تحكم ماءَهُ فتنقصها نقصاً يذكر وعند لاتوما (والعرض الجنوبي هناك ١ْ و٢َ) ينثني فجأةً الى الشرق فيسير في هذه الوجهة مائة وثلاثين كيلو متراً ثم يصبُّ في بحيرة فكتوريا عند ٥٥َ من العرض الجنوبي ويكون بجانب مغيضهِ من جهة الجنوب جبال رُوَمبارا . قال الرحالة لنجفلد وتنحدر مياههُ هناك عن جنادل سائرةً في وادٍ تكون سعتهُ بين خمسة عشر وعشرين كيلو متراً تناظرها رواب شامخات حتى بلدة كِنتَنجولي ومن ثمَّ يشق في سَهل ابليزي التربة واخدود مسيلهِ بعيد الغور لهُ جرف ارتفاعهُ بقدر عشرين متراً ثم ترى هذا الارتفاع يتناقص كلما تدانيت من البحيرة . ولقد تجسَّسهُ اسكُط إليُط قبالة لَوما فاذا سعة مسيلهِ ستة وثلاثون متراً ونصف وجريتهُ متر واحد في الثانية قال إليُط انهُ بعيد الغور . اقول اذا افترضنا دَرَكهُ (أي عمقهُ) بقدر ثمانية امتار يكون تصرفهُ ثلاثمائة متر مكعب في الثانية . هذا وسعته قبالة كَنتَنجولي تكون فيما بين ستين الى سبعين متراً والغور فيما بين تسعة واحد عشر متراً وجريته من بين متر

ونصف الى مترين في الثانية بين فبراير وابريل[1] وذلك يدلُّ على ان أدنى تصرفه ستمائة متر مكعب في الثانية واقصاه الف وخمسمائة . قال الكُنت فُنْ اُشقَيْنِتْس ان عرضه في شهر اكتوبر يختلف من بين ثمانين كيلومتراً الى مائة كيلومتر وغوره من بين عشرة امتار الى اثني عشر متراً وعبَّر عن جريته «بالسرعة[2] »ولم يُفْصِح . فاذا كانت تلك السرعة متراً ونصفاً في الثانية فيكون التصرف الفاً وخمسمائة متر في الثانية . ولقد تأتى للكولونل دِ لْمي رَدِ كَالْفَ وهو عضوٌ في لجنة تحديد التخوم الأنجليزية الالمانية ان يستقصي تصرف نهر كاجيرا في العشرة الكيلومترات الاخيرة من مسافته وكان ذلك لستة وعشرين خلت من شهر فبراير سنة ١٩٠٣ (وهو آخر استقصاء بُوشر الى الآن) فكان اقله مائة وثلاثة واربعين متراً مكعباً في الثانية بحساب ان سعة قطاعه تكون مائة وخمسة امتار ومنتهى غوره سبعة امتار ومعظم جريته خمسمائة وستة وعشرون من الف من المتر في الثانية وقد عدَّ ذلك احطَّ تصرفٍ للنهر . اذاً يقال ان تصرفه يختلف من بين مائة واربعين متراً مكعباً في الثانية الى الف وخمسمائة متر ولولا انتقاص مائهِ في مسيره لداعي اجتيازه اجاماً وبحيراتٍ لكان تصرفه اغزر من ذلك بكثير[3]

اقول ولا تحصل الفائدة المطلوبة من الكلام على بحيرة فكتوريا ما لم يكن مقروناً ببعض البيانات عن هبوط مياهها المتوالي الذي يقال انه وقع في العشرين او الثلاثين سنة الغابرة . ولا خفاء ان هذا المطاب هو من الاهمية

---

(١) قاله فِترَر اخذاً عما كتبهُ اسبيك وجرانت واستنلي واستلمن وفُن تروطا

(٢) طالع كتاب « سفرة في مياه كاجيرا » طبع في الجريدة الاستعمارية سنة ١٨٩٣

(٣) اخبرني ليونل دِكل انهُ لما جاء روڤوڤو في سنة ١٩٠٠ كان النهر مستفيضاً بالمساكات

بمكان لا سيما فيما يختص بالديار المصرية لان على مياه تلك البحيرة شربها وهي عماد ارتزاقها. أما ان تلك المياه قد توالى عليها الهبوط في عدة سنين متلاحقة فقضية ثابتة لا ريب فيها ولكن لا يُعلم علم اليقين أهذا الهبوط عارض لا يعتدُّ بهِ نشأ عن قلة مياه الامطار المترامية الى مغيض البحيرة ونزارتها أم هي مياهها تحسر انحساراً بطيئاً متواصلاً على التوالي كما قد وقع ذلك لبحيراتٍ اخرى من بحيرات اواسط افريقيا. وهذا عليه رجال القسم اجمع

وا علم انهُ لا توجد ارصادٌ صحيحة يتبين منها الفرق (اذا كان ثمَّت فرق) بين متوسط منسوب البحيرة الحالي ومتوسطه السابق الا ما تمَّ لنا ان نستجليهُ من الارصاد بالمقاييس التي اقيمت من عهد قريب فنعلم منها يومياً مقدار زيادة المياه ونقصانها. وهاك مجمل ما جمعتهُ من الأنباء في هذا الشأن أثناء رحلتي الى تلك البلاد في شهري يناير وفبراير من عام ١٩٠٣

اولاً — قال الأب أبْرِيسُّون احد رجال البعثة الفرنساوية الى عنتبي انه منذ سبع او ثمان من السنين هبط منسوب البحيرة في خور كيسوبي بين عنتبي وخور مرْكيصُنْ شيئاً كثيراً حتى تقلص عرضها بقدر سبعة الى عشرة امتار في تلك المدة

ثانياً — قال المسيو بُرْداج وهو احد رجال نظارة الاشغال العمومية في مستعمرة أغندا ان الصخور الناتئة عند عنتبي على مقربةٍ من الشاطيء كان رأسها الداخل في البحيرة غاطساً مغموراً بالماء في عام ١٨٩٦ وفي عام ١٩٠٣ انحسر الماء عنه وبرز فوق سطحه فتخلف منهُ هنَةٌ بقدر ستة عشر سنتيمتراً ارتفاعاً

ثالثاً — وعن المسيو مارِتن جابي الاموال الاميرية في عَنْتبي (وهو خبير باطوار البحيرة منذ سنة ١٨٨٩) ان لكُسُومي اليوم عمراناً ومراعي كانت مواقعها يوم تبنيها باديء بدءٍ ماءً غمراً. وفي اعتقادهِ ان الامطار قلَّت على منحدرات مغيض البحيرة فترى مواقع كانت فيما سبق مآجل ومستنقعات وهي اليوم

جفاف . وقد انحسرت المياه عند شلالات ريبون فكان من انحسارها أن قلت سعتها بقدر عشرة امتار عما كانت من قبل و بما ان الارض في تلك النقطة تصعد من حد الماء صعوداً عمودياً فيكون الانتقاص راسياً ايضاً وهو بقدر متر ونصف. ثم قال ان بقعة سبالا في جزيرة سسي في الطرف الجنوبي الغربي منها هي اليوم يَبَسٌ وكان من قبل ماءً يجتازهُ الاهلون بالقوارب . الى أن قال وكان في البحيرة جزيرتان منعزلتان عنها فاصبحتا اليوم متصلتين بها ولا فاصل . وكان بين جزيرتي كاينَجا ولَوْلَبَا برزخ تسير فيه المراكب فأصبحت الجزيرتان اليوم جزيرة واحدة

رابعاً — وعن المستر مكَاسْتَر وكيل مندوب الاقليم النيلي في مقالةٍ لهُ ادرجت بين منشورات الحكومة عن الديار المصرية (عدد ٢) قال ان للآباء اليسوعيين في موانزا جنوبي البحيرة سجلاًّ يدوّنون فيه الارصاد مأخوذة عن علاماتٍ يرسمونها على الصخر يتبيَّن منها ان مياه البحيرة قد هبطت في الخمس والعشرين سنة الاخيرة هبوطاً قدرهُ متران واربعون سنتيمترًا

هذا وأزيد على ما تقدم ما جاء بهِ اُستنلي واُستُلْمَن وبَوْمَن وغيرهم ولكن آراءَهم وأدلتهم في بعض الحوادث والامور متضاربة متباينة . ولا مشاحةَ في ان مياه البحيرة دائمة الهبوط والانحطاط منذ سبع سنين مضت غير اني اقول ان الامطار في تلك الفترة جاءَت تحت المتوسط وكادت في النصف الشمالي من البحيرة في عام ١٨٩٩ تكون قاحطة . ولا يبرح دائرة الذهن عند البحث في هذه المسألة ان الروّاد الاوربيين لم يتعرفوا هذه البحيرة الا من عهد ليس بالبعيد وهو زمن وجيز بالنسبة للزمن الذي تقتضيه الطبيعة لتغيير قسم كبير من الارض تغييراً كلياً . لكن من المؤكد الثابت ان بعض البحيرات انحسرت مياهها فانخفضت مناسيبها . أما انكماش مياه بحيرة البرت ادورد وانقباضها فقالوا ان بواعثهُ طبيعية وأما انحسار بحيرات المفاجر الشرقية

وانحطاط مناسيبها (اذا ثبت انحطاطها) فداعيهما انخساف طفيف في ارض تلك المَفَاجر[١] لكن جزْر بحيرة فكتُوريا لا يُنتحل لهُ سَبَبٌ من هذين السببين . ويقال ان لانتقاص مياهها المتوالي سببين قلة السيول الدورية وانخفاض حرف الحاجز بالتآكل والتحاتّ — اقول ولقد بحثنا في امر هذا التآكل بحثاً مليًّا فلم نجد لهُ اثراً فالصخر هناك صلد لا دلالة فيهِ على تآكُلهِ غير ما احدثهُ احتكاك المياه ومما لا ريب فيه ان حرف الحاجز المذكور سينتقص على كرور الزمن ولكن انتقاصهُ اليوم بطيء جداً حتى لا يُحْتَسَب شيئاً حيالَ الهبوط الهائل الذي وقع لمياه البحيرة في السنين الاخيرة . اذاً لا يصح جدلاً ان يكون الهبوط مقيماً مستديماً فانهُ سيبطل ولا ريب اذا سالت الامطار مدراراً على سالف طريقتها فترتفع مياه البحيرة حينئذٍ راجعة الى منسوبها الاوليّ[٢]

ومما أوجب ذكرهُ قُبَيل مبارحة الكلام في هذا الباب ان الكبتن لَيُنز مدير عموم مصلحة المساحة المصرية وهو من علماء الطبقات الارضية المشاهير قد عانى البحث في المسألة من حيث تكوين علاية البحيرة وما

---

(١) يقال ان بحيرات نيڤاشا والمنطيطه وبَرِنجو قد تناقصت مياهها بخلاف بحيرة نكوُرو فان مياهها قد تزايدت

(٢) بعد كتابة ذلك خرج المسيو بُرْداج من بلاد الاغندا في اوائل اكتوبر سنة ١٩٠٣ طالباً مدينة القاهرة فبلغها في التاسع عشر من دسمبر وحدثني بما يؤيد ما اوردته قال ان البحيرة قد تعالت مياهها علواً بعيداً حتى اصبح الناتيء الواقع عن عنتبي وورد ذكرهُ في الملحق الثالث غاطساً في البحيرة والماء يعلوه بقدر متر وان المياه تعاظمت عند رصيف عنتبي فصارت الى خمسين سنتيمتراً عن سطحه وتقديره في الاصل ان يكون ذلك السطح اعلى جمام المياه العادي بمتر واحد وثمانين سنتيمتراً ثم قال ان جميع ما كان قد انكشف من بطن البحيرة بانحسارها في هذه السنين الاخيرة أصبح اليوم مغموراً بالمياه

جاءت بهِ أرصاد المقاييس المقامة حديثاً من المناسيب المستغربة الغامضة [١] والذي حيَّر الباحثين في امر هذه المقاييس وضلَّلهم انما هو التباين العجيب فيما بين مناسيب البحيرة المرصودة عند عنتبي والمناسيب المستجلاة عند كُسُومي وجِنْجا فبينما كانت المياه في مقياسي هاتين النقطتين تنخفض كانت بمقياس عنتبي تواصل الارتفاع . قال الكبتن لينز ان هذه المحلَّة غشيها الزلزال في عامي ١٨٩٨ و١٨٩٩ فانخسف به اديمها بعض الانخساف وادَّى ذلك الى التباين المذكور لكن تخطُّر الارض بذلك الزلزال لم يكن ماساً بخليج نَبُوليون وجِنْجا ولا بخليج كڤيرندو وكسومي . ثم في عام ١٩٠١ علَتْ المياه بمقياس عنتبي فصارت أعلى منها بمقياس جنجا وكسومي بقدر ثلاثين سنتيمتراً ذلك يشير الى ان خوارق حدثت في عنتبي انتجت هذا الانقلاب والتغيُّر اما مقياسها ففي نقطةٍ آمنةٍ لا يدنو لها البحارون ولا الصيادون ويرقبهُ المسيو ماهون ناظر حدائق النبات راصداً مناسيبه بغاية الدقة . وقد أثبت الكومندور هُوَيتهوس في مذكرته ان المياه بمقياس كسومي لم تنقص قط في تلك الفترة ولكنها بمقياس عنتبي كانت تتزايد . ومن المعلومات التي تناولها الكبتن لينز المشار اليه نظريَّةٌ هي ان الارض عند عنتبي زلزلت زلازل متقاطعة ساقت الى المقاييس خللاً وتشويشاً فاصبحت عاطلةً لا تصلح لرصد المنسوب في البحيرة لشدة اضطرابه بين صعود ونزول . قلت وتعبير هذه الحادثة معقول يستصعب ان يؤتى بأحسن منهُ في هذا الصدد فان مقياسي كُسُومي وجِنْجا يتطابقان ولهما أرصاد يعول عليها في الزيادة والنقصان [٢] . والخلاصة ان اقصى فورة مياه

---

(١) ترى مذكرة الكبتن لينز مذكرةً ذات فائدة جُلَّى وهي ملحقة بهذا الكتاب وكذا مذكرة الكومندور هُوَيتهوس في هذا الشأن

(٢) ان سبب اختلاف المناسيب بين ارصاد جِنْجا وارصاد كُسُومي في شهر دسمبر سنة ١٩٠١ ظلَّ في حيز الخفاء حتى تبين لأولي الشان ان رجال الحكومة كانوا

البحيرة تتفاوت من بين قدم واحدة الى ثلاث اي من بين ثلاثين الى تسعين سنتيمتراً في السنة وان مياه البحيرة قد انحطت في السبع السنين الاخيرة بقدر ستة وسبعين سنتيمتراً عن متوسط المناسيب ولكن لا دليل على كون الانحطاط ثابتاً مكيثاً فان المعلومات التي وَعَيْناها وما اكتشفناه من امر الامطار في تلك الاصقاع يدل دلالة واضحة على ارتفاعٍ في عام ١٨٧٨ عقبهُ هبوط متواصل من عام ١٨٨٠ الى عام ١٨٩٠ تلاهُ ارتفاع متواصل من عام ١٨٩٢ الى عام ١٨٩٥ [١] ومن ثَمَّ هبوط متواصل من عام ١٨٩٦ الى عام ١٩٠٢ . ومما لا ريب فيه ان المناسيب في تلك الفترات كانت تتعلق تماماً على مقدار الامطار بحسب ما اتصل بنا بناءً عنها

بقي علينا [٢] ان نستبين وجه الارتباط والتقارن بين مبلغ المياه الداخلة الى البحيرة في كل سنة والمقدار الذي يستورده النيل عند شلالات ومساقط ريبون والكمية التي تتطاير منها بالتبخر . قلت فيما سلف ان المعلومات الاساسية فيما يختص بجمهور المياه التي تقع في قُرُبات البحيرة غير وافية وان تفريع تلك المياه في البلاد التي في منطقة مغيض البحيرة الواسعة الارجاء لا ضابط لها ولا حاكم وعلى ذلك يستحيل تقدير مبلغ المياه الدورية

قد خفضوا مقياس جنجا بقدر ثمانية وعشرين سنتيمتراً وسَهَوْا عن ذكر ذلك او لم يدونوا الفرق في سجلات ارصادهم

(١) لا يعول على أرصاد عامي ١٨٩٣ و ١٨٩٤ فانها سقيمة

(٢) ان ابحاث الكبتن لينز فيما يختص بمياه السيل ومناسيب البحيرة كشفت الستار عن اولية بديهية وهي ان متوسط ارتفاع المياه في البحيرة في سنةٍ ما من السنين متعلق على مقدار الامطار التي تجيء في شهري نوفمبر ودسمبر من السنة التي قبلها والغالب ان تبلغ المياه اقصى منزلتها في شهر يوليو . وتدل ارصاد السيل على انهُ اذا السماء درَّت بالمطر الغزير على مواطن السيل في شهري نوفمبر ودسمبر من اية سنة فربما كان متوسط المنسوب في مدار السنة التي تليها مرتفعاً

الداخلة الى البحيرة تقديراً صحيحاً نيّراً غير انّا مع ذلك يصح لنا ان نُعالج تقديراً يكون منه فائدة ونفع ولو كانت المعلومات قاصرةً قليلة ولا يبعد ان يجئ رقم التقدير احط من الرقم الصحيح . راجع ما قلته في صحف ٢٠ و٢١ و٢٢ من هذا الكتاب ترَ ان متوسط الامطار الدورية بقدر ما بلغته الابحاث والاستقصاءات الى الآن يتجاوز متراً واحداً وعشرين سنتيمتراً في الطرف الشمالي للبحيرة ومترين في الطرف الجنوبي منها وللسلوك في حساب التقدير المذكور نجعل اقلّ متوسط الامتار متراً واحدًا وخمسة وعشرين سنتيمترًا او خمسين عقدة في عامة منطقة البحيرة — فنقول

تبلغ منطقة مضاجع السيل مائة واثنين وسبعين الفاً من الكيلومترات المربعة ومساحة مغيض البحيرة نفسها ثمانية وستين الفاً ويجب ان يعتدَّ بمقدار ما يتسرَّب من مياه السيل الى المهارب وهي الانهار والجداول ثم ان ارضاً واسعة المساحة من تلك المنطقة دَغِلةٌ كثيرة الحرَجات قيل ان في بعضها ولا سيما منها البقاع الجنوبية والجنوبية الشرقية شَتَات الشجر وقد اتفق القوم على تقدير ما يجري من مياه المطر الى الانهار والجداول والمصارف في الانحاء الشجراء الغاصة بالادغال بقدر خمسة وعشرين بالمائة من الامطار اي ربعها واكثر من الربع في الانحاء قليلة الشجر وعلى ذلك يصحّ القول بان متوسط ما يدخل البحيرة من الامطار الدورية يكون بقدر خمسة وعشرين بالمائة في الاقل من مقدار الامطار الدورية كافة وهاك التفصيل

متر مكعب	
٥٣٧٥٠٠٠٠٠٠٠	منطقة مضاجع السيل ١٧٢٠٠٠ كيلومتر مربع × ١,٢٥ × ٢٥/١٠٠
٨٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠	سطح البحيرة ٦٨٠٠٠ كيلومتر مربع × ١,٢٥
١٣٨٧٥٠٠٠٠٠٠٠	الجملة

هذا فيما يختص بمستورد تلك البحيرة واما فيما يختص بمقدار ما يستدره النيل منها في سنةٍ تكون مياهه فيها على قدرٍ معتدلٍ قال المستر كُريج ان متوسط ما

ينصرف من البحيرة عند شلالات ريبون يبلغ خمسمائة وخمسة وسبعين متراً مكعباً في الثانية أعني تسعة وار بعين مليوناً وسبعمائة الف متر مكعب في اليوم أي ثمانية عشر الفاً ومائة وار بعين مليوناً في السنة اي ثلاثة بالمائة من المجموع المتقدم ذكرهُ وهو كما لا يخفى طفيف بالنسبة الى مقدار ما يدخلها من المياه . ولمعرفة ما يصير اليه فاضل ماء البحيرة وهو سبعة وثمانون بالمائة يجب تدبُّر ارصاد المقاييس المثبوتة الدالة على منازل سطح مائها بين صعود وانخفاض يومَ يومَ وبالبحث لم ارَ قط احسن من مقياس كسومو اساساً للعمل لان ارصاده تكاد تكون مستكملة متواصلة وهي دقيقة الى الغاية فأخذت عنه نسيقاً من ارصاد المناسيب في ثماني سنين مبتدئاً من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٩٠٣ حاذفاً منها سنتي ١٨٩٧ و ١٨٩٨ لانها غير متواصلة باسباب الثورة المهدوية . وتبين لي من تلك الارصاد ان متوسط المنسوب كان في مجمل تلك السنين ستة وستين سنتيمتراً وان الارتفاع كان معظمهُ في سنة ١٩٠١ اذ بلغ فيها تسعة وثمانين سنتيمتراً وهاك جدول ذلك

سنتيمترات	اقدام	عقد	السنة
٤٦	٦ ١/٤	١	١٨٩٦
٧٩	٧ ١/٤	٢	١٨٩٩
٦٩	٣	٢	١٩٠٠
٨٩	١١	٢	١٩٠١
٣٢	٠ ١/٢	١	١٩٠٢
٨١	٨	٢	١٩٠٣
٦٦	٢	٢	المتوسط

ومن الواضح ان ضَرْب مقدار هذا الارتفاع بمساحة وَجْه البحيرة يكون محصَّلهُ مقدار المياه المنسكبة في البحيرة امتاراً مكعبة في سنة واحدة مُسْقَطاً منهُ مبلغ التبخُّر ومقدار ما يستنزفهُ نهر النيل من تلك البحيرة ففي سنة الفيض المُقِلّ كفيض ١٩٠٢ بلغ ذلك المقدار واحداً وعشرين الفاً وسبعمائة

وستين مليونًا (٢١٧٦٠٠٠٠٠٠٠) و بلغ متوسط السنين الست المتقدم ذكرها ما خلا سنتي ١٨٩٧ و ١٨٩٨ اربعة واربعين الفاً وثمانمائه وثمانين مليونًا (٤٤٨٨٠٠٠٠٠٠٠) وفي سنة الفيض المُكثِر كفيض ١٩٠١ بلغت المكعبات ستين الفاً وخمسمائة وعشرين مليونًا (٦٠٥٢٠٠٠٠٠٠٠). هذا وقد اتخذت اساساً لعدّي واحصائي متوسط مكعبات الست السنين المذكورة وقدرهُ ٤٤٨٨٠ مليونًا من الامتار المكعبة والشيء معقول لان الاحصاءات كلها قاعدتها المتوسط عدًّا . — اما عن مقدار ما يتبخَّر من مياه البحيرة فأقول . إفرض (ا) مقدار المياه المنسكبة في البحيرة في مدى حَوْل كامل أي ١٣٨٧٥٠ مليونًا و (ب) مقدار ما يفيض بهِ النيل في حَوْل واحد وقدر ذلك ١٨١٤٠ مليوناً . و (ج) مقدار ازدياد البحيرة في حَوْل واحدٍ ايضاً وقدرهُ ٤٤٨٨٠ مليونًا بعد استنزال مبلغ التبخُّر والتصرف فيكون مبلغ التبخُّر في السنة هكذا

ا —(ب + ج) = ١٣٨٧٥٠ — (١٨١٤٠ + ٤٤٨٨٠) = ٧٥٧٣٠٠٠٠٠٠٠

متر مكعب بمعنى ان خمسة وخمسين بالمائة من متوسط ما يقع الى البحيرة في الحوْل يتصاعد في الجوّ بخاراً[١] او ان التبخر يقال منسوب البحيرة بقدر متر واحد ومائة وثلاثة عشر مليمتراً (١٬١١٣) في الحَوْل أو ثلاثة مليمترات في اليوم والحق ان معدل التبخر اليومي يختلف مقدارهُ في اثناء السنة اختلافاً كلياً ولا تبخر في فصل الشتاء متى طبَّق السحابُ الجوَّ وانهمرت الامطار وربما وقع اكثرهُ في غضون اشهر القيظ والجفاف وهي خمسة يناير وفبراير ويونيو ويوليو وأغسطس وعلى ذلك فيكون التبخر فيها بقدر سبعة مليمترات في اليوم. واعلم ان ما آتيناه في ما تقدم من التقدير كمساحة مغيض الماء ومساحة البحيرة ومتوسط الامطار الدورية ومتوسط ما ينصرف الى الانهار والجداول ومتوسط تصرف النيل في السنة إن هي كلها الاَّ تخمين. فكلما كبرت دائرة الالمام بهذا الموضوع

(١) لم اعتدَّ في تقديري بمقدار ما يغور من الماء في بطن الارض

استلزمت الارقام التي اوردتها تنقيحاً وتعديلاً كبيرين . ومع صحة ما قلته فان تخميني اسندته الى مفروضات وارجحيات فان سعة مضاجع السيل في الارض والبحيرة اخذتها عن احدث الخرائط الارضية ومقدار مياه الامطار اركنته الى ارصاد قليلة صارت اليّ . واما متوسط ما تستورده المهارب من ماء المطر ففيه ريب لكن المقدار الذي اوردته هنا ما هو الا بالقياس على ما يفرضونه من وجه عام لامطار البلاد ذات الحراج والادغال . اما مقدار تصرف النيل في السنة فمحصًى من قطاعات مأخوذة ومن ارصاد ما للمياه من الجرية. وبناءً على ما تقدم يبقى ما اوردته من التقدير ثابتاً ريثما تشير المعلومات التي يكشفها الزمن الآتي الى وجوب التعديل المذكور بكمياته وكيفياته

وقبل الانصراف عن هذا البحث يحسن بي ان استطلع ما يكون من شأن البحيرة فيما لو اقيمت قناطر تعديل وموازنة في شلالات ريبون تحبس بها مياه النهر وتحتكم لعل ذلك يحدث ازدياداً في منسوب البحيرة . فاقول

ان متوسط تصرف النيل هناك يبلغ تسعة وار بعين مليوناً وسبعمائة الف متر مكعب في اليوم فلو حبس هذا المقدار عن الانصراف من البحيرة لارتفع منسوبها بالنظر العلمي بقدر اثنين وسبعين جزءًا من مائة الف من سنتيمتر في اليوم (٠ر٠٠٠٧٢) او (٠ر٢٦٢٨) في السنة ومحصّل ذلك انه يقتضي لرفع ذلك المنسوب بقدر متر ثلاث سنوات ومائتان وثلاثه وتسعون يوماً لا بل يستوجب ذلك مدًى أبعد لان التقدير المذكور مبني على فرض ان مساحة سطح البحيرة لا تزيد بارتفاع المنسوب والحال انها تزيد زيادة محسوسة لان المياه تغمر حينئذٍ النقائع والمنخفضات من الارض في فسيح شاسع من البلاد وزيادتها على هذه الصورة يزيد التبخر زيادة نسبية لا ريب فيها. هذا وايراد النيل في عامة تلك الفترة معدوم

الفصل الثالث

في البلاد الواقعة فيما بين بحيرتي فكتوريا والبرت ادورد ومنها قسما بدّو وانكولي

يبتدىء طريق القوافل بين هاتين البحيرتين من بلدة بوجاجو على الضفير الغربي لبحيرة فكتوريا شاقاً في محلتي مَسَاكا مركز بدّو وأُمبَرَارا مركز انكولي ويخرج عند بلدة كَزَنجا على الطرف الشمالي الشرقي لبحيرة البرت إِدوَرْد ومسافة ذلك مائتان وثمانية وتسعون كيلو متراً .(١) اما مستوى العلاية عند محلة بوجاجو (والعرض الشمالي هناك ١٣َ) فاربعون متراً عن سطح الماء وهي تأخذ من الشاطئ في صعود شاق . وفي تلك المحلّة بقعة فيحاء مُعْشبة تكتنفها حَرجَة مستطيلة الشكل كالمنطقة يختلف عرضها من بين اربعة الى خمسة كيلو مترات تبتدىء عند نهر كاتنجا شمالاً وتنتهي عند نهر رُويزي جنوباً مسافة تنيّف على مائة كيلو متر وتسير على محاذاة بحيرة فكتوريا وهي غياض ملتفة الاشجار غاصة بالكلاء الكثيف ويتعرّش باشجارها نبات ضخم تسترسل أوردتهُ وتتدلّى من الاغصان مطاويَ ولَّياتٍ . وهناك من النخيل كثيرهُ ومن الازهار البرّية زاهيها ووافرها ومثال ما في تلك البقعة وفي الأُغندا ايضاً من النابتات النضيرة شُجَيْرة يقال لها أرثرينا تُومِنْتوزا ترى مُفْترشها أو صُوَانها مزداناً بعددٍ عديدٍ من عناقيد الزهر الجلناري منبثة في

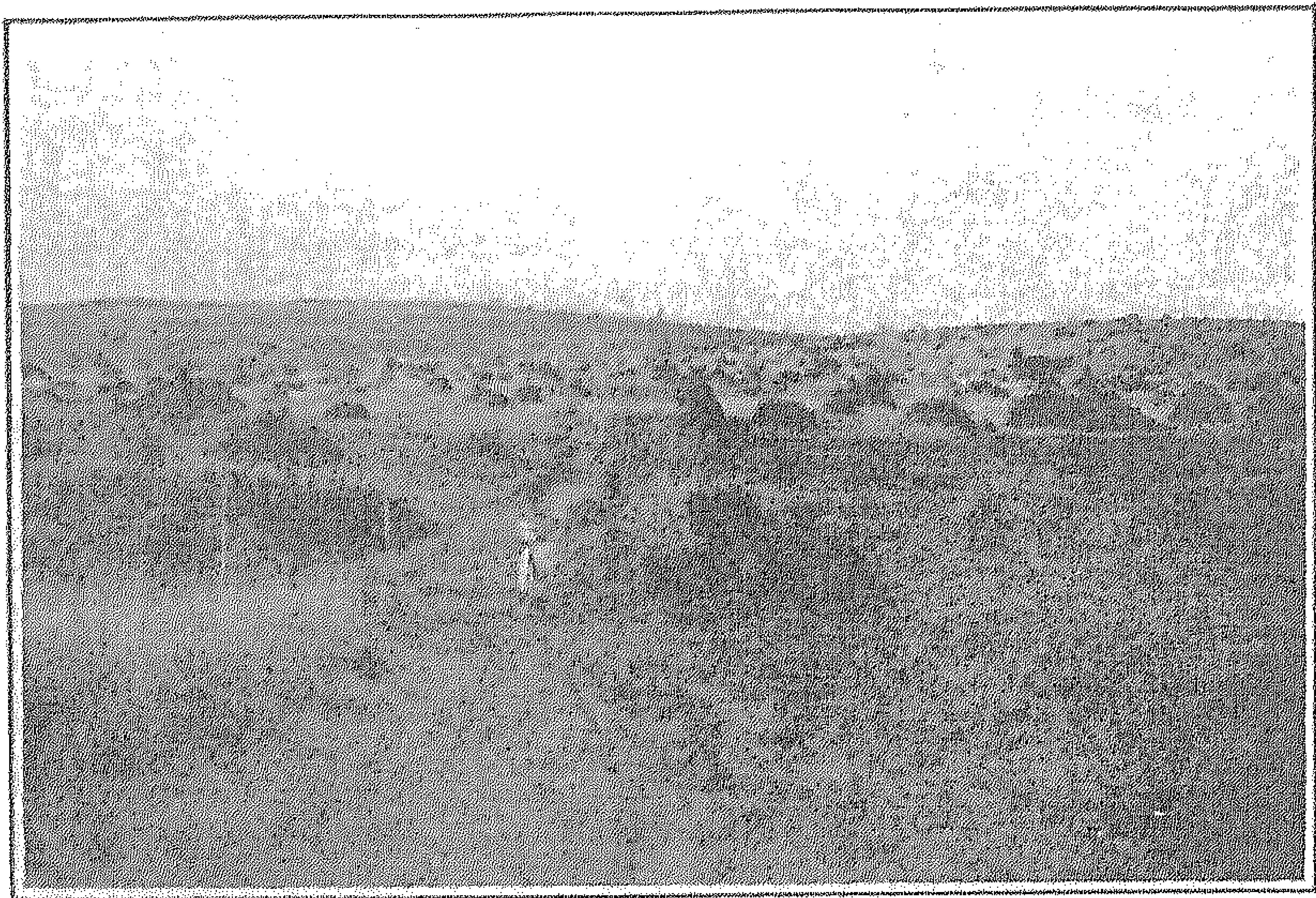
---

(١) قد انشئت طريق لعرَبات النقل ايضاً بين هاتين المحلتين ولها شعبة تؤدي الى عنتبي والطريق مهيأة لذوات العجل في حدود الرابية الهينة المسلك لكن طريق القوافل مَقربةٌ وهي اخصر من هذه الطريق لكن في بعض المواقع منها تداريج قائمة صعبة المرتقى وكلتا الطريقين من عمل اهل البلاد اشتغلوا فيهما مقابل اعفائهم من دفع عوائد الخصاص والحكومة تعبأ في تعهد امرها ولا سيما في قسم بدّو

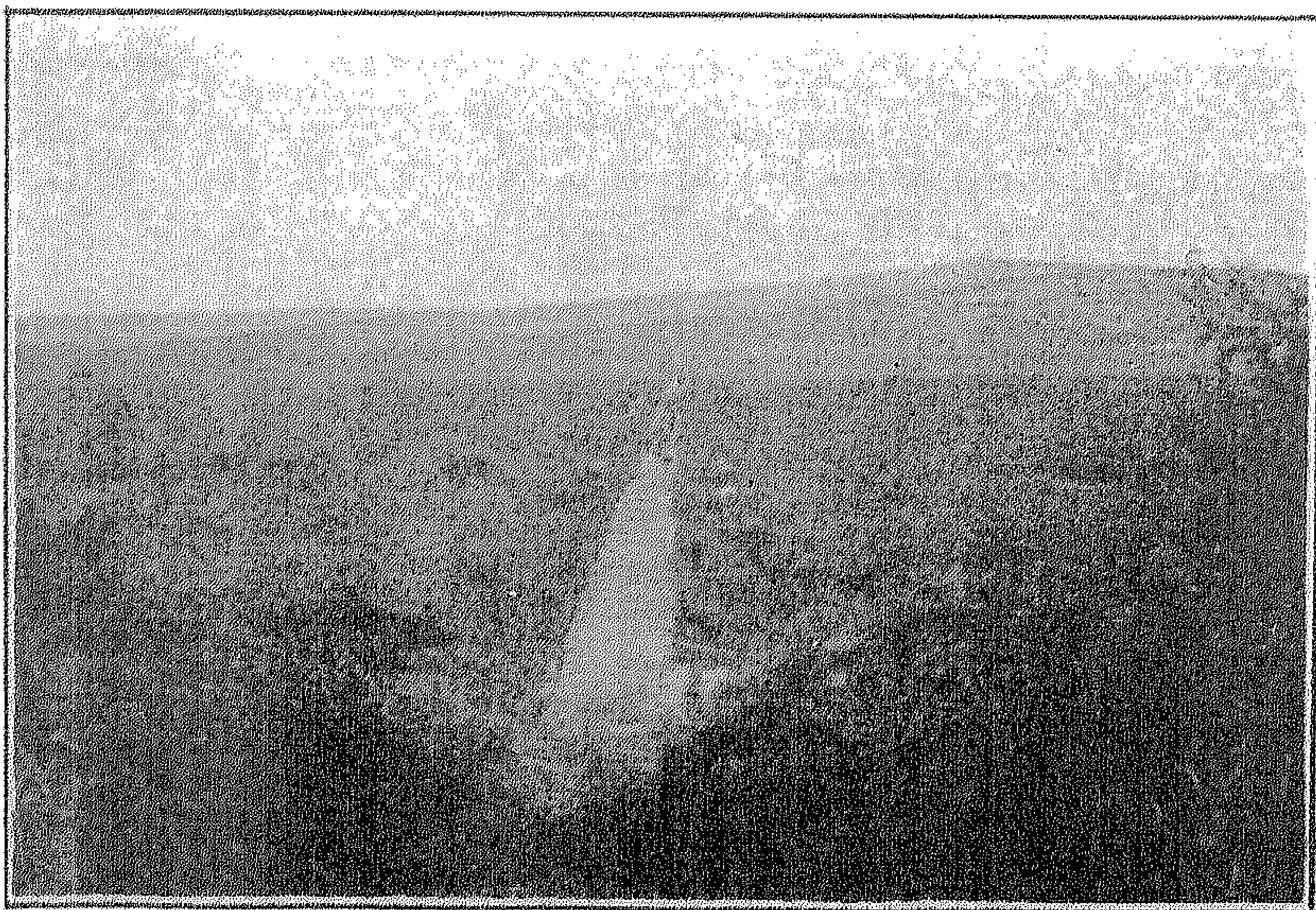
الارض. ولما كانت الشجرة قلما يخلو منها مكان كانت الوان تلك العناقيد تَغْشَى وجه الارض فتبعث فيه بقعاً من لونها الزاهي ولله ما يحدثه ذلك اللون من البهجة العاملة في النفس. والى غربي الحرجة المذكورة غمقة عرضها تسعة كيلومترات وزَوْدها تمتد شمالاً وجنوباً على محاذاة خط البحيرة مسافة قدرها خمسة وستون او سبعون كيلو متراً تنسلُّ مياهها الى نهر رويزي وفي حَوْطها بحيرة نابوغابو وهي مغيض مستدير يبلغ طول قطره سبعة او ثمانية كيلو مترات وفي الغمقة جنوباً اعشاب ملتفَّة تعلو علواً شامخاً لا تبلغهُ الاعشاب التي في شماليها وترى هناك غياضاً متفرقة من الشجر ونخيل الرافيا تخالها حديقة غناء واذا جاوزت الغمقة غرباً ترى البرّ يعلو أكماتٍ متناسقاتٍ سُوداً مناظرها حجرها اشبه بالصوان المعروف بالبازَلْت وهي المهواة الكبرى القائمة على ضفير بحيرة فكتوريا غرباً من كاجيرا الى كاتونجا ممتدة شمالاً جنوباً وهناك الارض محصبةٌ كثيرة الحصى تعلو عن سطح البحيرة بقدر مائة متر ونيفٍ. قالوا ان السيول قد خدَّدتها فاحدثت فيها كهوفاً واغواراً. واديم المركز باجمعهِ طبقة من حجر حديدي غضَاري اشبه بالطبقة التي تقدم ذكرها في الكلام على بلاد الاغندا والكافيرندو[1] وفيما وراء الاكمات المذكورة علاية براحٌ عريضة يتموج سطحها بين نبوات وجوات تتبطنها المشاجر الملتفة. والبلاد هناك خصيبة منُعَمة آهلة بالخلق ولعشيرة البهيما[2] فيها انعام شتى ومواشٍ لكنها معزولة منفردة واما بدُّو فليس فيها كَوَرٌ وقرًى متجمعات فمنازل القوم فيها متفرقة منبثَّة في الأدغال والمروج ازواجاً وافراداً كل منها في جوار بقعتهِ

(١) ليس في تلك المنطقة الا ما قلَّ من ركاز الحديد فهو من هذه الحيثية لا يقوم بنفقة استخراجه

(٢) هم اشراف مستعمرة الاغندا كثيرو المال والانعام وربما كان الاسم مأخوذاً عن اللفظ العربي دلالة عن وفرة بهائمهم او مراسهم تربية المواشي



شكل كوَاير النمل فى قسم بُدُّو



مَجَاز فى أَجَمة بقسم بُدُّو

الخاصة بهِ مزروعة موزاً او بطاطا وشكل المنزل مستدير يغطيه سقف مُتقَن كثير الشبه بكوارة النحل وجوانبهُ مكسوة نباتاً يقال له نبات الغيل طُنُوفها هابطة تكاد تمس اديم الارض ويظلّل مدخلهُ سياج من اعشاب وقد أزيحت من قبلُه جماعة القَصَب البريّ في قيدٍ بعيد منهُ واهل البلد سمر اللَّون حالكُوه ولكنهم لا يُعَدُّون من هذه الوجهة صنفاً من صنوف الزنج وكثير منهم وجوههم بيضية الشكل حَسَنة الخَلق والسَحنة وجميعهم يكتسون الثياب وقد دان بالنصرانية منهم زهاء ثلاثة ارباعهم واتخذ الكاثولوكية البابَاوية مذهبا وقليل منهم انجيليون أي من المذهب البروتستَنتي و بعضهم من اهل الاسلام (١) والسواد الاعظم منهم رجالاً ونساءً يتطوَّقون السلاسل ويعلقون بها الصلبان والى غربي العَلاَية ترى نسيقاً من المرتفعات والمنخفضات على التعاقب كما في اغندا وفي المنخفضات منهـا مآجل أو مستنقع مختلف السعة من بين بضع مئات من الامتار الى ثلاثة أو اربعة كيلومترات غاص بالبردي والعنبج يتخلَّلها متسلقات الاعشاب تلتف بها وعلى وجه الماء بساط بديع الزُرقة من الزنبق الاسمنجوني والآكام المذكورة مكسوَّة عوسجاً وعُلَّيقاً وعلى منحدراتها شجر الموز ويجتاز الغمقة او المستنقع على جسرٍ يقيمونه لذلك فانهم يلقون على سطح الماء بحزم من حطَب متلاصقة ثم يرصفون فوقها سطراً من فروع الشجر ويثبتون هذه وتلك بقوائم يغرزونها في ارض الغمقة تاركين للماء بينها منفذاً ويفرشون تلك الفروع طيناً ورملاً فيصبح الجسر صالحاً للخطو وترى في اعالي بعض الآكام المذكورة منبسطاتٍ صغيرة لا تكاد تبلغها حتى تلاقي في جنبها انحداراً ولا خفاء ان الصعود والهبوط على هذه الصورة يجعلان التطواف والجولان في بلاد اغنـدا مستصعبَين ثقيلين شاقَّين على الحمالين

---

(١) ويستثنى من هذه الاقوام عشيرة البهميا المتقدم ذكرها فقلّ منهم من اتخذ الاسلام او النصرانية ديناً له

ناهكين للرواد والمسافرين وعلى مسيرة ثلاثين كيلومتراً عن ناحية بُوجاجو محلة مَسَاكا وهناك قلعة صغيرة قائمة في منبسط سنام الاكمة وهي تعلو بقدر ثلاثمائة متر عن سطح بحيرة فكتوريا وفيها دوائر الحكومة ومساعد جابي الاموال الاميرية ويحيط بها جسر من تراب وخندق بعيد الدَرَك ورجال الحامية يقيمون تحت القلعة في عرض الاكمة الغربي وهم رجال الشُرْطَة وفرقة من جُنْد أغندا ومن قنتها يُشرف الرائي كيفما اجال الطرف على منظر بديع وامامه قمم آكام مستديرة لا تحصى وفي فجّاتها وبطونها تستجلي المناقع والمآجل استجلاء صحيحاً . هذا وبين مساكا وأمبارارا على مسافة عشرة كيلومترات غرباً نسيق من الروابي والارض هناك تتصعّد والروابي في تلك الانحاء ارفع منها في الجهة الشرقية وكذلك الاودية والوهاد فجواتها أوسع وهناك تقلّ الزراعة لا بل تندر ويغلب على البلد منظر الوحشة . واعلم ان هذه الروابي هي ثواني الروابي بعد انصرافك عن ضفير بحيرة فكتوريا . والارض عند كِيبُويو (وهي عن البحيرة على تسعة واربعين كيلومتراً) مرتفعة لكن اعالي الحُرُوف والآناف منبسطة سُهَيْلاتٍ وبُقيعاتٍ لا تكثر فيها المستنقعات وارضها لا تخلو من تعريج وتدريج بين صعود قائم وهبوط وَعِرٍ ولكنها من وجهةٍ عامة اشبه شيء ببراحٍ من الارض الصلداء جَعْد الاديم . قلما تجد فيه شجراً وجُلُّ ما في الارض خانج ودغل وانجم وفي تلك الاقطار شجيرات الفربيون متفرقات متناثرات في عرض الروابي . وعند بلدة إمْبَرِيزي بعيداً عن البحيرة الى الغرب بقدر سبعة وستين كيلومتراً تعلو الآكام شامخاتٍ وعراً وجفاء من الاودية والمهاوي والصخر فيها يتدانى من سطحها لحاً ولا سيما منه الكوَرتز (الحجر الصواني المتبلور) وحجر الطَلْق وتقوم منه على جوانب الاكام كُتَلٌ هائلة ناتئة على وجههِ كالقروح . وفي حضيض الوهاد تنمو الاعشاب وتعلو علواً عظيماً والغَمَقات هناك قد اتسعت عَرْضاً عما قبلها

وليس فيها من الشجر الاّ الفربيون المتقدم ذكره والسنط على انواعها وضروبها[١] وتكثر في تلك الانحاء الازهار البرية وهي جميلة عجيبة ومنها متفرقاتٌ لها شبه اكبر بالخطميّ الأجميّ لكل منها نور له لون على وحدهِ من برتقالي ووردي وأصفر وارجواني وابيض ومن النبات الذي يعلو بقدر مترين ونصف نبات من الفصيلة الشوكية زهرةٌ ارجواني غاية في البهاء والبهجة ونبات مشهور كثير الوجود هناك زهره احمر قانٍ له ساق فيها نواتئ متفرقة مكسوّة حسكاً بين الناتئ الواحد والآخر نحو عشرين سنتيمتراً على التعاقب

أقول وعلى ثلاثة وتسعين كيلو متراً من بحيرة فكتوريا وعلى مقربة من مارُنجوُ شمالاً جبل هائل أجرد مسنَّم تسنيمَ صَلب الخنوص يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر الملح زهاءَ الفٍ واربعمائة قدم . والى الغرب أودية منفجرة الى مدى بعيد وعلى احقافها على الجانبين اكام وروابٍ ترى طيفها عند بُعْد بديع اللون مزدوجهُ بين ازرق وأحمر قانٍ وعن قرب ترى هنَوات السنط الابريزية و بين لونها المسجدي وخضرة اوراق الشجر وبهاء الاعشاب الغضَّة تباينٌ جميل شائق . واودية تلك الروابي واخوارها ومضايقها تستفيض شجراً وفي تلك الاودية رزان ومستنقعات تسيل مياهها في سمت الجنوب مفرغة الى بحيرة كاشيرا والارض هناك خَلاَ عنها الاهلون وليس بها من الخلق الاّ النزر القليل. فاذا كنت من تلك البقعة على عشرة كيلومترات ترى الارض قد تبدّل زيّها وهندامها فالروابي منحطة والوهاد مستعرضة منفرشة مستنقعاتها تشقها جداول بقعة أجمِّية وكلها تجري في سمت الجنوب وتستفيض بطون الاودية نباتاً واعشاباً وسنطاً وفربيوناً وانتيلاً وقلَّما ترى في سلسلة الروابي على اي من الجانبين رابية اخرى ناتئة عنها وتجاوزها شموخاً وارتفاعاً . وعند

---

(١) يسطو على السنط في تلك البلاد ضرب من النبات الطفيلي يستوقف ماءهُ ويضعفهُ وقد يتسلق كثيراً من شجيراتها فيغمي فروعها ويميتها

الكيلومتر المائة والعاشر نهر ماؤه ساكن مستبحر هو الحد الفاصل بين مركزي بدو وأنكولي ودليلهُ معالم قائمة على جانب الطريق و بعد ذلك بخمسة كيلومترات معسكر ا نزنجي وموقعهُ في علاَية خفيفة تكتنفها الآكام والهضاب من نواحٍ ثلاثٍ . والى الجنوب وادٍ واسع الانفراج وفي ابان الامطار يمتلئ بطنهُ ماء فيكون منهُ غدير عظيم واسع الاقطار اما في ابان القيظ والجفاف فالمياه عزيزة ولذلك كان الاهالي يرتحلون باغنامهم وأنعامهم مهاجرين الى بلد آخر طلباً للماء(١) . وتكثر الفِيَلَة في تلك الانحاء وهي تؤاذي في الاحراج اذًى بليغاً فتقصم اشجارها قصماً وتقتلعها من جذورها فتبعثرها في الارض شذَرَ مذَرَ متلاعبة بها تلاعب الصبية بالأُكَر لان الاوراق كثيراً ما تبقى ملازمة لاغصانها . واذا ابعدت مسافة اربعين كيلومتراً غرباً تصبح البلاد ولا طلاوة على مرآها ويصيب الرائد منهُ المَلَل والضجر فترى الارض انشازاً ومناقع متعاقبة تذهب بالصبر. وفي تلك الجرُوف شتات الاشجار وهناك جدول بطيء الجرية مسيلهُ محبوس بالاعشاب تقوم على ضفتيه في الغالب آجام ذات أقصاب طينتها يشوبها رَدَغة سوداء ورمل خشن الحبيبات اذا اصابها المطر صارت لزجة سمينة. هذا وتنفرج كربة المسافر ويتنفس الصعداء عند ما يكون عن بحيرة فكتوريا على مائة وخمسين كيلو متراً فهناك ينقلب وجه الارض وتتغير المناظر فتكون الروابي شامخة تضاهي الجبال وليس في الروابي التي مرّ بك ذكرها بعد انصرافك عن البحيرة مايساويها ارتفاعاً وهي خلو من الاشجار لكنها مكسوّة عشباً . واما الاودية فغاصة بالخيس ومن النكد على الرائد في تلك النقطة ظماؤهُ الى الماء لانه عزيز جداً . ومن ثمّ في مسافة بعض الكيلومترات ترى شجيرات الموز منبثة في الحدرات السفلى للروابي وجبال رُومبارى تتجلى لك في

---

(١) يستورد اهل انسُنْجي ماءهم من المناقع وهو اغبر اللون قاتمهُ وطعمهُ بشيع كريه المذاق

افق الجنوب الاقصى وهي الحد الشمالي لوادي نهر كاجيرا ثم يُصعِّد المسافر في جبلٍ صعب المرتقى طويل المدى ويُحدِّر في وادٍ آخر فيبلغ الهضبة التي عليها بلدة امبارارا وهي مركز قسم انكولي . بلدةٌ مشيدة في مسطح قمة الهضبة وارتفاعها عن سطح البحر الملح بقدر الف وستمائة متر على مسيرة مائة وثمانية وسبعين كيلومتراً من بحيرة فكتوريا وهي بلدة انيقة منظمةٌ شوارعها مزدانة بسطور الشجر على الجنبين ومنازل القوم جيدة البناء ملائمة للسكنى ولكل منزل منها كَنَف خاص يحيط به والبلدة غاية في الرونق والزهاء واكثر بلاد مستعمرة أغندا تمدناً وتقدماً بعد محلة عنتبي المار ذكرها . معسكرُها ومخازن الذخيرة والمهمات العسكرية والقلعة جميعها مستعلية في قمة الهضبة وتحتها بقليل الدوائر الملكية وعلى الهضبة التي قبالتها دائرة الشُرطة والمستشفى والسجن وغيرها من الدواوين . وفيها من رجال الانجليز وكيل جابي الاموال وطبيب وضابطان للجند واما الكتيبة المقيمة في امبارارا فمؤلفة من فرقتين من عساكر الاغندا فيها مائة وثمانون سودانياً وسبعون اغندياً وهناك ايضاً مائة شرطي (بوليس)

ثم ان نهر رُويزي يسير في مختنق عميق يكون عن المحلة نحواً من ثمانمائة متر جنوباً وحوله البلاد عرّاء لا شجر فيها فحطب الوقود واخشاب البناء عزيزة نادرة وقمة الرابية في يوم صافي الجوّ يُشرَف منها على بقاع بديعة غاية في البهاء وتُرى جبال رُومبارا على مسافة ستة عشر او تسعة عشر كيلومتراً وهي تناطح الافق الجنوبي ومرساها شرقاً بغرب ويكون ارتفاع بعض قممها الفي متر ونيفاً عن سطح البحر الملح ولسلسلتها طول يكون زهاء سبعين كيلومتراً والى ما وراءها في مهب الجنوب ينساب نهر كاجيرا وأخصر ما بينه وبين محلة امبارارا مسافة تبلغ خمسين كيلومتراً جنوباً . هذا واذا راق الجو وصفا الافق صفاء ليس بالمعتاد ترى بالعين المجردة في الافق

القصيّ آكام الرونزوري متناسقة في جميع الانحاء الشيء الذي لايتأتى في الشتاء الا في هنيهة انقطاع الغيث وهدونه وذلك نادر . اقول وفي زمن القيظ تجفّ الاعشاب فيحرقونها ويتصاعد دخانها في الجوّ مكوناً فيه غمامة كثيفة تظلل وجه الارض [١] والارض حول امبارارا على مدًى بعيد كثيرة الزرع واخص ما يرتفع منها البطاطا والطربون يتناولهما رجال الحامية وفيها جنان فسيحة من الموز . وعلى مسافة نحو كيلومتر وربع غربي المحلة ترى صَرح سلطان أنكولي قائماً على قمة اكمةٍ وحدها والصرح عبارة عن خص مغمًّى بالحُفَافة وبجانبهِ صغار الخصاص لحرَمه وحاشيته ويحيط بهذه الخصاص سياج رفيع من نبات الغاب . والاكمة موشاة كلها بنبات الموز . وفي ذروة تلك الاكمة ايضاً الكنيسة الانجليزية واما السلطان فمن الاصل البهيمائي اي من عشيرة البهيماء التي اسلفنا ذكرها وهو فتىً له من العمر تسعة عشر حولاً عجيب الطول يبلغ ارتفاع قامته ست اقدام وست عقد حالك اللون لكنه حسن السحنة معتدل الخَلْق يتردَّى برداءٍ ابيض ضافي الاردان فوقهُ سُترة من جوخ صُنع المغرب ويتقبع طاقية او كُمَّة بيضاء ايضاً . واما المباني المختصة بكنيسة الانجليز فوقعها في بسيط الارض غربي الاكمة ومباني الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في ذروة اكمةٍ أُخرى بجانبها . هذا وهواء امبارارا في اشهر الشتاء جيد صحيح والمشهور ان المحلة اصحّ بلاد المستعمرة هواءً واقليماً [٢] . ثم اذا خرج الرائد من امبارارا آخذاً الى بحيرة البرت ادورد وانحدر

---

(١) ينشأ عن هذا الحريق اسخان الهواء الجوّي واشباعهُ بالحرارة فيكون منه في السماء سحاب كثيف وسديم يحجب السماء عن الارض من جميع الانحاء والاطراف

(٢) ان اقصى درجة الحرارة هناك ٨١ بميزان فهرنهيت واحطها ٥٥ ويبتدئ فصل الشتاء الاول في بداية شهر فبراير وينتهي في آخر مايو ويبتدئ الفصل الثاني في منتصف شهر سبتمبر وينتهي في آخر نوفمبر



نهر زويزى بقسم أنكولى



محلّة آمبَارا بقسم أنكولى

في صَبب الربوة يُصادف في طريقه علايةً او صرْحةً رحيبة[١] يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر الملح بقدر الف وار بعمائة متر ومتنها مكشوف وغالبهُ سهل بسيط ما خلا نقطاً منه تشخص فيها نواتئ خفيفة تعلو سطحه. وفيه ما لا يحصى من قرى النمل تجاوز عشب الارض ارتفاعاً ومتوسط ارتفاعه هناك سبعون سنتيمتراً ومظهر التربة بركانيّ ولكن بعض البطائح طَفالٌ وكذّانٌ وعلى جانب الصرْحة الجنوبي سلسلة جبال رُومبارا ويشق في حضيضها نهر الرويزي . ويخترق السهل مجارٍ اجميَّة تنسكب مياهها كافة في ذلك النهر ومسايلها غاصة بالبردي والغاب تنساب من بينها تلك المياه على مهلٍ وبعض تلك المجاري بعيد الغور لا سيما واحدٌ منها يبلغ عرض ار بعين متراً وغورهُ عشرة امتار وفي الطرف الغربي للعلاية المذكورة هَضْبَة مدورة القنة تتصاعد عن السهل فيبلغ ارتفاعها نيفاً ومائتي متر وتنتهي العلاية المذكورة غربي بحيرة فكتوريا على مسافة مائة وتسعين كيلومتراً عنها فترتفع الارض ارتفاعاً حاداً وهناك معسكر روسانا . ومن تلك النقطة تبصر العين على البعد القصيّ سلسلة الجبال الواقعة على الجانب الشرقي لبحيرة البرت ادورد . وفي الشمال القريب جبل شامخ يعرف بجبل شِنيِيني[٢] . ثم تصادف في شُقة مابين رُوسَاسَا وقَنْيَا مَتَبارا في مسافة مائتين وستة وثلاثين كيلومتراً كثيراً من صغار الجُرُوف تكون ضجعة اكثرها شمالاً بجنوب وهناك تختلف الارض اختلافاً بيناً فترى الاودية ضيقة عميقة والآكام

---

(١) تنقطع الزراعة على بعض الكيلومترات عن قصر السلطان من الجهة الغربية

(٢) وعلى مائتين وثلاثة كيلومترات تصادف في طريقك نهر كوجا وهو يخرج من الروابي القائمة في مهب الغرب وعرض مسيله مائة وثلاثة امتار وغوره متران وكان في شهر فبراير سنة ١٩٠٣ متراً واحداً فقط ولا يكاد يرى له جرية لان نبات الغاب يخنق مياهه . وهو يفضي الى نهر رويزي

عالية وعرة كانها الجبال والارض في اسافلها كثيرة الزراعات واما اعاليها فقاحلة صلداء . واما محلة قنيا متبارا المذكورة فقائمة في علاية صغيرة تعلو عن سطح البحر الملح بقدر الف وسبعمائة متر ومنظر البلاد من تلك النقط منظر معجب والى ما وراء ذلك شمالاً جبل شِنيْيني المتقدم ذكرهُ جبل شامخ مربع الشكل منبسط القمة ارتفاعهُ زهاء الفين وخمسمائة متر جانبهُ الشمالي مهواة عميقة وهو أجرد اقرع بينهُ وبين العلاية المذكورة فجوة وادٍ بطنه غابات وأدغال والى الجنوب الغربي فجوة اخرى فيها كثير من الجنبة وصغار الشجر منتشرة في اديمها مبعثرة وتنتهي الى هضبات عجيبة مخروطية الشكل وماء الشرب في تلك الانحاء اقل من القليل وهم يجلبونه من اماكن بعيدة [1] . والى غرب قنيا متبارا منشأ جبال تتصل بالضفة الشرقية لوادي البحيرتين [2] وسلوك هذه الشقة صعب جداً على الحمالين فان العقبات فيها طويلة المسافة وهي وعيرة صعبة المرتقى والحدرات أيضاً ناهكة للقوى وليس فيها مستويات سهلة الاَّ ما ندر فلا يعتمّ الرائد ان يلحق بقمة الاكمة حتى ينحدر في عرض الجانب الآخر منها هابطاً الى حضيض الفجوة فيقطع بطنها المتقارب الجانبين ويدخل فوراً بالتصعيد في اكمة أخرى ارفع منها وهكذا على التوالى . وهذه الجبال تتناول عامة البر الى حد وادي البرت ادورد ويكون مضجعها شمالَ جنوبَ . ففي الشمال تفضي الى آكام ناشئة في العلاية التي تخترق بلاد تورو وأنيورو وتفصل منطقة مغيض فكتوريا عن منطقة مغيض البرت . وفي الجنوب تخرج الى الجبال الواقعة الى الشمال عن

---

(١) بعض العصفور في تلك الانحاء انيق ومنه ضربٌ لون رأسه وصدره وذيله كالقرمز النضير وجناحاه اسودان ومنه نوع اسود الرأس والظهر برتقالي الصدر

(٢) يجتاز نهر كندكي على مسافة كيلومتر واحد عن قنيامتبارا وهو مجرًى اجمي يدور في سفح جبال شينيني ويصب في نهر رويزي وعرض مسيله اربعة وتسعون متراً وغوره متران ونصف يكثر فيه البردي

كيفو ويقع اقصى ارتفاعها (وذلك بين امباراراو بحيرة البرت ادورد) على مايتين وتسعة وعشرين كيلومتراً عن بحيرة فكتوريا وهو الفا متر عن سطح البحر الملح[١] والمناظر هناك مدهشة تضارع مناظر جبال الألب او سفوح جبال حملايا وهي سطور من جبال متناسقة متراكبة بعضها فوق بعض في جميع تلك الانحاء يكون اعلاها في جهتي الغرب والشمال وعلى جوانبها اخوار كبيرة تنحدر الى اودية بعيدة الحضيض تحت في انحدارها تلك الجوانب وترى في ميولها الملياناتثات من المرو والبازلت وبعضها غريب في شكله. وفي الاودية بعض الزراعات ولكن اعاليها مَوَاتٌ لاغابات فيها ولا ادغال اما هواؤها فصحيح ملائم والشمس هناك محرقة لكن الهواء رطب نديّ والجوانب مكسوّة بلفيف الاعشاب يغشاها جماعات الازهار البرية[٢] ويطلُّ الرائد في سيره احياناً على العلاية التي من تحته واذا تطلعت الى الشرق عند الفجر ترى ظلال الآكام القُربى والسهول وجبال رُومِبَارا النائية تترقرق متلألئة في اديم الشفق الشمسي. منبعثة من خلال الضباب. والطريق المؤدية الى بحيرة البرت ادورد تحفُّ بطنف تلك الجبال تصعيداً فتحديراً على التوالي وبعد اجتياز المنفذ يهبط المسافر في ميل شديد الانحدار مسافة طولها ثلاثمائة متر فيبلغ نهر كايبجي[٣]. ومن ثم يزداد الميل انحداراً حتى لا يكون اقل من واحد الى واحد الاَّ فيما ندر

---

(١) المشهور ان اعلى الجبال في تلك النقطة يبلغ ارتفاعه الفين وسبعمائة متر عن سطح البحر الملح

(٢) بين هذه الازهار زهرة غريبة الشكل واللون لها شديد الشبه بزهر اللؤلؤ الكبير الحجم ويبلغ قطر بعضها خمس عقد

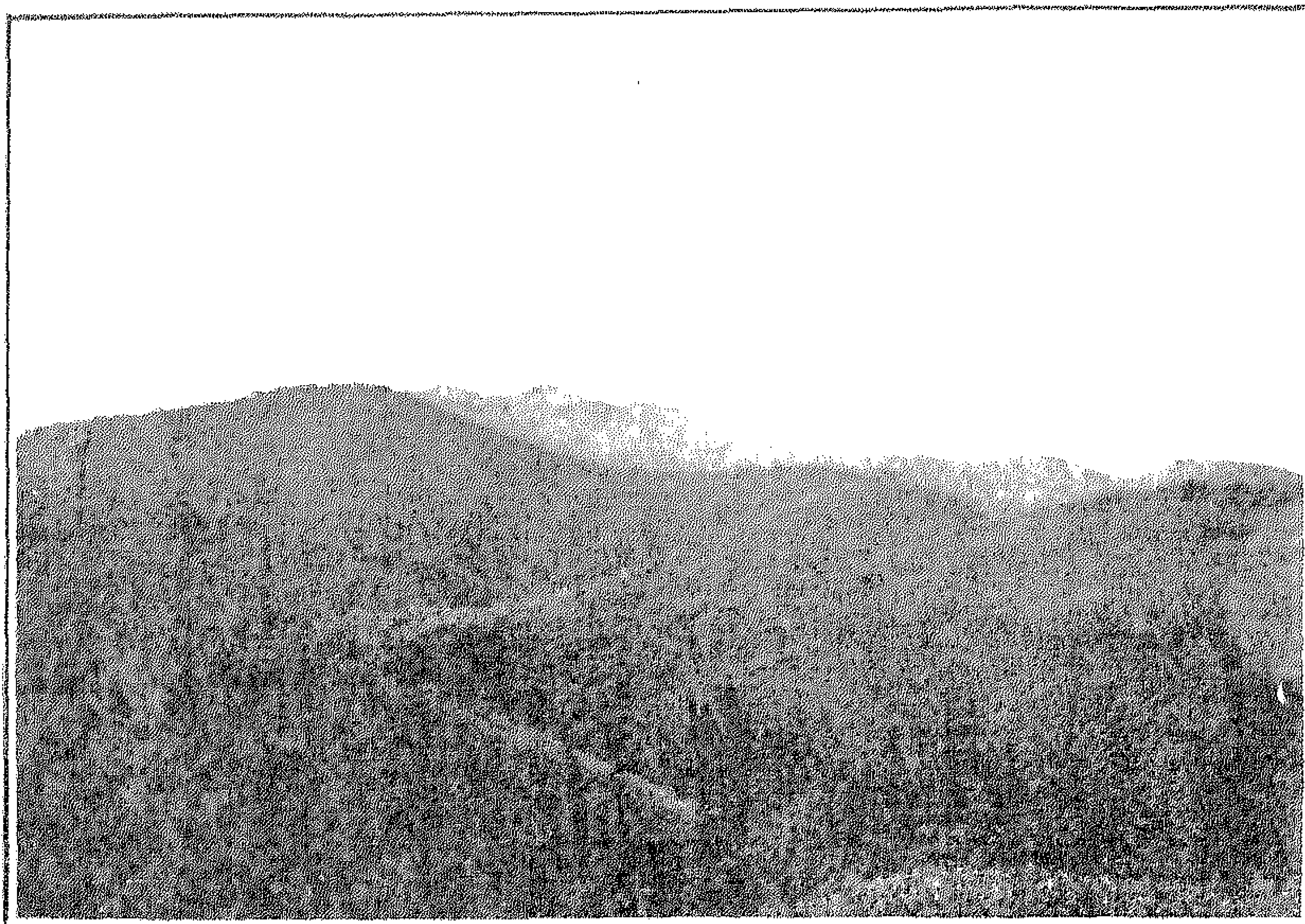
(٣) مصب هذا النهر من الشمال الى الجنوب وسعة مسيله تسعة واربعون متراً وغور مائه ثلاثة امتار فاذا كانت ايام الجفاف والقيظ صار غوره الى ستين سنتيمتراً وماؤهُ عندئذٍ كصافي الكهرباء وفي بطنهِ منابت القصب والبردي تعترض مجراه فتعوق سيره

ويكثر ان يكون ثلاثة ارباع الى واحد . ولله ما يقاسي الحمَّالون المساكين هناك من العناء في سلوك هذه الشُقة فانهم كثيراً ما تضطرهم الحال الى النزول زحفاً على مقعداتهم وعند الكيلومتر ٢٣٩ اجتزنا منطقة مطارح السيل وهناك رأينا الانهار فيما وراء تلك النقطة تجري من مصب الجنوب مفرغة في مهب الشمال بدلاً من سيرها من الشمال الى الجنوب (١) ومن هناك هبطنا هبوطاً متتالياً مسافة كيلومترين فخرجنا الى نهر يقال لهُ نهر وَلَجَا (٢) والبلاد الى غربيهِ اسهل مراساً لان الطريق تسير بازاء نسيق من العلايات القائمة بين شعاب الجبال وليس فيها من عقبات الاَّ واحدة فقط لا مناص من اجتيازها وفي كثير من النفانف والفجوات التي تنساب فيها الانهار تكون هناك مواضع وعرة ممتنعة صعبة المسلك ولكن الصَبَب في كل حالٍ أسهل منحدَراً مما في جوار المنفذ المتقدم ذكره . وفي جميع هذه النفانف حراج ملتفة الاشجار منها شجرة البِنْتُودينا مشهورة لطولها في الهواء وسواندها اي حواشيها وازهارها البنية اللون في اعاليها (٣) . واذا تجاوزت علاية كيسارى

(١) والى شرقي الكيلومتر ٢٣٩ تنصرف المياه الى نهر رويزي ومن غربي تلك النقطة تتطرق الى انهار اخرى فتجري معاً وتصب في نهر كاتنجا

(٢) هذا النهر سريع الجرية قرَاح سعته اثنا عشر متراً وعمقه ثلاثون سنتيمتراً

(٣) قد اشرت في ما تقدم الى الازهار البرية التي في تلك البقعة وفي كل روضة وصحراء يزداد مرآها بهاءً وبهجة وهي طويلة السوق تعلو فوق العشب ويبلغ ارتفاع بعضها متراً وخمسة وسبعين سنتيمتراً ومن المستغرب ما في الوانها من التضارب. قال جناب السر هنري جونستن في مؤلفه الاخير « ومن المستغرب ايضاً ان ليس بين هذه الازهار مايكون لونه ازرق » ومنها مايتشكل بشكل زهر الاكونيت اي حشيشه خانق الذئب وتكون اكمامها بيضاء ولا بياض الزنبق وغيرها لونه كزهر اللؤلؤ النرجسي وغيرها يماثل بلونه الاقحوان ومنها كزهر عباد الشمس وفي تلك الارض جميعها ترى الزهر الابيض الذي ذكرته في ما تقدم ويكثر هناك البويقات الاسمنجونية التي يخرجها نبات الاريثرينا تومنتوزا



جبال التخوم الشرقية لمجرة وادى الالبرتين بقسم الكولى



جبال التخوم الشرقية لمجرة وادى الالبرتين بقسم الكولى

ترى عند الكيلومتر ٢٥٧ سلسلة جبال على مسافة ستة عشر او ثمانية عشر كيلومتراً من الطريق تمتد في عرض الفَلاَة شمالاً بشرق رؤسها منسطحة يكون لجانبها الغربي ميل وفيما بينها وبين الَملاَية المذكورة نسيق من الرُّبى والآكام تغشاها الاعشاب ومن قننها ما يكون مدوراً ومنها ما هو مخروط وفي الجهة الشماليـة الغربية اكمتان مخروطتان كقالب السكر وقُبَيلهما برٌّ براح دغل متفارز الاديم متقاطعهُ موشّى بالاشجار الغايظة منبثة فيهِ جماعاتٍ عديدة منها ويكسوه نبات السرخس طويل الساق . والطريق عند منعطفه الى الجهة الغربية يدور في ذلك البراح الدغل بصعود هيّن متدانياً من جبال كيباسي . هذا وبعض الشجر أنيق بديع ولا سيما ضَرْبٌ منهُ ورقهُ اخضر قاتم الى الدكنة يقارب ورق البوَنْشيانا رجيا او المهُور الذهبي وفي كل شعبة اشد اكمداداً من شعب ذلك الورق ترى اوراقاً صافية اللون الى السنجابية تكاد تكون بيضاء وتخالُها عن بعد قليل مغشاة صقيعاً او ثلجاً . والحراج بعد تلك النقطة اكثر تواصلاً الى الجهة الغربية وتصير الطريق على مسافة ثلاثة كيلومترات عن جبال كيباسي

واذا اخذت من بحيرة فكتوريا الى مسافة مائتين وخمسين كيلومتراً تجيء الى منطقة الغابة الكبرى وهي غابة تمتد الى الجنوب مئاتٍ من الكيلومترات امتداداً متواصلاً بغير انفصال محاذية لهضاب المهواة الكبرى التي هي الحد الشرقي لوادي البرت[1] وتقطعها جبال سلسلة كيباسي عند طرفها الشمالي على مقربة من نقطة تقاطع الطريق المذكورة بحروف هذه الجبال . ومسافة طول الغابة المذكورة من الشمال الى الجنوب شاسعة مديدة ولكنها قليلة السعة من الشرق الى الغرب في اية نقطةٍ منها ، وقلما تبلغ خمسة او ستة كيلومترات ولا تجاوز ثلاثة كيلومترات عند طرفها الشمالي وهي ملتفة الشجر كثيفتهُ ولها في

---

(١) ومن هناك جنوباً تقترب المنطقة من ضفير بحيرة البرت ادورد

نضارتها مشابهة كلية بغابة الكُنْجو القائمة في براح فسيح من الارض الى الغرب عند وادي نهر سملكي . وشجرها عالي الجزوع تُخيَّل للرائي كانها عُمُد ضخمة الجرم شاهقة الارتفاع قائمة في معبدٍ فسيح الفراغ بعيد المجال . والذي يزيد المشابهة المذكورة قرباً ما ينبت حَوْل الساق من الفروع وهي معظمها في اسفلهِ متفرعةً عن بدن الشجرة إشعاعاً الى جميع الجهات ثم تتعانق متشابكة فيصير من ذلك حجاب كثيف يصد اشعة الشمس عن النفوذ الى ما تحتهُ الاَّ فيما ندر . ويتسلق هذه الاشجار جميعها ما لا يُحصى من النبت المتعرش وتتدلّى منها كانها المراجين وضفائر الازهار المجدولة ويبلغ قطر ضلع النبتة منه في الغالب اربع عقد او خمساً وهي كالشجر مغشاةٌ بالطحالب والأُشنة وقد تبلغ النبتة المتسلقة من الشجرة مبلغاً فاحشاً فانها تحوك عليها نسيجاً من خيوطها يحيق بها احاقة السوار بالمعصم فتموت ولا يبقى من معالمها سوى ساقٍ جوفاء والنبت في دائره نام نضر . وتُشاهد في تلك الحراج والغابات اشجاراً هائلة ضخمة عظيمة المحيط وكثيرها معمَّر ورأيت بين الاشجار شجرة غضَّة حسنة المرآة تورق ورقاً وردي اللون الى الدكنة واخرى اشبه شيء بشجرة كبيرة من شجر كستناء الخيل ودون هذه الاشجار الرَتَمَ (وهو صغار الشجر) كثير دغل ملتف بعضهُ على بعضٍ وهو طويل الساق ومنه القُرَّاص وضَرْب من ضروب النَّجم يضاهي ورقه ورق التبغ وهو كثير في تلك البقاع واذا أوغلتَ في الغابة انحسر الضياء فتراك في ظلمة مثل عتَمة الليل فالفرق بين داخلها وضوء خارجها شديدٌ جداً . وفي مسيرك ترى الشمس توصوص آونةً من خلال الاوراق المخيّمة وأينما نفذت اشعها صارت خضراء خضرةً بهجة منتشرة في براح معلوم من تلك الناحية وترى الانحاء القربى قتاماً بالنسبة اليها . وهواء الغابة من الداخل رطب كثيف ولا بد من ان يكون في ابان الامطار كارباً مُقْطساً في الدرجة القصوى

وقد خلَت تلك الاقاصي من الطير والوحش . ويخترق الغـابة جدول او جدولان تنقصف مياههما عن صخور فتحدث جنادل متناسقة ماؤها صاف قراح[١] . وعند الكيلو متر ٢٥٧ تحرف الطريق عن الغابة وبعد التصعيد في مرتفع منيع تكون في اكة من آكام كيباسي[٢] وهي شعبة من سلسلة جبال كيباسي تذهب شمالاً بغرب وتكاد تكون على موازاة تلك السلسلة وبينهما وادٍ بعيد الغور كانهُ مدرَّج مستدير كان مرَّةً فوَّهة بركان هائل وتعرف آكام الطرف الغربي للفوَّهة بهضاب كيزنجا ومنها الاكمتان المخروطتان المتقدم ذكرهما ويبلغ قطر تلك الفوَّهة خمسة كيلومترات وواديها بطحاء عميقة بعيدة الدَرَك من حولها شعاب وَعرة هوية على سطوحها آثار تدل على انخلاع اجزاء منها وانهيارها الى الحضيض والمنظر هناك وحش غير مانوس فالارض تكتنفها الآكام كانها في حوطها سدود حجرية . وفي اسافل الفوهة أعشاب كثيفة والشجر فيها قليل[٣] والى الجهة الشمالية بحيرة صغيرة يقال لها بحيرة كوكوتو قطر محيطها يختلف من بين كيلومتر الى كيلومتر ونصف والماء يحف بسفح جبال كيسنجا التي تنحدر من مهواة عمودية يبلغ ارتفاعها مئاتٍ من الامتار وعلى ضفة البحيرة أنف وَعِر نانيء من جبال كيباسي . ومن جهة الشمال ينحط حرف الفوهة فلا تكون اكثر من مائة متر عن سطح الماء وضفير البحيرة هناك ضيق لكنهُ غابة مشحونة اشجاراً وعلى شفير المـاء

---

(١) اكبر هذين الجدولين يعرف عند اهل تلك البلاد بجدول نيليا ماما عرض مسيله اثنا عشر متراً لكن غور مائه في اوان القيظ والجفاف يبلغ سنتيمترات قليلة فقط

(٢) يبلغ هذا المرتفع مائة متر علواً يكاد يكون عمودياً قائماً كانه مراقٍ او معارج شاهدك كثرة ما يعترضه من الجذور الضخمة

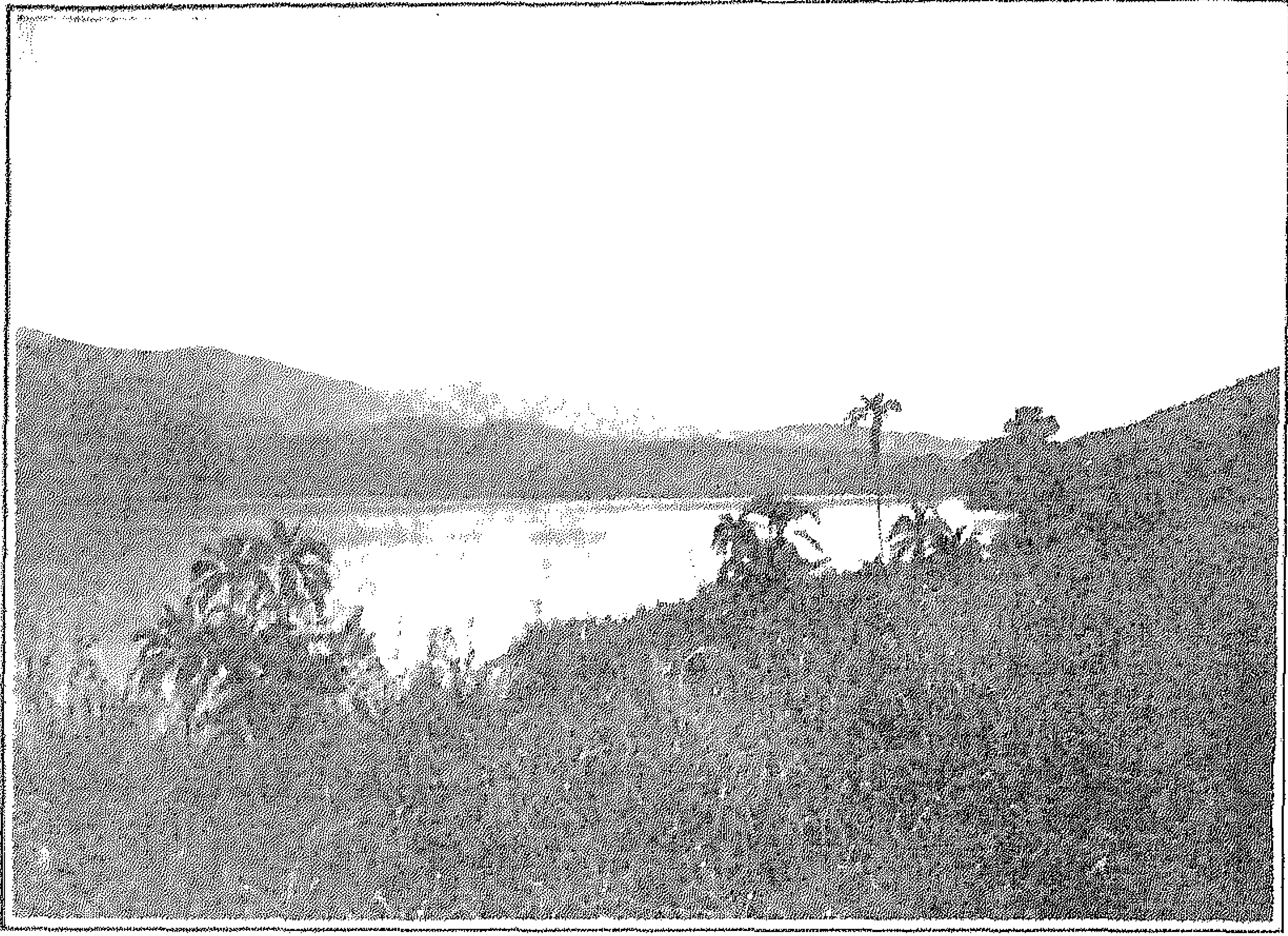
(٣) يتعشق الشجر هناك نبات غريب من الفصيلة الطُفيلية ورقه كبير اشبه شيء بورق الكرنب

كثير من شجر النخيل وماء البحيرة ساكن صافٍ كالبلور تنعكس عن بلوريته صورة النخيل بسعفهِ وصورة ما وراءها من الجبال كأنْ تجلَّى كلها عن مرآة . وتنقطع سلسلة جبال كيباسي عند الكيلومتر المائتين والسابع والستين فتكون هناك جرفاً هاوياً خشناً ومن ثم وادٍ يمتد في عدة كيلومترات تكتنفهُ الروابي من كلا جانبيه وفي بطنه كثير من شجر الموز ومديد الاعشاب بقدر اربعة الى خمسة امتار ارتفاعاً والى ما وراء هذا الوادي فوهة اخرى فيها بحيرة ايضاً ولكنها اصغر من بحيرة كوكوتو المتقدم ذكرها [١] والفوهة شفتها سنٌّ صخرٍ يكون ارتفاعه من بين اربعين الى خمسين متراً يستدير بها . والى غربي هذه البقعة ترى الفوهات والفجوات منتشرة هناك في عامة الانحاء وهي متحاذية بعضها الى جنب بعض يتعرج الطريق من بين ثناياها على حروفٍ شامخة ضيقة تكون سعتها أمتاراً معدودة هي المتن الفاصل بين فجوة واخرى من الفجوات الغربية . والفجوة في الغالب مستديرة وقد يكون جرفها متحدراً فتراها اشبه بمخروط مقلوبٍ رأساً على ذَنَب يكون تحديره عمودياً الى الحضيض ومستودع الفجوة في نهاية دركها بركة قرارها جاف وليس من هذه الفجوات الا اثنتان قد غرست جوانب صَبَبِها موزاً اذا رقبتهُ العين من علوّ مائتي متر كان لهـا منهُ منظر مدهش يخالهُ الرائي حقلاً من نبات التوت الارضي [٢] والروابي في هذا المكان شكلها غير نظيم فهي جرداء كثيرة الشعاب والوهاد والمنظر هناك فريد فان عامة وجه الفضاء على مدى مرأى العين منتشرة فيهِ هذه الفَجَوات المتسامتة بعضهنَّ بازاء بعض كانها بيوتٌ شهاد العَسَل . وعلى مسيرة مائتين وخمسة وسبعين كيلومتراً من لوجاجو عقبة تحتها مفجرة واسعة الارجاء تكون عن عَلْيائها على خمسمائة

---

(١) وليس للبحيرة من الفوهة مخرج البتة

(٢) هو المعروف في الديار المصرية بالفراوله ويسميه الاتراك بالشليك (المعرب)



بحيرة فوّهة كوغوتو بالقرب من العقبة الشرقية لوادى المفجرة الالبرتية بقسم انكولى



بحيرة فوّهة بالقرب من العَقَبة الشرقية لوادى المفجرة الالبرتية بقسم انكولى

متر. ومن هناك على مد النظر شمالاً تستجلي العين جبال روينزوري وفي جانب العقبة كورة كِخومْبا يحيق بها شجر الموز الكثير وهناك مُنْحَدَر المهواة الشرقية[١]. اما المسلك في ذلك المنحدر فشديد الوعور وهو يسير بتعاريج كثيرة تحديراً في عرض تلك العقبة وعلى مائة متر عن الحضيض هَضْبة او عَلاَية نشأت عن انزلاق جانب الجبل في ماضي الادهار[٢] وهناك المحلَّة المعروفة بمحلة أمكور وتوفيزا وفيما دون هذه المحلة مخرج نهير يقال لهُ نهر كِيمْبورا وهو يذهب نزولاً في سمت الشمال الغربي حتى يصب في بحيرة دُوَيرو. اما درجة الحرارة في المحلَّة المذكورة فأعلى منها في رؤوس العقبة بكثير وهواؤها رطب[٣] تتقبض منهُ النفس والتحدير في عرض تلك العَلاَية نزولاً الى الوادي مستسهل والارض هنـاك غَمَقة حافلة بالاعشاب المستطيلة وفيها جماعة كثيفة من قرى النمل. وعند الكيلومتر المائتين والثمانين يخرج الرائد الى نهر كِيمَبُورا وهو نهر قريب الغور ماؤه رقارق وعرض مسيله ثلاثون متراً ووجهة سيلتهِ مهب الشمال ودليل مسيلهِ دَغَلٌ ونخيل على جانبيه. ويليه الى ورائهِ سهل فسيح تربتـهُ ابليز يتخلّلهُ هَبْطات عديدة سعة بعضها ستمائة متر وغورها متران وهو محشوك بالنبت المشتبك والأدغال المنبثة في أديمه وعند الكيلو متر المائتين والسابع والثمانين مستطيل من الارض تُظلُّهُ حَرَجَةٌ تمتد بعض المسافة يتنافر طرفاها شمالاً وجنوباً. وعند مجيئك الى كازنجا ترى وَجْه البسيط يعلو ثم يهبط على التوالي فلا تخالهُ الا غضوناً تتبع دائرة المناسيب القديمة للبحيرة. واما الاخوار والرؤوس التي كانت على ضفيرها فأثرها تداريز

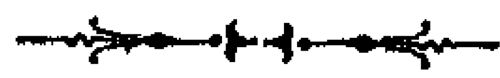
---

(١) ان طبقات هذه المهواة منهبط على زاوية ستين

(٢) في عامة هذه المَهْدة متخلفات بحيرة

(٣) بلغت درجة الحرارة في اليوم الثاني عشر من شهر فبراير سنة ١٩٠٢ الساعة الرابعة بعد الظهر ثمانين بميزان فهرنهيت

في الصخر منضدّدة بعضها فوق بعض تشير الى ان منسوب البحيرة كان يتنازل تنازلاً بطيئاً [١] . وعامة تلك البقعة مكسوة رواسب مائية ومستصغر الصدف وفيها شجر الفربيون على قلةٍ . واذا التفت شرقاً فهناك معالم جبال المهواة بعض قنتها مرتفع شامخ والطريق من امبارارا مسلكها في تلك الجبال منحط اكثر من غيره من المسالك في مدًى بعيد شمالاً وجنوباً والى ما وراء الكيلومتر المايتين والسادس والتسعين ترى الوادي خفيف التحدير والمرتقى غيرَ شاقٍ وهناك على القمة كورة كازنجا وهي عبارة عن مجموع من خصاص القصب متفرقة وهي (بعد مبارحة محلة عنتبي) اقرب من غيرها شبهاً بقرية. والخص مستدير الشكل يحيق به سياج من اغصان الفربيون والشوك والوشيع يكون ارتفاعه متراً او متراً وربعاً . هذا والكنيسة هناك عجيبة البناء حيطانها شبكة من قدد الخشب مسقوفة بالخُفافة اي بمزيج التبن والطين. وعلى مسيرة مايتين وتسعة وتسعين كيلومتراً من بوجاجو الواقعة على بحيرة فكتوريا يكون الرائد على سواحل بحيرة البرت ادورد . والبحيرة في قسم اكبر من السنة محجوبة عن الابصار بغمام كثيف لا ينقشع عنها في ايام القيظ . واما اقليم كازنجا اي هواؤه فجاف منعش في شهر فبراير والحرارة هناك تمايز درجتها من بين ستين الى تسعين فهرنهيب



(١) عند الكيلومتر المايتين والستة والتسعين خط ظاهر يدل على موقع ضفة مياه البحيرة القديمة والانحسار هناك يبلغ زهاء خمسة وعشرين متراً والجبل يذهب شمالاً بجنوب مسافة عدة اميال دالاً دلالة واضحة على مواقع الخلجان والجُوَن في ما سبق

الفصل الرابع

في بحيرة البرت ادورد

اكتشف هذه البحيرة الرحّالة استنلي في سنة ١٨٧٥ وقد رادها كثير غيره من السيارين واخص بالذكر منهم استلمن ومور وأسكط إليط وجروجن ولوجارد وجيبنز وجميعهم أدرجوا صفة الانحاء والمواقع التي رادوها وتبينوها. — أقول تقع هذه البحيرة بين خط ثماني دقائق وار بعين دقيقة من العرض الجنوبي وتدل احدث الجرائط على انها واقعة بين هاجرتي ٢٩ و٣٢ و٣٠ و٦ شرقاً[١] اما شكلها فمستطيل غير نظيم وفي طرفها الشمالي الشرقي بوغاز يصلها ببحيرة صغرى مسماة في بعض الخرائط ببحيرة رُويزَنبا لكنها يغلب عليها أسم دويرو[٢]. — وتبلغ مساحة هذه البحيرة اليوم زهاء الفين ومائة كيلومتر وفي طيها مساحة بحيرة دويرو. ومعظم طولها سبعون كيلومتراً ومعظم سعتها خمسون. اما بحيرة دويرو فطولها ثلاثون كيلومتراً لكنها متضايقة السعة فلا يتجاوز معظمها ستة عشر او سبعة عشر كيلومتراً اما البرزخ الواصل المتقدم ذكره فيبلغ طوله نحواً من اربعين كيلومتراً. ومنطقة حائر البحيرة شكلها على غير انتظام تكون مساحتها ثمانية عشر الف متر مكعب وفي طيّ تلك المساحة مساحة البحيرة نفسها. والذي قرره الباحثون ان ارتفاع مياهها عن مستوى سطح البحر الملح تسعمائة وخمسة وستون متراً وهاتان البحيرتان مثل بحيرتي كيڤو وطنجنيكا جنوباً وبحيرة البرت شمالاً

---

(١) تدل احدث المعلومات في هذا الشأن على ان الاطوال المعتمد عليها الى الآن هي مغلوط فيها وان البحيرة والجزء الاعلى من وادي سملكي وجبال رونزوري موقعها اقصى الى الغرب مما جعلوه وتوهموه

(٢) يطلق اهل البانويرو على البحيرة اسم بحيرة دويرو. واما رُويزينا فجبال الى غربيها تابعة لسلسله رويزوري

تكتنفها جبال المفجرة الكبرى الجنوبية التي تقعان هما فيها[1] وهما حادثتان عن انخساف الارض بين تلك الجبال ويُشرَف عليهما من علايات ذات جروف هاوية يكون ارتفاعها عن سطح مياههما من ستمائة الى تسعمائة متر . والى شماليهما ترى طَوْد رويزوري يناطح في شموخه القبة الزرقاء والبحيرتان تتلقيان عامة مياه صَبَبهِ من جانبي الجنوب والشرق . هذا واديم هذه البلاد بكامله من الحجر اللوحي المتبلور يخالطه في ارض المفجرة حجارة بركانية قد لفظتها البراكين وبعثرتها في عدة انحاء من تلك المنطقة كالحمم والبازلت الراسية الى الشمال عن بحيرة كيڤو والى الجنوب عن بحيرة البرت ادورد . ثم ان حضيض المفجرة يتعالى تدريجاً حتى اذا صار الى درجة واحدة وثلاثين دقيقة من العرض الجنوبي صدَّته سلسلة جبال في بطنها براكين موكافرّي وكيرونجه كاميا جُنْجُو وكاريزمبي في قسم أُفُمبيورو بعضها اليوم ثائرٌ وارتفاعه عن سطح البحر يكون زهاء خمسة آلاف متر . وفي المنحدرات الشمالية سائلات من الحمم البركانية تغشّي تلك الجبال والطرف الاعلى من المفجرة ايضاً . وهذه الجبال تقوم كما قلنا في وجه تلك المفجرة عند تلك النقطة فتكون مضاجع السيل فيما بين مناطق البحيرات شماليَّها ومناطقها جنوبيَّها قال الرحالة مور[2] فيما يختص بتلك الجبال « والذي تبيَّنتهُ جلياً ان ثوران البراكين الذي حدث في المفجرة جنوبي بحيرة البرت ادورد من عهد ليس بالبعيد قد احدث رُكَمًا من الحمم اندفعت في تلك المفجرة فردمتها وذهبت بمعالمها فتغير بذلك منسوب الارض في تلك البقعة تغيُّراً كلياً حتى انقطعت مياه منطقة بحيرة كيڤو عن البحيرات الواقعة شماليها وانحبست ايضاً عن منطقة موارد النيل فانسابت الى بحيرة طَنْبَجنيكا » . انتهى . اقول وهذا الحادث

---

(١) راجع صفحتي ٩ و١٠ من هذا الكتاب

(٢) طالع كتاب « جبال القمر » ـ لندرا سنة ١٩٠١



مصب نهر دُويرو في بحيرة البرت ادورد عند كازنجا



نهر دُويرو من بحيرة ادورد شمالاً

القريب قد ادّى ولا ريب الى انتقاص الموارد التي تفضي الى بحيرتي البرت ادورد والبرت

قلت والارض على الطرف الجنوبي لبحيرة البرت ادورد منبطحة واسعة الارجاء اديمها اي تربتها صلصالية ابليزية تلحق بالمنحدرات الشمالية لجبال كيڤو وهي صلداء عديمة الشجر يتخللها خروق عديدة تتضمن ملحاً وتفور فيها عيونٌ تتدفق بالمياه الحارّة وذلك في الطرف الجنوبي الشرقي [١] واما البسائط فتحف بالساحل الشرقي ذاهبة معه حتى تلحق بِكَمَر نجو في نحو منتصف الشقة بين تخوم البحيرة الشمالية وتخومها الجنوبية والى شمالي هذه النقطة علاية ناهضة تزاحم الضفة مؤلفة من قنن متتالية منبسطة الرؤوس مدورتها يكون متوسط ارتفاعها بين مائة متر ومائة وعشرين متراً . وهي تمرّ الى الانوف الجنوبية لجبال رونزوري . وعلى بُعْدٍ من البحيرة بمجاراة ساحلها مستطيلٌ من الارض كثير الاشجار الملتفة وفي الارض الشمالية الشرقية كثير من الفوهات البركانية ذات البحيرات . هذا والمهواة الشرقية في عدوتها الجنوبية تكاد تماس ضفير البحيرة ولكنها في عدوتها الشمالية تفارقها متباعدة عنها وفي الطرف الشمالي الشرقي قبالة كازنجا تكون سعة الوادي هناك نُهَازَ ثمانية عشر كيلومتراً وهو يذهب في سمت الشمال مستعرضاً على هذه الصورة فيشمل في منفسحه بحيرة دويرو وعلى مسيرة مائة واربعين كيلومتراً من طرف البحيرة الجنوبي تنعطف الهضاب انعطافاً حاداً في سمت الغرب فتلتقي بروابي جبال رونزوري . والى غربي بحيرة البرت أدورد سلسلة جبال تعرف عند أناسيّ تلك البلاد بجبال واكُنجو (في الكنغو الحرّة) وهي الحد الغربي للمفجرة تُساير ضفير تلك البحيرة فتحفّ بها . والبسائط في تلك الجهة صغيرة لكن المناقع قليلة والجبال

---

(١) طالع كتاب « الرحلة من رأس الرجا الصالح الى القاهرة » - لجروجن - لندرا سنة ١٩٠٠

المذكورة تتصل بالبحيرة من طرفها الشمالي الغربي وتكون على مقربةٍ من مخرج نهر سملكي على ثماني دقائق وثلاثين ثانية من العرض الجنوبي . والى شمالي البحيرة غربي ذلك النهر نجدٌ من الارض بسيط تربته ابليز سمين يتصاعد نحو الشاطئ فيكون منه اطنافٌ كاطناف الشاطئ الشرقي وليس بين تلك الاطناف تباين الا في ان الشرقية تضافر البحيرة والشمالية متجافية عنها يحول بينها و بين الضفة أجمة واسعة الحاشية . ويمتد هذا النجد شمالاً الى الانوف الجنوبية القصوى لجبال روينزوري ومن تلك الانوف سلسلة جبال ثانوية تتصل بالبحيرة وتعرف بجبال كيبوره وهي الحد الشرقي لاعالي وادي سملكي . ولا ريب في ان هذه العلاية والعلاية الجنوبية جميعاً كانتا فيما مضى تغمرهما مياه البحيرة فان في مستدير ضفيرها ومستدير بحيرة دُويرو دلائل واضحة على ان البحيرة كانت افسح منها الآن وان مناسيبها كانت اعلى من مناسيب اليوم بكثير وربما كان ذلك قبل الثوران البركاني الذي نشأ عنه انسداد المفجرة شمالي بحيرة كيڤو ولا بد من ان مياه البحيرة كانت مرّةً تلاثم اسافل جروف المهواة على كلا الجانبين وتحاضن ايضاً سفح روابي روينزوري وربما مرّت الى الجنوب شاملة بحيرة كيڤو ايضاً لكن ذلك حدسٌ وتخمين . هذا ويُشاهَد على الجانبين الشمالي والشرقي وربما على الجانب الغربي ايضاً متخلفات بحيرة في علاياتٍ يكون بقدر مائة متر وزَودها عن سطح الماء وانما كنت ترى على الاطناف المجاورة كاطناف بحيرة خطوي الملحة مثلاً (وهي احط من ذلك) آثار تلك الرواسب وكذا تراها على متن آكام كيبورا وانوف جبال الروينزوري وايضاً على العقبة الشرقية للمفجرة نفسها. والحاصل ان في خلقة تلك المنطقة جملةً ما يدل دلالة واضحة على انها كانت في القدم مقرّى للماء وتكاد المرتفعات من الارض في عامة تلك البقعة تذهب حدوراً صوب البحيرة في نسيق من طبقاتٍ متوازيات تخالف

مناسيبها من علوٍ الى سفلٍ وملاويها اي ثناياها كانت حينئذٍ خلجاناً وجوناً وهي تشير الى ما كانت عليه مياه البحيرة في توالي الازمان من المنازل والمناسيب واما تعليل هذا الانقلاب الاكبر في تلك الانحاء فليس بالامر المستسهل قال المستر مور «ان قيام الجبال في بطن الوادي قد نشأ عنه امتناع جزء كبير من مياه الصَبَب عن الانسكاب في البحيرة فانحسر بذلك ماؤها» . انتهى . اقول ان هذا التعليل ليس بالتعليل الشافي والذي اراه في حيّز الاحتمال ان الوادي الواقع شمالي البحيرة قد تراكمت في مضيق حاشيته في الاعصر الخوالي أجراف منسكبة من متون جبال روينزوري فردمت مجراه ثم طغَت مياه البحيرة رويداً على السدّ الحادث على هذه الصورة فجرّفت فيه تجريفاً متوالياً حتى نفذت منه الى الجانب الآخر فصار من ذلك نهر يقال له نهر السملكي . وما فتئت مياه هذا النهر تجرّف مائمات قاعه حتى انحطّ بذلك منسوبه انحطاطاً ادّى الى تحلُّب مياه البحيرة اليه بحكم الانحدار . وغلط الذين يقولون بان هذا الانحطاط اليوم قد بطل وزال الى التمام فان أهل تلك البلاد والذين هم على بيّنةٍ منها قد اجمعوا على ان الانحطاط لا يزال الى اليوم . ومهما يكن من الامر فان العوامل التي ادت بكيفو الى الارتفاع لا تزال هي اياها الى الآن ودليله البراكين الثائرة في الجبال المذكورة والينابيع الحارّة المحيطة بسفحها وزد عليه ان كافة تلك البقعة واقعة في منطقة الزلزال تكثر فيها الزلازل وهي عنيفة في وادي هذه المفجرة

ويدخل البحيرة عدة انهارٍ وهي ليس لها الا مخرج واحد ينساب منه نهر سملكي [1] . ثم ان مقدار ما يقع من الامطار غير معلوم الى التمام وربما كان في الاقل متراً ونصفاً في السنة وايام الامطار قسمان قسم الامطار الغامرة وتقع في مارس وابريل ومايو وقسم الامطار الخفيفة تقع في اكتوبر ونوفمبر ودسمبر .

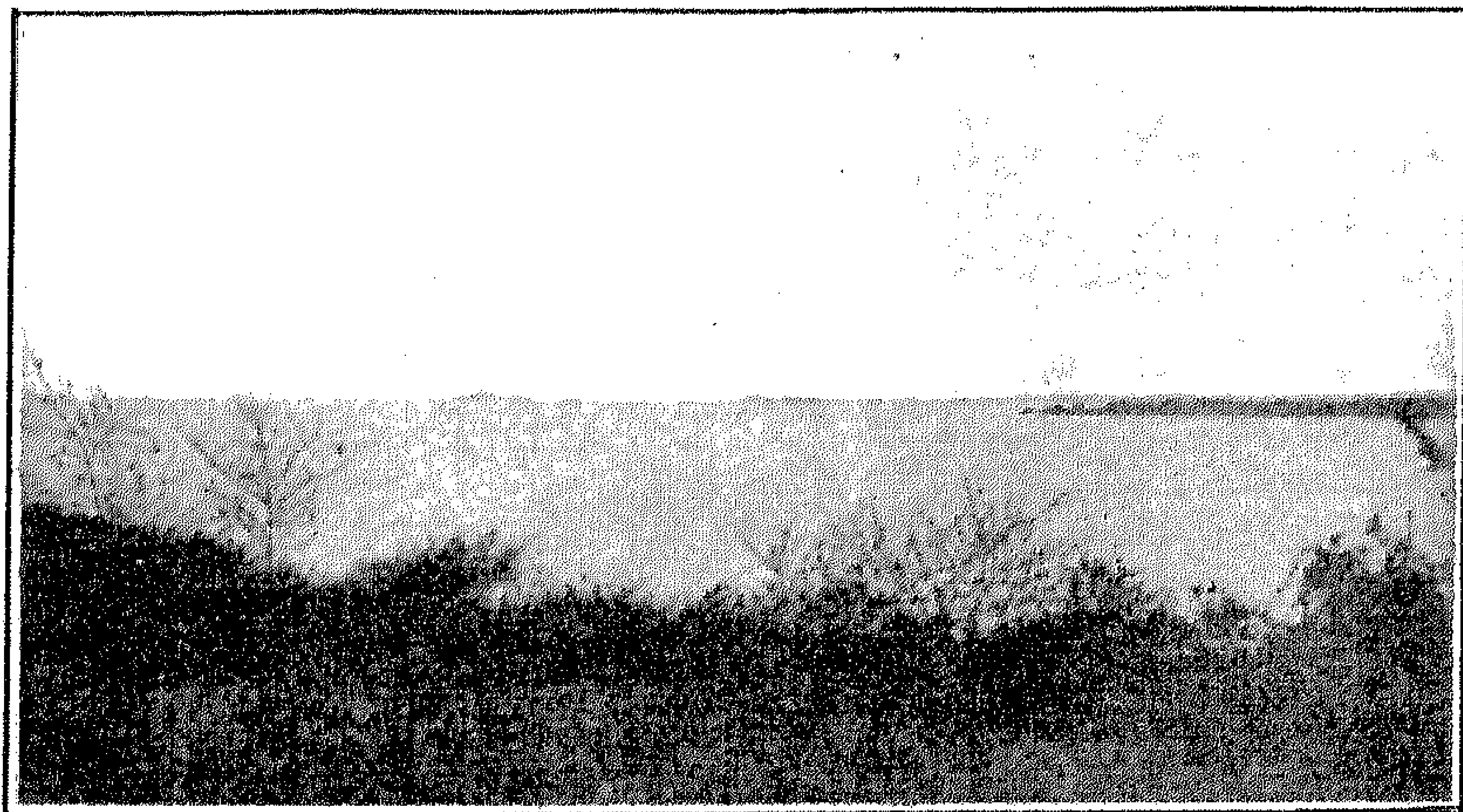
---

(١) سيأتي الكلام فيما بعد على هذه الانهار على وجه الاختصار

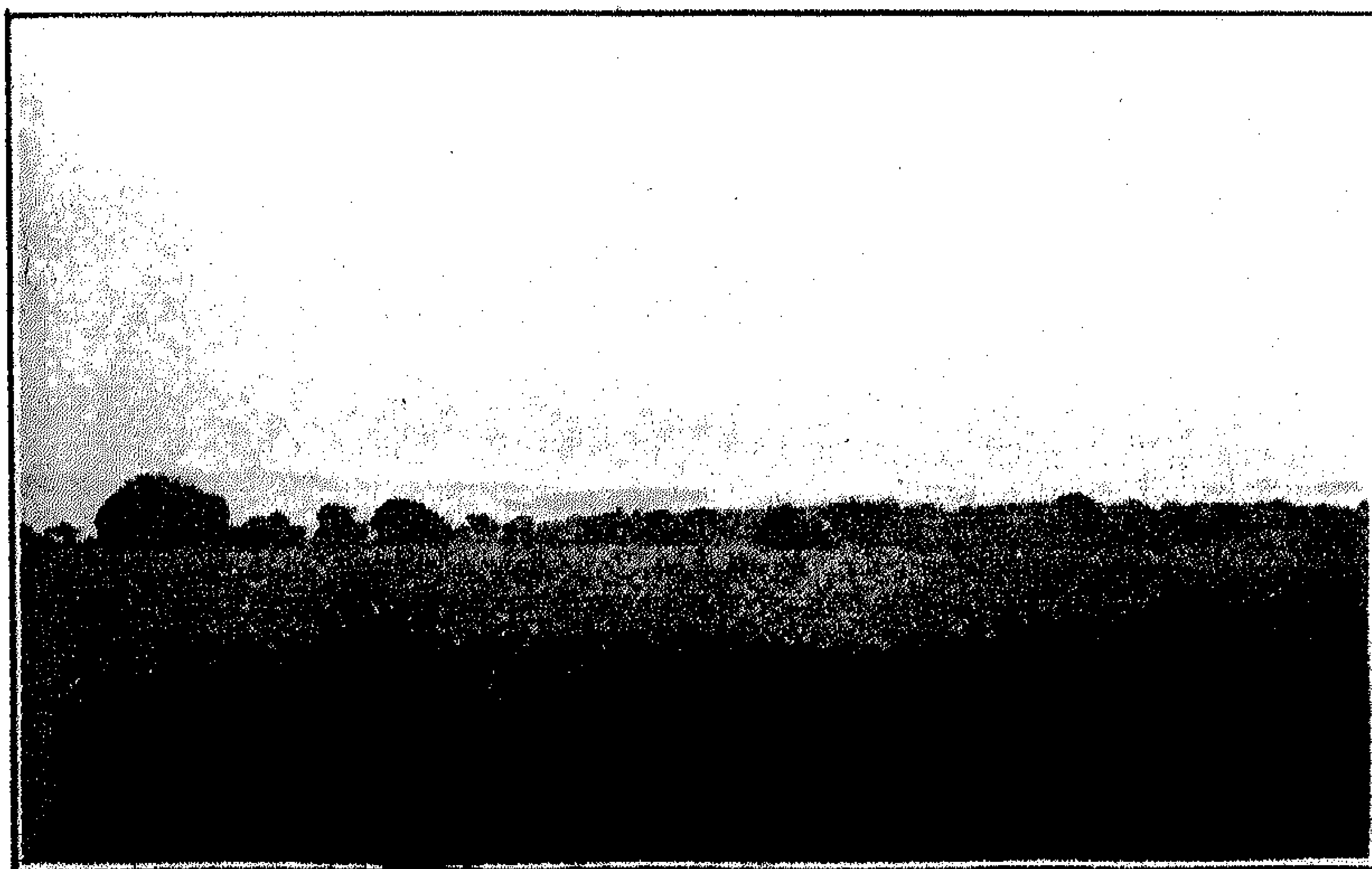
ومن خصوصيات هذه البحيرة انها في ايام الجفاف يظللها غمام كثيف حتى لا يتأتى للواقف على ضفيرها ان يمد نظرهُ الى ابعد من امتار قلائل وقلما يتمكن الرائد الا في فصل الامطار من رؤية الجبال بديعة المنظر التي تكتنفها شمالاً وغرباً وربما اقام في جوارها اسبوعاً وهو لايدري ان الى جنبهِ جبالاً ضخمة كتلك الجبال او ان على مقربةٍ منه بحيرة كبرى كتلك البحيرة. وفي بعض الفترات ولاسيما في مغيب الشمس يخترق الضياء الغمام فينير وجه البحيرة وترى ماءها متلألئاً تلألؤ الذهب الابريز فيكون من ذلك كله أثر راسخ في النفس واذا ما الغمامة انقشعت فما ابدع ما هنالك من مرأى. والى الجنوب بركان ثائر يعرف ببركان كاريسمبي ترى فوق رأسه في الفضاء سحابة من دخان والى الغرب سلسلة جبال الكنغو وهي في امتدادها اشبه شيء بالسور والى الشمال تستجلي العين قمم جبال روينزوري وهي قنن الثلج والى الشرق جُرُوف المهواة الكبرى تسدُّ الافق. وهذه المناظر فردة نادرة الوجود حتى لقد يقال بالاجمال ان عامة المرآة حوْل البحيرة منظر تيأس منه النفوس. وليس في حاشيتها ما عدا الطرف الجنوبي الغربي منها والطرف الشمالي الا ما قلّ من الخلجان وهي صغيرة اكبرها اثنان خليج خطوي وخليج وتشمي. وليس في البحيرة سوى ثلاث جزُر واقعة في خليج خطوي في الطرف الشمالي الشرقي [1]. اما لون يمها فاخضر صافٍ طعمه أجاج وسواحلها كسواحل بحيرة البرت تربتها مُشْرَبة ملحاً وهي فوق سطح الماء حاشيتها مستطيلٌ ضيق محشوك قصباً الا ما كان منها الى الشمال والجنوب فانه آجام منبسطة وماَ جل. وارض البحيرة رَدَغة طينها يضرب الى السنجابية وقل ما فيها او في شطوطها من الصخور وفي البحيرة ما لا يقدّر من السمك وفي انحاءٍ منها يكثر التمساح قيل

---

(١) ان في القسم المعروف من هذا الخليج ببحيرة دوبروعدة جزر اكبرها جزيرة شيكاليرو وجزيرة نوكافنجا



خليج قَطِوى على بحيرة البرت ادورد



بحيرة البرت ادورد من خليج قَطِوى جنوبًا

ويكثر فرس الماء في الآجام الجنوبية ويسبح في البحيرة جماعات الطير المائي وفيها تيار يجتازها من الجنوب الى الشمال والقوم يقولون انه اذا سار زورق من مصب نهر امتنجي في الطرف الجنوبي الشرقي قذف به التيار الى الطرف الشمالي منها فاوصله الى مخرج نهر سملكي في مدى يومين او ثلاثة ايام. اقول ولربما كانت القوة الدافعة للزورق الريح الدورية

ولا يُعلم الى اليوم مقدار غور البحيرة . يقول اهل تلك الاصقاع ان غورها اينما سُبر ليس ببعيدٍ فالماء في جانبها الشمالي ضحل رقارق على مرمى بعيد عن ضفتها وكذا الغور في جانبها الشمالي الشرقي طفيف لا يعتد به . وهي في إبّان الامطار عِرْضةٌ للانواء الشديدة حتى متى اعصفت الريح يكون مسير الزوارق المنقورة (وهي الزوارق الفردة التي تجول فيها) خطراً جداً . وقلما جسر الصيادون على التوغل في البحيرة بعيداً عن شاطئها واذا خرجوا من نقطةٍ واحدة الى نقطةٍ أخرى قصية اركنوا الى ملازمة الضفير بازاء الضفة

وها انا اورد بياناً أوفى فيما يختص بالساحل الشمالي والبلاد المجاورة لبحيرة دويرو فأقول — تقع كورة كازنجا (وهي محط القوافل على البحيرة آتية من محلة امبارارا في قسم انكولي) على الضفة الشرقية لنهر دويرو مسافة كيلومتر ونصف عن مصبه في تلك البحيرة. وعدد مساكن الكورة المذكورة خمسمائة والعمران في اقليمها قليل فاهلوها يستقدمون مؤونتهم وميرتهم من كورة كشومبا الواقعة على المهواة الشرقية وبين الكورة وكورة خطوي تجارة الملح واهم ما يحترفونه صيد السمك وعند الكورة (كازنجا) معدية ومجاز الخليج بالزوارق وهي مجوفة في أرومة فردة من الشجر وعبوره غاية في الصعوبة على القافلة لان الزوارق قليلة وهي قَلِقة يتعذر وسقها شيئاً كثيراً . والتمساح في تلك النقطة أقلُّ القليل واما جدول دويرو عند كازنجا فسعتهُ من ضفةٍ الى اخرى اربعمائة وعشرون متراً ومتوسط غوره اربعة امتار وستة عشر سنتيمتراً

ومعظم عمقه في ابان الفيض خمسة امتار وربع واخطأ من عدهُ نهراً لانه دون النهر حجماً فما هو اذاً الا وصلة بين البحيرتين وماؤهُ راكد ليس لهُ جرية على الاطلاق وفي السحر تهب فيهِ ريح الشمال فتخال ماءه يجري ببعض السرعة صوب البحيرة[1] واذا تغير مهبها الامر الذي يغاب حدوثه قبل الظهيرة تنعكس وجهة جريتهِ فتكون من بحيرة البرت صوب بحيرة دويرو. والامر الذي لا ريب فيه انه متى حلّت ايام الجفاف وانحسرت مياه البحيرتين وقفت جريته . وعكس ذلك في ابان الامطار . اما بحيرة دويرو فانها تتحلب اليه مياه السيل من جبال رويزوري الشرقية فاذا ترامت اليهـا تلك المياه ومياه الجداول الاخرى الآتية من تلك الجبال يرتفع سطحها بالعجَل ألاَ انها ذات مخرج واحد هو خليج قائم بين البحيرتين شعبة ضيقة كانهـا مختنق . وبديهي ان بحيرة دويرو هذه تعلو مياهها في هذه الفترة بالسرعة اكثر مما يحدث في بحيرة البرت ادورد وهي اوسع منها ولذا كان لابد من ان تنصرف المياه من بحيرة دويرو الى بحيرة البرت ادورد ولا يبعد ان يكون مقدار تلك المياه كثيراً[2] . هذا وعلى جانبي خليج دويرو هضاب يختلف ارتفاعها من بين ثمانين الى مائة متر لكنها ليست بهاوية ولا جُرُفٍ بل تذهب صعداً من حرف الماء حتى تتصل بالعلايتين الجانبتين وساحل الخليج قليل الآجام والبقائع وعلى حِفَافَيهِ الغاب والقصب[3] . واما الساحل الشرقي لبحيرة البرت

(١) كانت ظواهر هذا الجدول خدّاعةً حتى انّا في صباح الرابع عشر من فبراير سنة ١٩٠٣ تأهبنا لاستعلام مقدار تصرفه ولكن الريح بعد الزوال تبدلت فانقلب المجرى وكان الماء يجري من البحيرة مندفعاً في ذلك الجدول

(٢) عندي ان ما أدّى بالسيارين الى اعتبار ذلك الخليج نهراً هو انهم لم يشاهدوه الا في مثل ذلك الاوان

(٣) تكون الهضبات هناك متصاعدة بميلٍ قدره اربعة او خمسة الى واحد . واما الهضبات الغربية فتحدرها اشد فانه اثنان او ثلاثة الى واحد

ادورد فتحف به في مدى بعيد جنوبي كازنجا هضابٌ شبيهة بتلك الهضاب تخالف علوًّا بين سبعين ومائة متر جوانبها وعرة مرداء لا نبات فيها سوى شيء من الطحالب وشجر الفرَبيون[١] والمستطيل من الارض القائم بين هذه الهضاب والبحيرة قليل السعة قلما تجاوز عرضه مائتين اوثلاثمائة متر لكنهُ يتصعد متدرّجاً ويدل تدرجه دلالةً واضحة على منسوب البحيرة في الغابر القريب[٢] وعلى ارتفاع نحو سبعة امتار عن مستوى البحيرة الحالي علامة تشير الى ان مياهها كانت في زمن ليس ببعيد تلاثم سفوح تلك الهضاب[٣] لا بل ان في متون هذه الهضاب كثيراً من رواسب البحيرة ذلك دليل على انها كانت مغمورة بالمياه يوم كانت مياه البحيرة تعمّ منفجر الوادي كلهُ والبحيرة تكتنفها المهواة الشرقية ويحفُّ صعيد البر من هذه الجهة بمياهها فيكون هناك نسيقاً من علايات متتاليات على وتيرةٍ واحدة توجب المَلاَل والكرب[٤] . وعلى حاشية المآء نبات القصب[٥] وعند مصبّ

(١) تمتاز هذه البقعة بكثرة هذا الشجر فانه قلما يخلو منه مكان هناك

(٢) وهناك درجتان ارتفاع أولاهما عن سطح ماء البحيرة بقدر متر او مترين وارتفاع الثانية عن الاولى بقدر ثلاثة الى خمسة امتار

(٣) قال الاستاذ استُلمَن ان في السهل الواقع غربي وِ تشُمبي جنوباً (وارتفاعه عن سطح البحيرة الحالي بقدر ثمانية امتار) طبقةً من الاصداف سمكها بقدر متر واحد ويعتقد اهل تلك البلدة ان السهل كان في ايام اجدادهم يماسُّ اسافل تلك الاكام فأصبح اليوم جزءًا من ضفير البحيرة — اقرأ الكتاب المعروف « بأمين باشا في اواسط افريقيا » — برلين سنة ١٨٩٤

(٤) ان الوادي الذي الى شرق البحيرة الواقع بينها و بين العقبة الشرقية سبق لي وصفه في هذا الكتاب في الفصل الثالث « تحت البلاد الواقعة فيما بين بحيرتي فكتوريا والبرت ادورد »

(٥) وفي الجنوب البعيد حرجة غِضة كثيفة تزاحم البحيرة متطاولة اليها والفاصل بينهما منطقة مستطيلة من الارض الاجمية

نهر دويرو في البحيرة على جانبهِ الغربي مهواة اي طَنَف هائر طرفهُ الجنوبي شَجير يبرز منه سطح مستوٍ عرضه مائة متر يمتد الى حد الماء وفي طرفه الآخر جون يعرف بجون خَطْوِي . هذا وكان منسوب البحيرة في فبراير سنة ١٩٠٣ غايةً في الانحطاط ولا يبعد ان يكون اذ ذاك في اقصى انحطاطه لتسلط الجفاف زمناً طويلاً قبل ذلك الشهر . والسيماء الظاهرة في اديم الشط تدلُّ على ان نهاية فورتها لم تكن باكثر من متر واحد عن منسوبها في ذلك الحين اما لون مائها فأخضر صافٍ كما قلت في ما تقدم وقد يطفو على وجههِ غُثاء ابيض كالزَبَد يذهب في عرض البحيرة من الشاطئ امداً بعيداً يبلغ عدة مئين من الامتار واما ماء نهر دويرو فأخضر زُمُرُّدي غاية في الصفاء ولا يفارقه لونهُ هذا كيفما عالجته ولو القيتهُ في اناء من الآنية لا يذهب عنه هذا اللون وطعمهُ كطعم ماء البحيرة بشع يضرب الى الملوحة . اما زوارق البحيرة فالواحد منها مصوغ من جزع واحدٍ يجوفونه نقباً وحفراً ويكون متوسط طوله خمسة عشر متراً وعرضه متراً واحداً وغوره خمسة وسبعين سنتيمتراً والمجاذيف صغيرة جدًّا

ثم اذا جزت نهر دويرو فالارض بينهُ وبين البحيرة علاَّية ناهضة منبسطة السطح عرضها زهاء متر واحد ونصف محشوكة بدِقّ الاعشاب واشتات الادغال وشجر الفَرْبيون واذا اعتليت القنة تشرف منها على خليج خطوي وهو خليج سعة ما بين ضفتيه اربعة كيلومترات وطوله ثمانية وفي عُبابه ثلاث جُزُر موسومة بالاشجار اثنتان منهنّ وهما رولِمبا وكرّيسابا واقعتان على مقربةٍ من مصبهِ والثالثة تُداني الشط الشمالي حتى تخالها بلصقهِ وهي جزءٌ منه على ان الفاصل بينها وبينهُ مجازٌ سعته تختلف بين مائة وستين ومائة وثمانين متراً وليست هذه الجزُر بنشاز شاهق حتى ان واحدة منها وهي جزيرة كرّيسابا شكلها أشبه بشكل مرتفع إنشِكيت في خليج فُرْث ، وتحت الجرُف

الشرقي (وارتفاعه عن سطح الماء بقدر ثمانين متراً) بسائط منخفضة تذهب في مدى كيلومترين حتى تفضي الى شفير الخليج . واذا قرنت بين مرأى البحيرة وراكد مائها وبين الجزيّرات ذات الاشجار والحرجات وشجر الفربيون القاتم المنظر وزاهر الاعشاب الصفراء تبدّى لك من ذلك منظر انيق يزيده رونقاً الآكام المنحطّة المتقطعة الواقعة الى ما ورائها في الطرف الاقصى من الخليج . والى شرقي البحيرة علاية لها عشابة تذهب في الارض حتى تتجاوز نهر دويرو وهناك شجر الفربيون ويجوز الحد في الكثرة ووجوده الى جنب بحيرة البرت ادورد هو ولا ريب من مميزات تلك الانحاء في المناظر الخلقية وهو فيها ناضر رطيب [1] وهناك ايضاً اشجار اخرى ولكنها على قلةٍ مع ان الادغال الشائكة بالغةٌ حد الكثرة . وكلما اوغل الرائد شمالاً على ضفير خليج خطوي ضاقت البسائط المتقدم ذكرها وانسطحت حدرات المهاوي . والاخوار تنحدر من علوٍ الى ضفاف الماء . وعلى مسافة ثمانية كيلومترات من كازنجا ترى الطرف الشمالي للخليج . وهناك تفارق البسائط البحيرة في مدرجاتٍ بعضها فوق بعضٍ ذاهبة في سمت الشمال يحيط بها هضبة تذهب الارض منها صُعُداً بالتدريج حتى تتصل بانوف جبال روينزوري . والظاهر ان البحيرة كانت في ما مضى أوسع منها اليوم في الجهة الشمالية بقدر خمسة كيلومترات فان الرواسب والاصداف تشاهد على رأس الهضبة في ارتفاع مائة متر عن سطح مياه البحيرة . واما نهر دويرو فبينهُ وبين البحيرة

---

(١) بعض هذا الشجر نماؤه عجيب يخرج من الارض غلافاً يذهب في الجو عشرة امتار الى اثني عشر متراً على استقامة واحدة ثم تنفتح قنته فينتشر على سمت الافق فيكون انتشاره اشبه شيء بشجر الشربين ويغلب ان يكون لهُ قنة اخرى في منتصف الساق وعلى ذلك الساق آثار ما خلفته المساحج القديمة فيه من النقر والحروق

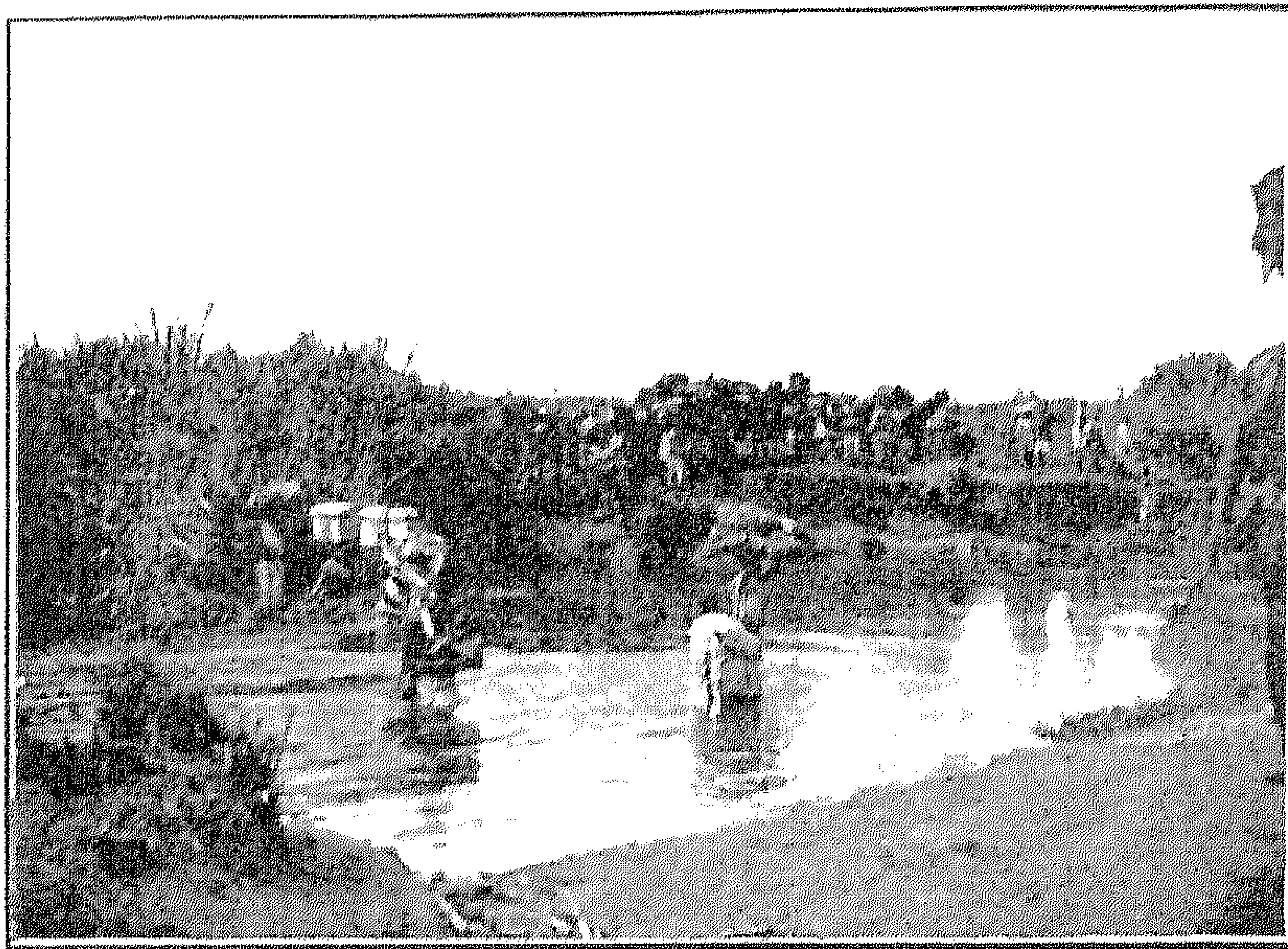
شرقا سبعة أو ثمانية كيلومترات ويفصله عنها هضبة مستعلية [١]. واذا ذهبت مغرّباً وتتبعت الساحل البحري بازاء الهضبة المرتفعة عن سطح البحيرة بقدر ستين متراً ترى وانت على مسيرة عشرة كيلومترات من كازنجا تجويفاً مستديراً غريب المنظر تكتنفهُ اكمة وربما كان في سالف الدهر فوّهة لبركان قاعها اليوم بحيرة وقطر ذلك التجويف كيلومتر وثلاثة ارباعه. والهضبة التي تحفُّ بهِ يختلف ارتفاعها من بين خمسة وثلاثين الى مائة متر وفي ايام الجفاف تغيض مياه تلك البحيرة تاركة من بعدها طبقة ملحية رقيقة يستدير بها بسائط طينية مكسوّة بالخيس يتخللهُ شيء قليل من هزيل شجر الفربيون وليس من شيء في تلك البقعة الموحشة ما يشتم منه رائحة الحياة الاَّ ما تصادفه فيهِ من طوائف البجع. واما فوّهة البركان فتنساب اليها مياه الرّصف المنحدرة من المرتفعات المجاورة ومعالم الفيض في البحيرة تدلُّ على انفساح مياهها احياناً الى ما يساوي الثلث وليس للفوهة من منفذ ومستوى قاعها احطّ من مستوى قاع بحيرة البرت ادورد. والهضبة غربيها يكون ارتفاعها زهاء ثمانين متراً ومعدنها كلسي تعلوه رمال من متخلفات البحيرة ورواسب صدفية. ثم بعد مسيرك في متعاديات من الارض بين منخفض ومرتفع الى ان تصير على مسيرة ثلاثة عشر كيلومتراً في دائر شط الخليج عن كازنجا ترى محلة خطوي وهي بلدة عمارها اكباس [٢] قائمة على رابيةٍ تشرف على البحيرة ومنزل الحاكم منفرد عنها سقفه الخُفافة [٣] مثبتة عليه. ولا أثر للعمران في جوار تلك البقعة ولكن اصحاب الكُوَر والقرى يقتنون قطعاناً من الماشية

---

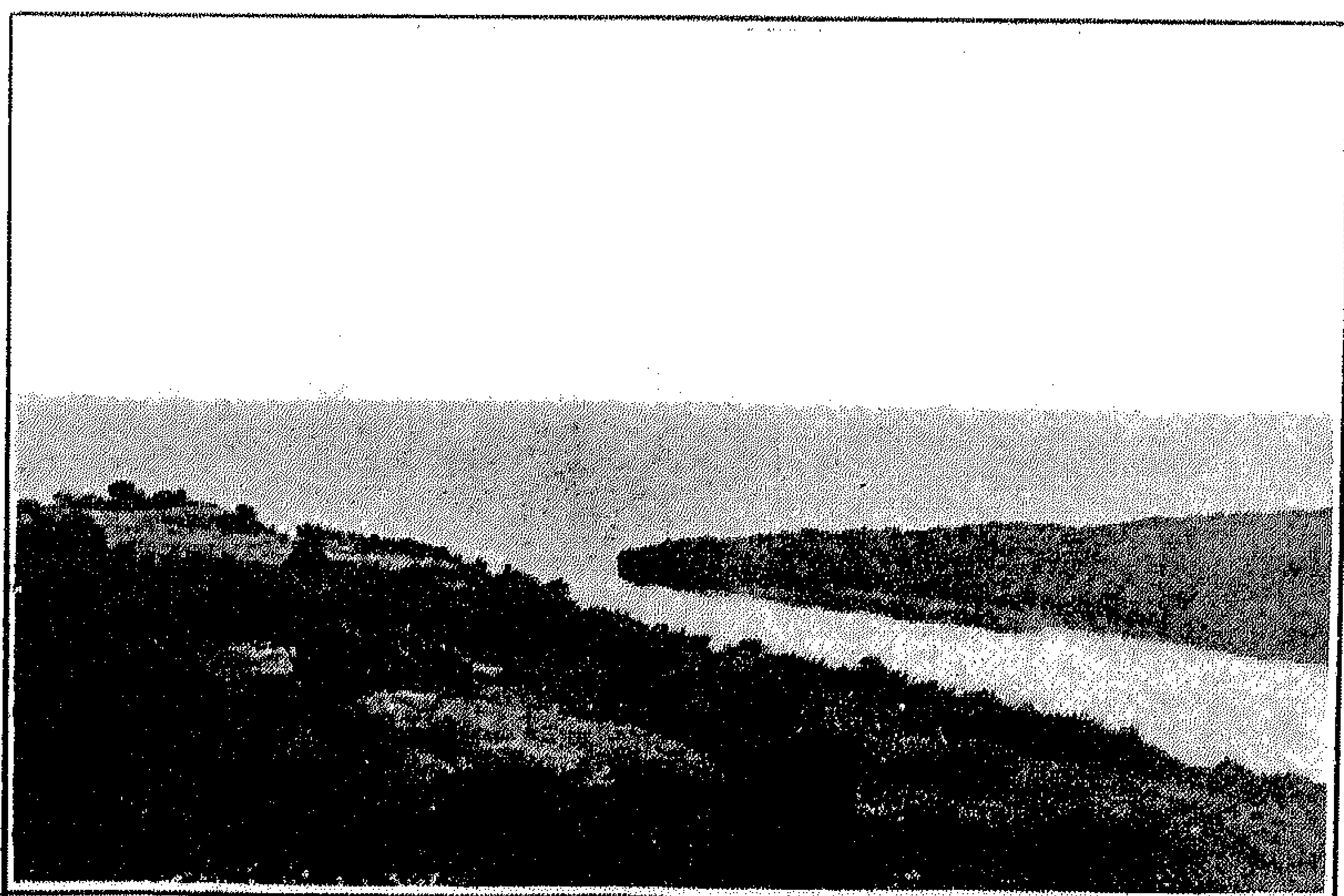
(١) البلاد التي بجوار خطوي مشهورة كلها بالوَخامة (مالاريا) ورداءة الهواء بعوضها بالغ الكثرة لكن هواءها في شهر فبراير غير مكروه نهارها حار لكنَّ ليلها قارس

(٢) جمع كِبس وهو بيت من طين (المعرب).

(٣) بقية التبن والقشيش يابسةُ (المعرب)



نهر نِيَنْغَاشا وهو الحد الفاصل بين مستعمرة أُغَنْدا ومقاطعة الكنغو الحرة



مخرج نهر سِمْلِكي من بحيرة ألبرت ادورد في مقاطعة الكُنْغو الحرة

ضاناً وَمعزاً . واذا واليت المسير مغرّباً وكنت على اربعة عشر كيلومتراً من كازنجا فانت قبالة حصن جورج حيث الطول الجنوبي ثماني دقائق وخمس عشرة ثانية وهو ضمن سوْر قليل السعة بناؤهُ حجر شكله قائم الزوايا وطيّ السور ايضاً عدد من الاكياس ويقيم بهِ اليوم نفر من الشرطة يبلغون الستة عداً وهناك منشأ طريق حصن امبيتي على نهر سملكي . والى ما يلي حصن جورج المذكور منظر غريب هضبة محددة كالسكين لا يتجاوز عرضها خمسين متراً تكاد جوانبها تكون راسيةّ المهويّ وتذهب على سمتها طولاً بقدر خمسمائة أو ستمائة متر فتصل النجود الغربيـة بالنجود الشرقية [1] . واسفل الهضبة على جانبها الجنوبي بحيرة البرت ادورد وعلى جانبها الشمالي الى اليمين قاع مستدير في حضيضه بحيرة ملحة تعرف ببحـيرة خطوي ولا تكاد مسافة ما بين المائين تبلغ اكثر من ثمانمائة أو تسعمائة متر . وشتان ما هما فان ماء بحيرة البرت ادورد ازرق الى الخضرة واما ماء بحيرة خطوي فورديّ ضارب الى الصفرة وهذه البحيرة تحيق بها جرُوف عوَال حاشيتها حافلة بطوائف النخيل واذا صار ظليل هذه الروابي والاشجار اليها أحدث في سطح مائها الوردي لوناً كلون القرمز فيكون من هذا الخليط اللوني منظر ليس كمثلهِ منظر اما منسوب البحيرة الملحة فهو ولا ريب احطّ من منسوب بحيرة البرت ادورد ولكن مقدار الفرق بين المنسوبين غير معلوم بالضبط [2] . هذا وشكل

---

(١) النجود جمع نجدٍ وهو ما ارتفع من الارض (المعرب)

(٢) قال الرحالة استنلي ان البحيرة الملحة بينها و بين قنة الهضبة زهاء خمسين متراً و بين بحيرة البرت ادورد زهاء سبعة وثلاثين مقاسة بالانرويد وعندي ان مقاس الارتفاعات الطفيفة بواسطة هذه الآلة لا يمكّن من تعيين فرق المنسوب بالضبط . والذي اراه ان مقدار انحطاط البحيرة الملحة يكون سبعين او ثمانين متراً ومقدار انحطاط البرت ادورد يلغ خمسين او ستين متراً

البحيرة الملحة شبه دائرة لا ريب في انها كانت في غابر الدهر فوّهة لجبل النار قطرها زهاء كيلومترين ويكتنفها من جميع جوانبها هضاب وعرة ويؤخذ من تلك البحيرة ما يحُوج اليه امم تلك الانحاء فهي اي البحيرة مركز تجارة الملح يقصدها التجار من الاقاصي . وبعد مبارحة الهضبة ومفارقة البحيرة تكون مسافة طريق الرائد في خمسة كيلومترات من سيره مستوية سهلةً الا ان فيها بعض النواتئ تجعل سهلها متعادياً وفي اديمها دغل كثير وتحف بضفير بحيرة البرت ادورد جروفٌ هاوية تشبه جروف الضفير الشرقي لخليج خطوي التي تقدم ذكرها وهي بقدر ارتفاعها . وبين تلك الجروف والبحيرة منبسطات من الارض كبيرة المتسع ينشأ في بعض انحاءها مناقع البرديّ

وعلى خمسة عشر كيلومتراً عن بلدة كازنجا ينساب نهر نِيَمْغاشا ويقال له ايضاً نِيَمغاشاني(١) وهو اليوم في اعتبار اهل السياسة مَعْلم الحدود بين مستعمرة الأُغندا وبلاد الكُنْغو الحرة ينشأ من جبال رونزوري مجتازاً العلاية ذاهباً في الغالب على سمت الجنوب ويصبّ في بحيرة البرت ادورد رامياً اليها من الطرف الغربي لخليج خطوي وعلى جانبهِ الايسر محلة نيابااري تطل على الطريق المؤدية من امبيني الى خطوي . وفي مجاورات تلك النقطة مزارع كثيرة فيها الموز والذرة والبطاطا الحلوة واجتياز النهر هناك مستصعب لانه في تلك النقطة بعيد الغور حتى في ايام الجفاف والغيض وجريتهُ شديدة وجرفاه هائران وساحلاهُ لا يتخالفان مرأًى الاّ في ان الساحل الآخر اقل دغلاً وشجراً . وساحل البحيرة الى الغرب عن مندغم نيمغاشي يزداد تضريساً بكثير من الخلجان والجوَن عما في ساحلها الشرقي وصعيد الارض يحف بجانبها وتتصعد اليه العلاية التي وراءه والجُوَن هناك والطنوف متعاقبة يناسق بعضها بعضاً وكثير من تلك الطنوف شكلها مستدير وهي

(١) سأذكر هذا النهر عند الكلام على الانهار المنسبكة في بحيرة البرت ادورد

جروف وعرة رائعة المنظر مع ان ارتفاع اعلاها عن سطح الماء قد لا يتعدّى ثمانين متراً واما الارض المنبسطة فمختلفة السعة في انحاء كثيرة منها تبلغ عدة كيلومترات عرضاً ولها على ضفير البحيرة اجمة مستطيلة عريضة غاصة بنبات البردي والقَصَب والى ما وراء ذلك ارض اعلى قليلاً من هذه فيها طائفة ملتفة من شجر السنط واما السهل الصلصالي الذي يتبسط شمالي البحيرة ماراً من علايات شطها الى آكام رونزيري في اماكن منه يكون كروضة فيها جماعات الشجر اللطيف وفي اماكن اخرى بَرَاح عقيم لا نبت فيهِ سوى شيء من الاعشاب وشتات الادغال او الفربيون . وليس في تلك الاصقاع عمارة الاّ اكواخ الصيادين التي لا يقع للرائد ان يصادفها على الجرف المحيط بالبحيرة الا فيما ندر . واذا صرت على عشرين كيلومتراً من كازنجا هناك تنحرف الطريق المؤدية الى الحصن البلجيكي عند امبيني فتصبح وجهتها شمالية غربية ويضطر القاصد لمخرج نهر سملكي الى مغادرتها واجتياز عرض البر على سمت الغرب هياماً على وجههِ في غير مسلكٍ معلوم والعلاية في تلك النقطة عبارة عن مفازة هي قاع بلقع مستوي الاديم لولا ما يتخلله من المنخفضات القليلة الغور وساحل البحيرة هناك مطمئن كثير الآجام والمناقع وفيما يلي تلك النقطة على بعض الكيلومترات عنها تكون الارض هناك نسيقاً عجيباً من منخفضات ومرتفعات تذهب شمالاً بجنوب وتكاد تكون متوازيات متحاذيات . والبر اشبه بفضاء من الارض مهيأة الحرث تكون سعة الثلمة فيها من اربعمائة الى ثمانماية متر وارتفاع حرفها بين ثلمةٍ واخرى من بين مترين الى ثلاثة امتار واذا صارت هذه الاخاديد من البحيرة على خمسة كيلومترات او ستة هناك علاية تجلب مياهها الى هذه الاخاديد مارّة في سمت الشمال. هذا والى ما يلي ذلك بستة كيلومترات غرباً تنقطع الاخاديد ويتغير طَبَق الارض فتبين الطنوف المحيطة بالبحيرة غير انها لا تكون بارتفاعها الاول فهي لا تتجاوز

في تلك الانحاء خمسين او ستين متراً . وضفير البحيرة هناك نظيم من الخلجان والاخوار الاجمية حافلة بنبات البردي مطوقة بعقد من شجر السنط والبلاد الى ما وراء الطنوف معتدلة الارتفاع وهي براح بسيط فيه اشتات السنط مفرط الطول وقائم العلاية عن البحيرة يكون في العامة من بين ثلاثين الى اربعين متراً وسطحها سويٌّ كله الا ما يتخلله على كثرة من الاغوار الاجمية الغاصة بغاب القصَب ومتوسط سعتها زهآء ستين اوسبعين متراً

اقول وعلى واحد وثلاثين كيلومتراً من كازنجا هناك وادي نهر دبيرا وادٍ واسع المنفجر وهو بطحاء بعيدة الغور يبلغ اتساعها قريب كيلومترين يسير النهر المذكور في وَسَطها بتعاريجه ومطاويه [١] واجتيازهُ اشق من اجتياز نهر نيمغاشا لان جريته حثيثة وجروفه شاهقة قائمة الانحدار والى ضفة الوادي الغربية ارض متعادية يعلوها ملتكّ الادغال تذهب صعداً حتى تلحق بسفح جبال كيبورا وهي جبال تكون مسافة ما بينها وبين كازنجا نحواً من خمسة وثلاثين كيلومتراً [٢] وما هي الا تتمة سلسلة رونزوري والمنقطَع الفرد في مستوى العلاية التي تسير في مهب الشمال صابة الى بحيرة البرت ادورد . والسلسلة تذهب في الارض من شمالٍ الى جنوب حتى تفضي الى شط البحيرة [٣]

اما آكام كيبور فهي الحد الشرقي لوادي نهر السملكي وهي اكام بديعة الخلقة ذات قننٍ وآنافٍ جميلة المنظر يختلف ارتفاع بعضها بين الف وستمائة

---

(١) سأذكر هذا النهر ايضاً في ما يأتي من طيّ هذا الكتاب

(٢) وردت هذه الجبال في الخرائط باسم جبال كيتوروا وهو اسم مجهول عند أناسيّ تلك البلاد . يقول عمال المركز المقيمون بشمال تلك البقعة ان الجبال المذكورة يُطلِق الاهلون عليها اسم جبال كاكوني

(٣) ان في الخرائط الموضوعة لهذه النقطة خطأً اذ يتبين منها ان هذه الجبال تنتهي على مسافةٍ من البحيرة شمالاً وهو خلاف الواقع

والف وثمانمائة متر عن سطح البحر الملح ومنحدرها الشرقي وعر هوِيّ بخلاف المنحدر الغربي فهو اشد انسطاحاً واكثر شجراً وفي مصدَّرها الشرقي (ما خلا ما فيهِ من الاخاديد والاخوار العميقة) نوع من الشجر على قلةٍ . والمنحدرات فيهِ عشبية تتابع بينها مهاوٍ متصوبة هي صخر اقرع يتصمَّد وعراً خشباً فوق راس الجزء المنخفض من تلك السلسلة والى ما بعد السطر الاول من الآكام سطر آخر يجوزهُ علواً وارتفاعاً وفي سفحه على موازاة وادي دبيرة حرف منسطح الضهر يسير معهُ الى امدٍ . ويكون علوهُ عن النهر زهاء سبعين متراً . والجبال تذهب في الارض على سمت الجنوب حتى تفضي الى بحيرة البرت ادورد فتكون الهضبة الاخيرة منهـا هناك قايلة الجرم مستديرة الشكل . وضفير البحيرة في تلك النقطة مطمئن بسيط في بعضهِ مناقع وفي عامتهِ غياض كثيفة ملتفة من شجر السنط . وبعض الاخوار على مصدَّرها الشرقي بعيدة القاع انحدارها هائر هوِيّ وهي تبدأ من عند قنة السلسلة وتصير الى حضيض الوادي وكلها غابات وآجام وأحد هذه الاخوار قائم الجُرُف يكون ارتفاع مسقطهِ مئات من الامتار وقد انهار جانب من الهضبة متزلقاً اليهِ وتتبين من قطاعه الطبقات الارضيـة على اختلاف طبيعتها . وفي تلك البقعة رواسب مائية واصداف توجد في اماكن عليّة يكون ارتفاعها عن سطح البحيرة الحالي حوَالي مائة متر ذلك دليـل قاطع على ان مياهها كانت مرة أعلى جداً منها في ايامنا . هذا وفي تلك الهضاب كثير من المسالك والشعاب افضلها وايسرها سلوكاً يقع الى الشمال وهناك الطريق المؤدية من خطوى الى حصن امبيني ومنها مجاز آخر في منتصف الجبل وهو المجاز الذي سلكه الرحالة لوجرد في سنة ١٨٩١ ومجاز آخر وهو اشقها سلوكاً وامنعها واقع في الطرف الجنوبي للسلسلة والتصعيد في نهاض تلك الجبـال شاق لكثرة عقباتها المستوعرة وما للمسافر فيها مندوحة عن ارتقاء طنوف

متدرجة في سنام مستطيل على كلا جانبيه اخوار بعيدة القاع ويصادف في صعوده علايات صغيرة تحدق بها في الغالب قنن حادة الرؤوس منها المستديرة والمثلّمة والمفرّضة والمخروطة واكثر هذه العلايات المنعزلة غياض كثيرة الشجر يسرح في ظلالها جماعات الوعل تيسها قرناه يجوزان الحد طولا وهما كثيرا الشعب منفسحا الانتشار

واذا قطع الرائد مسافة ستة كيلومترات صُعُداً يجيء الى قمة المنفذ وهي الشُعب تعلو عن سطح البحيرة نحو ثلاثمائة وخمسين متراً وعلى كلا جانبيهِ قمم الروابي المجاورة يختلف ارتفاعها عن تلك القمة بين مائة ومائة وخمسين متراً وفيما يلي ذلك مبحراً تزداد الجبال شموخاً فتبلغ أعلى قمتها ستمائة متر عن قرار الوادي ويكون منسوبها اي ارتفاعها عن سطح البحر الملح الفاً وستمائة متر ومن ذروة الشعب القبلية تتجلى بحيرة البرت ادورد للعين عن بُعْدٍ قصيٍّ في منظر باهٍ بديع ولا بدعَ فانك تبصر الخلجان والمرتفعات الحافة بها الدالة على حد ساحلها الشمالي وكذا البقاع والمناقع والبسائط الكثيرة الغياض تراها منبسطة امام عينيك كأَنها مرسومة في خريطة وانت تبصرها من خلال عدسيات مكبّرة . واذا أجلت طرفك الى الغرب يتبين لك وادي نهر سملكي وعلى طرفه الاقصى جبال الكنغو . هذا في التصعيد في قادمة آكام كيبورا الشرقية واما التحدير في قادمتها الغربية فيبتدئ بشعب بين اكمتين يبلغ اتساعهُ من جانب الى آخر ثمانمائة متر والطريق يحف بطُنُفٍ طويل ذاهباً معهُ ومن تحته الى الشمال عنه وادٍ فسيح خفيف الانحدار مشحون بشتات شجر السنط وفيه نتوات قليلة من حجر الجرانيت قائمة في جُرفِهِ الاقصى ولا يعتّم المسافر بعد ان يسير خمسة كيلومترات من قمة ذلك المضيق نزولاً حتى يأتي على آخر الشُقة فينتهي الى وادي سملكي [1]

---

(١) سأصف هذا الوادي ببعض الاسهاب في فصل نهر سملكي . واعلم

هذا ومما أوجب ذكرهُ بالايجاز في هذا المقام انما هو مضيق دويرو والبحيرة التي هي جزء من بحيرة البرت ادورد فأقول — يبلغ طول هذا المضيق من حد كازنجا زهاء اربعين كيلومتراً ومن النقطة التي يفارق عندها تلك البحيرة الى مسافة احد عشر كيلومتراً تقريباً يكون مسيله بتعاريج كثيرة بين جروف عليَّة ومتوسط سعته خمسمائة متر ومن ثم ينفسح ويمر على محاذاة الوادي في سمت الشمال الغربي وعرضه يختلف بين كيلومترين وكيلومترين ونصف وعلى خمسة وعشرين كيلومتراً عن كازنجا على مقربةٍ من كاتجولا يقع اليه نُهيرٌ أو جدول يخرج من سفح المهواة الشرقية يقال لهُ كِيمَبورا وعند نقطة تبطحهِ حتى يكون منه بحيرة دويرو بلدة ما وَنجا على ضفتهِ الشرقية وعلى مقربةٍ من تلك البلدة يصب في هذه البحيرة نهير يعرف عندهم بجدول كاتابيرا وعند مندغمهِ تنشأ بطيحة كُبرى تذهب بعيداً في الارض جنوباً بشرق وينفجر من الوادي الشرقي اربعة جداول ترمي الى البحيرة ايضاً (١) اما شكل البحيرة في مسافة منها تبلغ عشرين كيلومتراً فمربع مستطيل غير نظيم معظم سعته ستة عشر او سبعة عشر كيلومتراً ويمتد من طرفها الشمالي الغربي خليج مستطيل الشكل متوسط سعتهِ يختلف من بين ستة الى سبعة كيلومترات عند نقطة امتداده ثم تقل سعتهُ ويكون طوله من عشرة الى اثني عشر كيلومتراً وفي جانبها الغربي خليج كبير يعرف بخليج لوَنْكا وعلى مقربةٍ من مدخل مضيق دويرو جزيرتان تعرف احداهما بجزيرة شيكاليرو والاخرى بجيرة نَوْكِفنجا . وعلى عامة الضفير الغربي آجام ومناقع فيها نبات البرديّ وغابات القصب وما الخليج الشمالي المتقدم ذكره الا بطيحة هائلة

ان فرجة هذا الوادي تبلغ خمسة وعشرين كيلومتراً

(١) هذه الجداول هي كِيتَندا وكِنتيا وبجاو وكيكومي

لابحيرة[١] ثم ان جروف المهواة الكبرى تتدانى من الماء حتى تحف به ولكنها في شمالي نهر امباجو تتقاصى عن البحيرة فيكون الساحل هناك في جميع طرفه الشمالي محشوكاً بكثيف الاشجار نبتها خاص بالاصقاع الحارة يمرح في اقطارها جماعات الفيل . وفي الشمال الاقصى يتعالى البر مستوعراً في صفٍ من العلايات مكونة من طنوف جبال رونيروري واكامها[٢] . هذا وينصرف الى بحيرة دويرو مياه كثيرٍ من الانهار كلها (ما خلا الجداول والنهيرات في الجهة الشمالية) تنشأ من الجبال المذكورة على ان بعضها يفيض بالرّداه[٣] . فاعيان الانهار من حد الطرف الجنوبي للبحيرة ثمانية وهي ماكوكيا ونُويسمبا ولوكوكو وسيبو وأُمبوكو وهيما ورُويجي او اُنْشْجي واُمْبَنْجو وفرعهُ وهو مانوبو وجميع هذه الانهار تسيل من مقدَّم رويتزوري الشرقي واما لوكوكو وسيبو وأُمبوكو ففيضها بالرداه[٤] وسائر هذه الانهار ماعدا نهري رويجي واُمْبَنْجو تفرّغ الى بحيرة دويرو فتهبط اليها من جانبها الغربي وليس واحد منها ببعيد الطول لان سلسلة جبال رونزوري ليست في نقطة واحدة منها قصيةَ التباعد عن البحيرة غرباً فانها بعد خروجها من مضايق الجبل لا تكون سعة الوادي الذي تسيل فيهِ راميةً اليها باكثر من ثمانية او عشرة كيلومترات . قلت ان عامة الانهار المتقدم ذكرها تسيل من قادمة رونزوري

---

(١) سآتي على وصف الساحل الشرقي باكثر بيان في فصل البلاد الواقعة فيما بين بحيرتي البرت ادورد والبرت

(٢) وينشأ من شمالي هذه البحيرة اجمة تجتاز تورو فتفضي الى أنيورو

(٣) الرداه جمع ردهة وهي ماء ذوب الثلج (المعرب)

(٤) مياه الصبب المنسكبة من جبال رونزوري تفرغ جميعاً الى بحيرة البرت ذلك لان الانهار الشرقية تتفجر الى بحيرة دويرو ثم تذهب الى بحيرة البرت ادورد . والبحيرة ليس لها الا مخرج واحد يكون منه خليج يقال له نهر سملكي تنجاب اليه في طريقه عامة الانهار التي على جانب رونزوري الغربي وهو يرمي الى بحيرة البرت

الشرقي واما نهرا رويمي وامبنجو المتقدم ذكرهما فيطمحان في جريهما مجالاً بعيداً الى الشمال فيطوّفان بالبحيرة من جانبها الشمالي ثم يدخلانها من جانبها الشرقي ويربو بين النهرين آكام متناسقة لاحقة بجبال رونزوري وتكون في ناحية الجنوب جبلاً هو جبل لُبَابا المعروف بجبل ادون أرنلد ويبلغ ارتفاعه عن سطح البحر الملح الفاً وسبعمائة متر . وسيّد هذه الانهار جميعها نهر امبنجو وهو اعظم ممدات بحيرة البرت ادورد ولو يُستثنى نهر رُتشورو في الجنوب . وهاك زُبدة ما وصل اليّ علمه من امر هذه الانهار

اولاً نهر ماكوكيا — يخرج هذا النهر من الجبال على نحو تسعة وعشرين كيلومتراً عن بلدة خطوي في مهب الشمال وهو في ايام الجفاف مجرًى طفيف يكون عرضه ثلاثة امتار وغوره اربعين سنتيمتراً . وقد كان تصرفه في الثالث والعشرين من فبراير سنة ١٩٠٣ خمسة واربعين سنتيمتراً مكعباً ونصفاً في الثانية واما في ابّان الفَيْض فهو عارض اكبر في سبيل الرُوّاد وعند مفارقته الآكام ينساب في مضيق جميل له من بين جرفيهِ سعة مائة متر وغوره يختلف من بين عشرة امتار الى اثني عشر متراً شفيره هويّ عمودي الانحدار وهو مَقْصَبة قَصبها رفيع متشابك وعلى طرفه الغربي قنة وغرة فارعة عن الآكام المجاورة . اما طول مسيل النهر فلا يكاد يبلغ عشرين كيلومتراً (١) وهو يفرغ الى البحيرة فيغوصها من الطرف الشمالي الغربي لخليج لُوَنكا

ثانياً نهر تُويِسَمْبا — يشق هذا النهر في السهل الذي بين الجبال وبحيرة دويرو على واحد واربعين كيلومتراً من خطوي شمالاً وهناك يتبطن وادياً منفسحاً بين الآكام . والسهل هناك متسعهُ كيلومتر ونصف وفيهِ عدد عديد من الاخوار التي خددتها السيول منتشرة في بطونها الدماليك وقد يبلغ الدملوك الواحد مبلغاً جسيماً وبعض هذه الاخاديد فسيح الاقطار تكون

(١) راجع خريطة بحيرتي البرت والبرت ادورد للاستاذ اشتلمن التي جمعها مكس موازل

سعته زهاء ثلاثين متراً ودَرَكه مترين وربعاً وعلى عامتها اثار فعل الماء ويتبين لك من تناثر الدماليك وانتشارها وتقاذفها ما لهذه المسايل من شدة الجرية في ابَّان الفيض . ويكون مسيل النهر في ابان الغيض (الجفاف) لا تجاوز سعتهُ اربعة امتار وغوره ثلاثين سنتيمتراً . واما تصرفه (منطلقهُ) فكان في ٢٣ فبراير من سنة ١٩٠٣ ثلاثة وستين سنتيمتراً وستة اعشار السنتيمتر في الثانية ليس غيرُ . ويكون متسع مسيله في الفيض مائة متر وغوره متراً وربعاً وهو مشحون بالادغال من قصب واعشاب متراكبة . واما طوله فيبلغ نحواً من ثلاثة وثلاثين كيلومتراً (١)

ثالثاً نهر لوكوكو — يشاهد هذا النهر على كيلومترات شمالاً عن نهر نويسمبا فهو قريب منهُ لكنهُ يخرج من الجبال في مضيق آخر . والنهر ماؤهُ من ذوب الثالج (الرداه) مسيلهُ سعتهُ عشرة امتار وعمقه اربعة امتار وثمانون سنتيمتراً وجروفه هويَّة تكاد تكون عمودية وقد تبينتُ سعة غديره بازاء منبثقة من الآكام وذلك في ٢٣ فبراير سنة ١٩٠٣ فاذا بها عشرة امتار وكان بُعْد غورهِ في ذلك اليوم خمسة وتسعين سنتيمتراً ومتوسط جريتهِ ثلاثة وخمسين سنتيمتراً في الثانية والتصرف مترين وثمانين سنتيمتراً في الثانية . اما فورة فيضه اي جُماها ومعظمها عند تلك النقطة فمتر واحد وسبعون سنتيمتراً كما يتبين ذلك من العلامات المتخلفة على جرفيهِ ولا يبعد ان تكون تلك الفورة في الفيض الزاخر أعلى من ذلك بكثير . هذا وعلى جانبي النهر بسائط من الارض سعتها تختلف بين ثمانين وتسعين متراً عامتها مقصبة قَصَبها متعالي الساق اما مجراه بعد مبارحته الجبل فذو تعاريج وتلافيف كثيرة وفي جروفه تأكل شديد . ماؤهُ صافٍ زلال أشبه بالردهة ومسيلهُ بَطِح تكون جريته في سمت

(١) انظر خريطة بحيرتي البرت والبرت ادورد للاستاذ أشْتُلْمَنْ التي جمعها مَكْس مُوَازِل

الجنوب الشرقي [1]

رابعاً نهر سيبو — يكون هذا النهر عند خروجه من الاكمة على خمسة كيلومترات عن نهر لوكوكو شمالاً او ثلاثة وخمسين كيلومتراً عن خطوي شمالاً وعند تلك النقطة تنفرج الروابي عن وادي دويرو فيكون منه وادٍ متسع الفجرة على جانبهِ الايمن ثلاث قنن مخروطة الشكل والنهر ينساب في هذه الفُجْرة وهو ينشأ في المثالج الشرقية لجبال رونزوري وكذا نهر لوكوكو عيْن جارية جريته مستديمة في عامة السنة كسائر الانهار التي تنشأ في تلك البقعة . واديه فسيح وربما تفجرت اليه سيول غامرة في ازمان الفيض بدليل ما تراه من اثار فعل المياه في عامة مسيلهِ فالحجارة متناثرة متبعثرة في جميع اقطاره . اما مجرى النهر فزهيد جداً مستقرهُ كثير الانخفاض سعتـه لا تجاوز مترين وغوره متر وخمسة وسبعون سنتيمتراً وجروفه قائمة عمودية على جنب مائهِ وقد استُقصي تصرفهُ اي منطلقه في الخامس والعشرين من شهر فبراير من سنة ١٩٠٣ فكان ثلاثة وخمسين سنتيمتراً في الثانية وكان عرضه يومئذٍ مترين وغوره تسعة واربعين سنتيمتراً ومتوسط جريتهِ اي سرعته نصف متر في الثانية . اما طوله فعشرون كيلومتراً (كذا في خريطة اُستُلْمَن) [2] وقبيل يبلغ البجيرة يلتقي بنهر اُمبوكو فيكون له ممُدًّا . اقول والوادي بين هذين النهرين محشوك كله بغابات القصب المتجاوز الحد في طول ساقه يتخلله عدة مسايل جافة مغطّاة ارضها بالحصى

---

(١) لقد اخطأ موازِل في خريطته اذ جعل طول النهر ستة عشر او سبعة عشر كيلومتراً والحال انهُ من كبار الانهار الصابة في بحيرة دويرو من الغرب ومأتاهُ من مثالج رُوِنزوري اذاً يكون طوله اقله ثلاثين الى خمسة وثلاثين كيلومتراً

(٢) وفي ذلك ايضاً خطأ في الخريطة فان هذا النهر كنهر لوكوكو واُمبوكو يستنزف المثالج ولا بد من ان يكون طوله اكثر من ثلاثين كيلومتراً

وربما تعذر على القوافل اجتيازه في ابان الامطار فضلاً عن اجتياز النهرين المذكورين

خامساً نهر اُمبوكو - يقع هذا النهر على ثمانية وخمسين كيلومتراً عن خطوي شمالاً وفي ممره من هضاب الجبل الى بطيحة دويرو يجتاز الوادي اما ماؤه فستنزَف مثالج رونزوري الكبرى وهو اعظم الانهار التي ترمي الى بحيرة دويرو وعلى الجانب الغربي يسير معظمه في سمت الغرب ومسافة طوله اربعون كيلومتراً لان عينه في سلسلة من الجبال ارتفاعها عن سطح البحر الملح حوالي اربعة آلاف كيلومتر[1] ٠وعند منفجرة ينساب في صَفَف من جنادل طفيفة زالجةَ من فوق صخر ورضراضٍ وماؤهُ زلالٌ مفرط البرودة وتبلغ سعة مجراهُ في ازمان الفيض ثمانية امتار ويكون غورهُ متراً واحداً ونصفاً . شفيره صخر هويٌّ عمودي المهوى سُبر مجراه في الخامس والعشرين من فبراير سنة ١٩٠٣ فكان غورهُ ثلاثة وثمانين سنتيمتراً ومتوسط جريته متراً وستة عشر سنتيمتراً في الثانية ومن ذلك علم ان مقدار تصرفه كان يومئذٍ قريبَ سبعة امتار وخمسة سنتيمترات ٠ ومياه فيضه تطمُّ مياه غيضه بقدر مترين وخمسة وسبعين سنتمتراً ويكون متسع مسيلهِ ابان الطغيان مائة وعشرين متراً ٠ هذا ومن المستصعبات تقدير تصرُّف النهر الا انه عند اقصى فيضه لا يقصّر كثيراً عن ثلاثمائة متر في الثانية لكن فيضه قصير الفترة يأتيه دفقاتٍ متواترةً حتى لقد يمتنع اجتيازه ستة او سبعة ايام متوالية ثم ينحسر

سادساً نهر هيما — يقع هذا النهر فيما بعد نهر اُمبوكو الى الشمال وهو يرمي الى بحيرة دويرو من جانبها الغربي وهو عن خطوي على ثلاثة وستين كيلومتراً شمالاً ٠مسيلهُ مطمئن بعيد القرار مضجعه بين جرفين هما غاية في الوعورة وتبلغ سعته مائة وثلاثين متراً ومسافة ما بين شفا جرفه الايمن

---

(١) انظر خريطة اُستلمن

(الجنوبي) وقاع حوضه اربعة وعشرون متراً ومسافة الشفا الايسر (الشمالي) عن ذلك القاع ستة عشر متراً وكلا الجرفين هائر يكاد يكون عمودياً والنهر في مسيلهِ شعبتان يمناهما وهي الكبرى تكون عن الجرف بقدر عشرة امتار ويسراهما يكون عن عدوة الوادي القصوى على واحد وثلاثين متراً . واليمنى سعتها اربعة امتار وغور مائها ثلاثة امتار ونصف واليسرى سعتها ثلاثة امتار وغورها متران ونصف واما سعة ما بين الشعبتين وبراح ما بينهما والجرفين فَقصبة كثيفة متلازّة القصب المجاوز الحد طولاً يتخلل ادغالها قليل الاشجار . واما تصرف الشعبة اليسرى فكاد يكون معدوماً في السادس والعشرين من الشهر المذكور واما تصرف اليمنى فلم يجاوز اثنين وسبعين سنتيمتراً وثمانية اعشار السنتيمتر في الثانية[١] وماء النهر صاف يمر على صخرٍ ورضراض[٢] . هذا وليس بالسهل تقرير مقدار الفيض في هذا النهر لكن أناسيّ تلك الاقطار يقولون ان الفيض لا يجاوز قط أعلى اديم الشعبتين وربما كان قولهم صحيحاً لان قيام الاشجار والادغال في البراح المذكور دليل على ان الوادي لا ينفجر اليه سيل دُفاق . وزد على ذلك ما لارض المجرى من عظيم الانحدار على انهُ يجوز ان يُجعل معظم الفيض بين مترين وثلاثة امتار . أقول ويذهب النهر في سمت الشرق بالغاً من الطول (على ما في خريطة اُستُلْمن) خمسة وعشرين كيلومتراً . وليس مستدرّهُ بمثلجةٍ بل هو ينشأ من جبال رونزوري الصغرى وفي اعالي الهضاب رواسب جيريّة لها كبير الشبه بالكنكور . وهو خاتمة الانهار الرامية الى بحيرة دويرو من جانبها الشرقي واوغلها على سمت الشمال وبينهُ وبين الممد الثاني للبحيرة اعني بهِ نهر رويمي شنخوب (أي انف) ذاهبٌ

---

(١) كان غور الماء حينئذٍ ستين سنتيمتراً ومتوسط السرعة خمسة وعشرين سنتيمتراً في الثانية

(٢) الحصى أو صغارها (المعرب)

في وجهةٍ شرقية ويتقارب من الطرف الشمالي للبحيرة فيحوّل مياه الصَّبَب الى الشمال حول رأس البحيرة ومن هناك تحير تلك المياه متدفقة الى الوادي من جانبهِ الشرقي وهذا الشنخوب شامخ علوّاً لكنه ليس بمستعرض. وفجة ما بين هذا النهر ونهر رويجي لا تتعدى ستة كيلومترات

سابعاً نهر رويجي — ويقال له ايضاً نهر أُنْسُنْجي ينشأ من الجبال المحيطة بالعلاية العليا في الطرف الشمالي الشرقي من جبال رونزوري في ثمانٍ وعشرين دقيقة من العرض الشمالي وتتضمن هذه العلاية حصن بُرتل ومنها تنبع عين تعرف بنهر أُمبنجو ويقال لمجتمع تلك الجبال في النقطة المذكورة كِريبا وارتفاعها هناك عن سطح البحر الملح زهاء الفين واربعمائة متر[١] أما مذهب النهر فيقرب من سمت الجنوب توّاً لكنه عند افضائهِ الى الشنخوب المذكور ينحرف صوب الشرق وتبقى جريته ملازمة لهذه الوجهة حتى يقارب منفجر وادي البحيرة وهناك ينقلب الى الجنوب ويلتقي بهِ عند مصبه نهر آخر يقال له نهر دورا ويمر كلاهما معاً فيرميان الى البحيرة من جانبها الشرقي في احدى عشرة دقيقة من العرض الشمالي[٢] وأما طوله فيناهز خمسين كيلومتراً[٣] وعلى مقربةٍ من آخر منعطفٍ له نحو الجنوب يمرُّ مخترقاً الهضبات في شِعبٍ كثير التماريج تبلغ سعته سبعين متراً جرفاه هائران عمودياً المهوى يبلغ ارتفاعهما خمسة وثلاثين متراً ويكون مجرى النهر هناك جنادل متتالية يترقرق ماؤهُ في مساقط من صخر وصرّار[٤] احدثت فيها قوة الماء ثقوباً وتجاويف عديدة

(١) راجع خريطة أُستلمن

(٢) ان نهر دورا ينشأ من الجبال التي ينشأ منها نهر رويجي ولكن منشأه يكون الى الشمال عنه والعرض الشمالي هناك اربعون دقيقة جغرافية وله طول قدره سبعون كيلومتراً

(٣) راجع خريطة استلمن

(٤) اسم جنس للحصى الكبيرة (المعرب)

والخانق محشوك شجراً ملتفاً شامخ الارتفاع اوراق بعضها آية في جمال المنظر ويزيد مرأى تلك الاقطار غلظةً الجروف المستعلية التي تكتنف الخانق من الجانبين أما الجانب الايسر فأعلى من الجانب الايمن بكثير يبلغ ارتفاعه عن الماء مائة متر وفي انسلالهِ من ذلك الخانق يكون مسيله شديد الانحدار وله فيه جنادل ومساقط شتى وعند مندغم نهر دورا بهِ ينفسح في آجام ومناقع متسعة الاقطار بعيدة الغور ولقد سُبر النهر في السادس والعشرين من فبراير سنة ١٩٠٣ فكانت سَعة مائة احد عشر متراً واقصى غوره تسعة امتار وتسعين سنتيمتراً ومتوسط جريته سبعة وسبعين سنتيمتراً ومقدار منطلقه اربعة امتار وثلاثين سنتيمتراً مكعبة في الثانية. ماؤه زلال بارد ولو ان مثالج روتزي لا ترمي بذائبها اليه . اما ممدّه الاكبر وهو نهر دورا فمؤلف من مجموع ثلاثة انهار تسيل من صبب الجبال وهي نهر يِريا ونهر بَلَارِيبا واُمسُنجي ناشئة في بقعةٍ يختلف بُعدها عن خطوي بين ثلاثة وثمانين واثنين وتسعين كيلومتراً وإمامها نهر امسنجي [1] . والوادي الذي تنفجر هذه العيون اليهِ سعتهُ تتراوح بين سبعين متراً ومائة متر وهويّهُ بين عشرين وخمسة وعشرين ومسايلها عامتها بطاح مستنقعات فيها غابات القصب الشامخ وبعض الشجر ومتوسط فيضها يبلغ مترين وخمسة وسبعين سنتيمتراً واما نهر اُمْسنجي فلا ارى الاَّ ان يكون عرضه في اقصى مدّه خمسة وثلاثين متراً

---

(١) سبرت هذه الانهار في الثامن والعشرين من شهر فبراير سنة ١٩٠٣ وذلك عند مجازاتها اي معاديها فكان مسيل نهر يريا ثلاثة امتار في مثلها وغور مائه تسعة واربعين سنتيمتراً ومتوسط جريته ثمانية وثلاثين سنتيمتراً في الثانية وكان نهر بلاريبا جافاً ولكن مسيله بلغ مترين وخمسة وسبعين سنتيمتراً في مترين ونصف وكان نهر آمسنجي سعة قاعه اربعة امتار في مترين ونصف وغور مائه ثلاثين سنتيمتراً فقط ولكن متوسط جريته بلغ واحداً وخمسين سنتيمتراً وبلغ مجموع التصرف في نهري اُمسنجي ويريا متراً مكعباً وتسعة واربعين سنتيمتراً واربعة اعشار السنتيمتر في الثانية

ثامناً نهر امبنجو — هو آخرة الانهار الرامية الى بحيرة دويرو واوفرها مدداً لها وربما تجاوز مقدار ما ينطلق فيه من الماء مقدار ايّ من الانهار الصابة الى بحيرة البرت ادورد ولقد عدهُ بعضهم بمثابة نهر سملكي حجماً لكن ذلك ليس من الصحة في شيء . نعم ان لهُ احايين يكثر فيها مدُّهُ فيجاوز مقدارهُ مقدار ما في نهر سملكي لكنّ ذلك قليل اللبث سريع الزوال ومتوسط تصرفه السنوي في غير نسبةٍ بمتوسط تصرف نهر سملكي . هذا وللنهر ممدَّان مصبهُ مهب الجنوب ينبعث من جبال كريبا الى الجنوب الغربي عن حصن برُتَل والآخر مأتاه من الشمال على مقربةٍ من بلدة انسورورو أوحصن وافِرتِري [١] وعمدة هذين الممدين الممدّ الصاب من الجنوب . اقول والنهر في مسيلهِ الاعلى يتجه الى الشرق ماراً بازآء حصن برُتل مركز قسم طُورُو [٢] . وهناك على مدى قصيرمن تلك النقطة ينجلب اليهِ ممدُّه الشمالي وفيما وراء ذلك حتى مصبه يجري في وادٍ هويّ واسع الفجرة جناحاهُ هضبات عليَّة وعلى نحو خمسين كيلومتراً من مخرجه ينحرف مقبلاً على سمته ويلزم تلك الوجهة في مسافة قدرها اربعون كيلومتراً وهناك ينعطف منقلباً تواً الى الغرب ويفضي الى بحيرة دويرو في نقطة لها من العرض الشمالي سبع دقائق فتكون

---

(١) للمدّ الجنوبي ممدات أخرى عديدة اعيانها ثلاثة جداول وهي ايغاشا ونكتيرا وملونة . أما جدول ايغاشا فسعة قاعهِ ثلاثة امتار وجرفاه صخر قائم ارتفاعه متر واحد ونصف ولقد سُبر غور المياه فيـهِ في اول مارس سنة ١٩٠٣ فكان ستين سنتيمتراً ومقدار منطلقهِ تسعة وتسعين سنتيمتراً مكعباً في الثانية . وأما جدول نكتيرا فكان في ذلك الشهر في طَور الجفاف وهو دون جدول ايغاشا المتقدم ذكره حجماً . وأما جدول ملونه فسعة قاعه ثلاثة أمتار وهويُّ جرفه متر واحد وكان منطلقهُ في أول مارس من تلك السنة ثلاثة وثلاثين سنتيمتراً مكعباً في الثانية

(٢) يكون حصن برُتل عن بلدة خطوي شمالاً مائة واربعة عشر كيلومتراً

مسافته هناك من حد ينبوعه الى مرماهُ الى البحيرة مائة وعشرة كيلومترات [١] . هذا ويجلب اليه عدة انهار صغرى وتنصرف فيه مياه الأَتيّ المتحلبة من فسيح الارض وفي مسافتهِ الجنوبية يجتاز حرجاتٍ وغابات فيما بين جبال لوبابا والعلاية الشرقية وهي سنام مسقط الغيث الفاصل بين الانهار الصابة في بحيرة البرت ادورد والانهار الرامية الى بحيرة فكتوريا [٢] اما مسيلهُ الشمالي فانحدار ارضه اكثر من الكثير ومع ذلك فقطاع مجراه في ايام الجفاف ليس بكبير وهو ينساب عند حصن بُرْتَلْ في مجرًى مشحون بالدماليك سمته خمسة امتار وغوره متران وستون سنتيمتراً وجروفهُ عمودية عليهِ وجمهور فيضهِ في تلك النقطة يفضُل منسوب الماء بقدر ثلاثة امتار وثلاثين سنتيمتراً فيكون غوره اربعة امتار وعشرة سنتيمترات ولقد سُبر النهر في السادس من شهر مارس من سنة ١٩٠٣ فكان منطلقهُ اي تصرفهُ بقدر مترين واربعة وستين سنتيمتراً مكعباً في الثانية [٣] . اما سعته هناك في ابان الفيض فمائة واربعة عشر متراً ومساحة قطاعه حينئذٍ واحد وتسعون متراً مربعاً واذا فرضنا ان متوسط السرعة في عامة تلك المساحة متران في الثانية [٤] كان المنطلق مائة واثنين وثمانين متراً مكعباً في الثانية . هذا وبما ان هذه الاسبار تختص بمسيلهِ الأعلى وهو فيما بين حصن بُرْتَل والبحيرة تجلب اليه ممدات كثيرة بعضها وافر المقدار فلا غرو من ان يكون جرم فيضهِ عند مصبهِ في البحيرة ثلاثة اضعاف الجرم المتقدم ذكره

---

(١) راجع ما ورد في خريطة أُستلمن

(٢) قال العلامة لوجرْد ان هذا النهر عند اقترابهِ من بحيرة دويرو ينساب في خانق جانباه مهواة يكون غورها مائتين وخمسين متراً مستفيضة شجراً ملتفاً

(٣) وكانت سعة صفحة الماء حينئذٍ خمسة أمتار وعمقهُ ثمانين سنتيمتراً ومتوسط جريته ثمانية وثمانين سنتيمتراً في الثانية

(٤) ماؤهُ في البسايط رقيق ضحضاح ولذلك لا تكون السرعة شديدة

هذا وقبل ختام الكلام على بحيرة البرت ادورد لا بُدَّ لي من ان ابين صفة الانهار الصابة اليها وذلك بالايجاز الممكن لان المعلومات عنها اقل من القليل فاقول [١]

اولاً - يدخل البحيرة من جانبها الجنوبي نهران كبيران وهما رُتشورو ورُوِندو وهذا يلجها من خليج وِتْشُبمي قال اُستلمن ان سعته تختلف بين خمسة وستة امتار وغورد متر واحد ومجراه شديد الاندفاع وهو كنهر رُتشورو يتلقى المياه المتصببة من الطرف الشمالي لجبال المفجرة الفاصلة بين منطقتي انهار الالبرتين وطنجنيكا وعمدة الانهار الرامية الى بحيرة البرت ادورد (باعتبار هذه البحيرة منفصلةً عن بطيحة دويرو) نهر رُتشورو [٢] ويُعرف في مسافته الجنوبية بنهر كيكو قيل انهُ نهر ضخم بعيد القاع لا يُقطع خوضاً وهو يخترق غابة ملتفة الشجر مبدأهُ في درجة واحدة وخمس وعشرين دقيقة من العرض الجنوبي عبرهُ الرحالة اُستلمن في مايو سنة ١٨٩١ وقال ان سعته تناهز ستين متراً وغوره متر واحد وجريته شديدة [٣] ولا بدَّ ان يكون في ابان فيضه نهراً ضخماً فان الرحالة مُور أقبل عليهِ في شتاء سنة ١٨٩٩ قال انهُ نهر عظيم ماؤهُ كَدِرٌ تشوب كدورته صُفرة وتكون سعته بقدر سعة نهر التاميز عند وِستمنستر ويأخذ الى الشمال في دراديرِ ومَعاجل [٤] وفي اواخر سيره ينساح في السهول الاجمية الواقعة قبلي البحيرة ثم يرمي الى تلك البحيرة عند اربع وعشرين دقيقة من العرض الجنوبي

ثانياً — لا يدخل البحيرة من جانبها الغربي الاّ ما لا يذكر من الانهار

---

(١) لم نمرّ في رحلة ١٩٠٣ بانهار ممدةٍ سوى نهري نيمغاشا ودِبيّرة

(٢) ان نهر أمبنجو أعظم من نهر رُتشورو

(٣) راجع ماورد في الكتاب الالماني عنوانه «مع أمين باشا في أواسط أفريقيا» (برلين)

(٤) راجع الكتاب الانكليزي عنوانه « جبال القمر »

ويحف بضفيرها مسامتةً جبال وِكُنجو في عامة طولها وليس مسيل في تلك البقعة الا ما افعمته مياه الامطار المنصبة اليهِ من مضاجع الغيث ومساقطهِ على الجانب الشرقي لتلك الجبال ولكن المسايل التي من هذا القبيل قصيرة المدى شديدة الانحدار لا يُعَد مسيل واحد منها في مصاف الانهار

ثالثاً — لا يدخل البحيرة من جانبها الشرقي نهر لهُ شيء من الاهمية فان جبال المهواة على ذلك الجانب تزاحم البحيرة فتكون على قيدٍ قريب منها فالسهلة التي بينهما تختلف سعتها بين خمسة وستة كيلومترات (الاَّ في الطرف الشمالي الشرقي) اذاً تكون مسايل مياه الصَبَب وجداولها غير مديدة[1] فلا تذكر في جانب الانهار

رابعاً — يرمي الى البحيرة من جانبها الجنوبي الشرقي نهر مُونجو ويقال لهُ ايضاً اُمتُنجي وهو نهر معتدل الحجم يجتاز الصحراء الجنوبية وفي سيره تحلب اليهِ مياه الصبب الآتية من الروابي الشرقية. يروي أناسي تلك البقعة ان تياراً يخترق البحيرة من مصب ذلك النهر الى مخرج نهر سملكي فاذا بُعث قارب في ذلك المصب واُطلق له السراح جرى جرية التيار توًّا الى ذلك المخرج . هذا وقليل ما هي المعلومات الصحيحه عن هذا النهر قيل انه كان في غابر الازمان نهراً ضخماً لكن ماءهُ قليل جداً في ايام القيظ (الجفاف) واما طوله فليس بالكثير فهو لا يتجاوز خمسة وثلاثين كيلومتراً

خامساً — يُفضي الى البحيرة من طرفها الشمالي نهران وهما نيَمغَاشا ودبيَّرة منشأهما جبال ر ونزوري الجنوبية وهما يجتازان الصحراء الصلصالية الكبرى الواقعة الى شمالي البحيرة ثم يصبان فيها عند نقطةٍ تقع شرقي هضاب

---

(١) بيَّن آستلمن على خريطته في هذه البقعة ابتداء من الجنوب أربعة مجارٍ وهي انتوارا وكَسيًّا ودُوَمبونو ووِشِجوي ولكن ليس منها ما يُنيف على سبعة أو ثمانية كيلومترات طولاً .

كييورا وعمدة النهرين نيغاشا[١] مخرجهُ حيث العرض الشمالي احدى عشرة دقيقة ومسافتهُ زهاء خمسة وخمسين كيلومتراً واما نقطة مرماهُ في البحيرة فعلى نحو خمسة كيلومترات من خطوي في طرف العقبة الى الجانب الغربي لخليج خطوي وعند معبر الطريق المؤدية من خطوي الى أمبيني تكون سعتهُ ثمانيـة امتار ومسيلهُ بين جرفين وعرين قائمين يبلغ ارتفاعهما مترين وثمانين سنتيمتراً وهو يسير في تعاريج ومنعطفات وعلى جانبيهِ منبسطاتٍ من الارض بعيدة السعة غاصّة بغابات القصب تغمرها مياه النهر في فيضهِ بقدر نصف متر[٢]. جريتهُ شديدة فهو في النقط العديدة منه لا يجتاز خوضاً. وفي مسيلهِ رمالٌ وهو يشق تلك الصحراء الصلصالية محدثاً فيها نخاريب . وسعة الوادي تختلف بين خمسة وستة كيلومترات وكله مركوم رواسب جيرية وهو كثير العمارة بالزروع ومذهبهُ الى الجنوب او الجنوب الغربي . وفي مسافةٍ من مسيلهِ قبل مرماه في البحيرة يجتاز مناقع كثيفة القصب يأوي الى اجوافها الفيلة وهي تعيث في شجر الموز الذي في جوارها . ماؤهُ صافٍ زلال ثلج . ولقد سبرناه في اليوم السادس عشر من فبراير سنة ١٩٠٣ وذلك فوق المخاضة التي تجتازها الطريق الذاهبة من خطوي الى امبيني فكانت سعة مائهِ هنالك متراً واحـداً واقصى غوره متراً ونصفاً ومتوسط سرعته خمسة وخمسين سنتيمتراً في الثانية ومنطلقهُ (تصرفهُ) اربعة امتار وتسعين سنتيمتراً في الثانية ومساحة قطاع فيضهِ مائة وخمسة وعشرين متراً مربعاً وأقلّ منطلقه في معظم مدّه مائتان وخمسون متراً مكعباً في الثانية

اما نهر ديبّرة فدون نهر نيغاشا لكنهُ يكاد يسامتهُ ويوازيه في مجراه وهو

---

(١) ويعرف أيضاً عند أمم تلك البلاد بنهر نيمغشاني

(٢) ان عرض سطح الماء اي منفسحهُ في ابان الفيض نحو مايتين واحد عشر متراً وغوره في منتصفهِ ثلاثة امتار وثلاثون سنتيمتراً

يشق الصحراء على عشرة كيلومترات غربي خطوي وتكون روابي كيبورا شفة واديه الغربية ومسافة جريته ليست بطويلة فهي لا تتجاوز ثلاثين كيلومتراً وبعضهُ يحفّ بالجبل فيسير في حضيضهِ وجرة الوادي يتخالف متوسط سعتها بين كيلومترين وثلاثة كيلومترات وفي اخريات جريهِ في نحو نصف طوله يستبحر الى مناقع غاصة بملتف القصب المديد الساق. وفي ذلك الوادي يسير النهر بملاو متعاقبة ويكون مجراه رَخِفَ الأديم هشّةً شريداً دائم التغير والانتقال [١]. وفي مواضع منهُ يكون قاعهُ طفالاً مسترخياً حتى يتعذر عبوره وفي غالب مجراه يكون ذلك القاع محصبةً وقليل ما هي المواقع التي يتيسر اجتيازه منها خوضاً وفيهِ عدد عديد من الغدران بعيدة الغور هي مجالات بقر الوحش واما جرفهُ فشديد الانحدار وفي بعض المواضع منهُ يكون ارتفاع ذلك الجرف عن سطح الماء زهاء ثلاثة امتار واما منفسح مائهِ ابان الفيض فمتوسطهُ سبعة امتار وغوره عند المخاضة على سبعة او ثمانية كيلومترات عن مصبه خمسة وسبعون سنتيمتراً ولكن عامة غوره ابعد من ذلك بكثير وكلما تدانى من البحيرة زادت البطيحة اتساعاً وتعذر سلوكها [٢]. هذا ولقد سبر النهر عند المخاضة في السابع عشر من فبراير سنة ١٩٠٣ فانكشف منطلقه عن ثلاثة امتار وتسعة عشر سنتيمتراً مكعباً في الثانية [٣]. ومن المستصعب تعيين الحد الذي تبلغهُ المياه في وادي

---

(١) في تلك الاصقاع يشاهد الرائد كثيراً من المجاري وقد ادركها الجفاف وهي المجاري التي سلكها النهر من قبل

(٢) كل رائدٍ اجتاز هذا النهر أو حطّ رحالهُ في جوارهِ لا تفارقهُ ذكراهُ لبعوض هناك صغير الحجم اسود اللون شديد الأذى يلسع ليلاً ونهاراً وتخلّف لسعتهُ في الجلد ألماً يبقى الى زمن

(٣) كانت سعتهُ حينئذٍ سبعة امتار وغورهُ خمسة وسبعين سنتيمتراً ومتوسط سرعته ستين سنتيمتراً في الثانية

هذا النهر في ازمان الامطار على ان المعالم الموسومة على ضفتيه تدل على ان مياه السيل فيهِ ترتفع عن اقصى غيضه بقدر متر وخمسة وسبعين سنتيمتراً لكن لا ريب في ان تلك المياه تفعم الوادي فتنفسح عريضاً في اديم الآجام على كلا جانبيه ومع ذلك لا يكون جرم مائهِ قطّ كجرم ماء نهر نيمغاشا ولعلهُ لا يتجاوز نصفهُ حتى في جمام فيضه

الفصل الخامس

جملة القول في ارض ما بين بحيرتي البرت ادورد والبرت
في اقليمي طورو وأونيورو

أسهل الطرق واكثرها سلوكاً بين تلك البحيرتين تذهب من الجنوب الى الشمال على سمته ويمرّ قسم كبير منها بازاء الهضاب الشرقية لجبال رونزوري وهي جبال شواهق تكسو رؤوسها الثلوج وتملأ فضاء وادي المفجرة وفي مدى سبعين كيلومتراً الى الشمال عن بحيرة البرت ادورد تنشطر تلك المفجرة بشطرين مختلفين. وقبل ان ابدأ بتبيان الطريق المؤدية الى بحيرة البرت يروق لي ان اشير الى ما لهذه الجبال من الشأن في مبلغ استدرار النيل من المياه فأقول :

اعلم ان وادي نهر سملكي يقع الى الغرب عن جبال رونزوري ويتاخمه في عُدوتهِ القصوى جبال واكُنجو وهي هناك فواصل بين نهري النيل والكنغو والوادي وان كان في مواقع منهُ متقارب الجانبين فانهُ متواصل لا انقطاع فيهِ بين البطيحتين واما ما كان من المفجرة الى شرقي جبال رونزوري فبراح فسيح الاقطار أشبه بأُنشوطة كان في ما سَلَف خوراً او خليجاً من البطيحة الكبرى التي كانت تحيق بتلك الاقطار جميعاً وتخم ذلك البراح الاقصى سطر من الهضاب يشير الى المهراة الكبرى الشرقية. ولم يبقَ من ذلك اليمّ الواسع

الارجاء الذي كان يَغْشى ذلك البراح سوى بحـيرتي البرت ادورد ودويرو والمضيق الواصل بينهما . والى شمالي بحيرة دويرو تنحرف تلك الهضاب على سمت الغرب ثم تندغم في العلاية الممتـدة شرقاً من الطرف الشمالي لجبال رونزوري وبذلك يكون منقطعاً تمام الانقطاع ٠واما المفجرة فتستمر متجهةً الى الشمال على سمت وادي سملكي وهي في مدًى مديدٍ منها تضيق سمتها بتزاحم جبال رونزوري فيهـا ولكن عند انقضاء ذلك التزاحم تعود الى انفساحها عريضاً فيكون منها وادٍ واسعٌ وهو الوادي التي فيهِ بحيرة البرت وفي هذه المسافة من طولها يكون تخمها الشرقي عقبات العلاية التي ذكرناها

فيستخاض من كل ذلك ان عامة مياه السيل المنصبة من منحدرات جبال رونزوري والمياه المتحلبة من المثالج يلزم حتماً ان تفضي الى البحيرتين الكبيرتين الجنوبية والشمالية فتكون اذاً من عوامل امداد النيل ومدّه فالمجاري المنجلبة اليها من الحادورات الشرقية ترمي كلها الى بحيرة دويرو التي هي جزءٌ من بحيرة البرت والمجاري التي تتلقى مياه صببها من الحادورات الغربية وتترامى الى نهر سملكي توًّا وهو يرمي بها الى بحيرة البرت . وفيما يأتي خلاصة ما تبينتهُ من كيان الاقطار الواقعـة بحِفافي المفجرة على محاذاة الطريق التي يتوخاها الرائد فيما لو طلب العبور من بحيرة البرت ادورد الى بحيرة البرت . اما التخم الفاصل بين قسمي انكاولي وطورو فعلى بعض الكيلومترات عن بلدة خطوي شمالاً على خليج خطوي في الطرف الشمالي الشرقي لبحيرة البرت ادورد[1] . أقول اذا شرع الرائد في السير شمالاً يَرَى أديم الارض يذهب من البحيرة صُعُداً بالتدريج في طبقتين منهُ لها درجٌ[2] متناضدة تدرجها واسعٌ طينتهُ جيرية عليها علامات واضحة تعين ارتفاعات شاطئ البحيرة في ازمان مختلفة

---

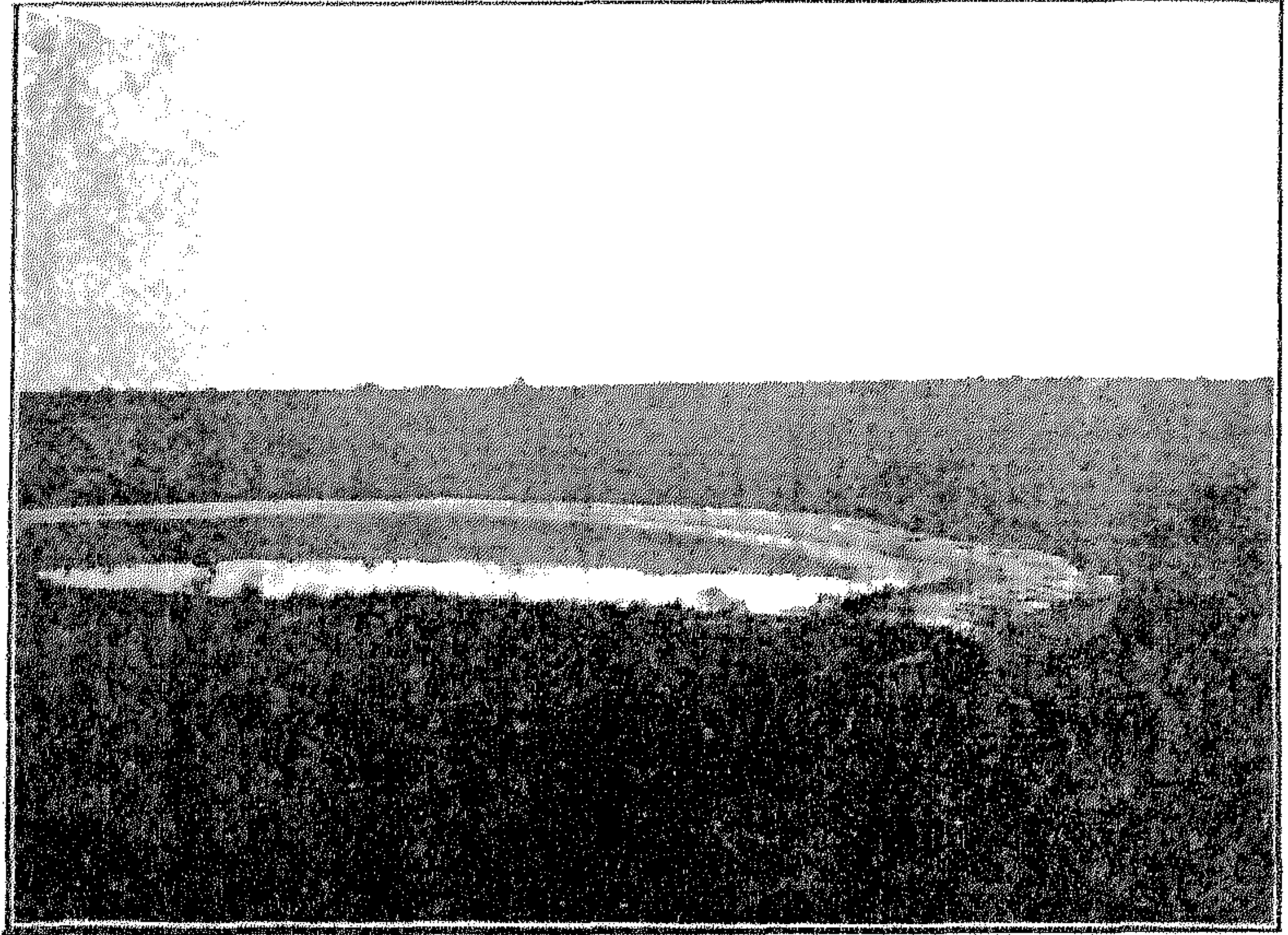
(١) راجع الفصل الرابع من هذا الكتاب « بحيرة البرت ادورد »
(٢) جمع درجة (المعرّب)

الشيء الذي يدل على ان مياهها كانت في تلك الازمان أعلى بكثير منها اليوم والدرجة العليا ارتفاعها عن سطح ماء البحيرة الحالي زهاء مائة متر والخليج الذي كانت تلك البحيرة تغمره يذهب في سمت الشمال مسافة ثلاثة كيلومترات عن خطوي ومن ثمَّ تبقى الارض على ارتفاعها وما هي بالحق هناك الاّ امتداد طنوف رونزوري الجنوبية ٠ والى الشرق يمر وادي دويرو مسامتةً حتى يتصل بهضاب كِشوَمبا وهي على بُعد سبعة عشر كيلومتراً عن تلك النقطة . والوادي غالبه مستوي القرار تنبت في بعض المواقع منهُ رواب وفنن تذهب في سمت الشمال والجنوب . وعلى ثمانية كيلومترات من خطوي شمالاً ينبو صعيد الارض المتاخم الوادي فينشأ منهُ رصيف من الهضاب في حضيضهنَّ يمرُّ التدرج المذكور فيحدث عن ذلك ايضاً صَفَف من الطنوف تجوز شرقاً بغرب ثم تحط تحديراً صابة الى وادي دويرو واعلم ان الطنوف المذكورة تذهب بالرائد في ارض متمادية صعوداً وهبوطاً تجعل المسير فيها شاقاً عنيفاً ٠ وما بين كل مرتفعين حضيض يتضمن بقمات وآجاماً اديمها طفالٌ مسترخٍ اسود اللون اذا اصابهُ وابل الغيث أصبح السلوك فيهِ مستصعباً واما إشراف الدَّرَج عن بطن الوادي فمائة وخمسون متراً ويُرى فيهِ وفي الروابي المجاورة خروق كثيرة كانت فوَّهات جبال النار وتعرف الفوهة التي في الجنوب الاقصى بفوهة كيندرو وهي مستديرة الشكل قطرها نُهازُ ثمانمائة متر وقرار مهواتها مائة متر وهو مستفيض شجراً والى ما ورائها غرباً فوهة اخرى ابعد منها عمقاً والفارق بين الفوهتين حرف رابية قليلة السمة[1] ٠ والى ما وراء هذه الفوهة على جانبها الغربي جرف هاءٍ قوامهُ صخر اجرد مموّيه يبلغ عدة مئين من الامتار والى الشمال عن هذا الجرف وجنوبيهِ قنانٌ قد انهارت منها فِلذةٌ[2]

---

(١) كثير من هذه الفوهات حياضها بحيرات و بعضها ما هو خلوٌ منها

(٢) القطعة من كل شيء (المعرّب)



بحيرة فُوَّهة بركان مِلْحة شرق زُوِنْزُورى بقسم طورو

أحدثت فيها اثراً بعيد الغور ربما كان ناشئاً عن هبوط في جانب القنة . و بعد ذلك بكيلومترين على سمت الشمال في المدرَّج المذكور وَهذَتان كانتا في القديم فوهتين بركانيتين ويقصيهما عن بعضها حجاب قائم من الحجر الصلد يكونُ شفيراً لثنيتهما اما شكلها فمخروط مقلوب قطرهُ بين ستمائة وسبعمائة متر وعمقهُ بين مائة ومائة وخمسين متراً جانباهما شديدا التحدير وربما كان التحدير في مواضع منهـا عمودياً وفي جوف احداهما بحيرة ماحة هي محفل الأوعال وصنوف الظباء يشرَف على عديد اسرابها من اعالي الجروف وهي تلعق ما لبسهُ اديم شاطئها من الملح . ومنظر هذه البطيحة منظر رهيب تستوحش عنهُ النفس

هذا والى شمالي البحيرة يتمادى المدرج بعض المسافة فيكون القطاع العرضي العام علاية بسيطة تخالف سمتها بين ثمانمائة والف متر وهي ترتفع عن الوادي بقدر مائة وخمسين متراً وتنتهي في مهوى عموديٍّ على مدرجٍ من تحتها . ومن ثمَّ ينفسح الوادي في سمت الشرق حتى يفضي الى العقبة القصوى . وعند الكيلومتر الثامن عشر تطمس معالم المدرج الاعلى فيمر الرائد ببحيرة فوَّهة كِيكيُرنجو في المـدرج الادنى . تقع هذه البحيرة في حضيض الروابي ويقرب ان يكون شكلها مستديراً ويبلغ قطرها الفاً وثلاثمائة متر ماؤها ينزع الى الملوحة وهو غير شرُوب وهي مغَاصٌ لفرس المـاء وساحلها مائل حدوراً ولا يكون منسوبها في معظم فورتها باكثر من متر وليس في مجاوراتها شيء من غابات القصب ولكن مناقع تطيف بها من كل الجهات سمتها زهاء اربعين متراً تدل على مبلغ ما تغمره المياه من البقاع والى الشمال علاية قصيرة فسيحة مزدحمة بالادغال تمتد من روابي الجبـال الى بقائع دويرو وتكون هذه البطيحة في تلك النقطة على كيلومترين فقط عن الجبال الغربية . ثم ان بحيرة كِيكيُرنجو مشهورة بكثرة أعاصيرها وزوابعها

وشدة عصفها فهي تقع اليها من الجبال المجاورة • وقبالة هذه البحيرة جبال تذهب علواً في السماء[١] وهي تكون في سمت الافق مضرَّسة مفلَّجة يخالها الناظر اليها فقرات غول عجيب الخلق وجد قبل التاريخ[٢]

عَوْدٌ ـ وتلزم الطريق سَنَنَها في الوجهة الشمالية عدة كيلومترات من تلك البقعة مسايرةً للروابي والهضاب التي تحدَّر الى الوادي تارةً في ميلٍ مديدوطوراً في مدرجات شبيهة بالمدرجات التي تقدم ذكرها • وعلى مراقي هذه المدرجات او اريافها ما لا يُحْصَى من الرواسب المائية وذلك في مرتفعاتٍ يختلف ارتفاعها عن بطن الوادي بين ثمانين ومائة متر وعلى تسعة وعشرين كيلومتراً عن خطوي هناك نهر ماكوكيا وهو نهر ينساب في مضيق حسن المنظر على رأس طرفهِ الغربي رابية شاهقة[٣] • والارض فيما وراء هذا النهر حَزْن تغشاهُ غابة ملتفة الاشجار كثيرتها تمتد في الوادي حتى تفضي الى ساحل بحيرة دويرو • وفيما بين الكيلومتر الواحد والاربعين والكيلومتر التاسع واربعين خور واسع تسيل اليهِ مياه نهرين وهما نُويِزَمبا ولوكوكو واقعة اليهِ من الهضاب[٤] والنهران يبعد احدهما عن الآخر بقدر ستة كيلومترات وفي بَرّ ما بينهما عدد عديد من الاخوار والاخاديد جافة المسايل ارضها كثيرة الدماليك والصرَّار • ذلك يدل على ان تلك الارض تغمرها السيول في إبانها . وعلى بعض الكيلومترات عن نهر لوكوكو شمالاً خور آخر اكثر اتساعاً تشب على جانبه الايمن روابٍ مخروطة وهو منفجَر نهر سيبو وهو نهر ماؤه أتيّ متحلّب من ذوب المثالج ومن تلك النقطة

---

(١) هذه الجبال هي طائفة من جبال رونزوري أطلق عليها بعضهم اسم رُويزَمبا تسميةً لها باسم بحيرة دويرو المسماة بهذا الاسم احياناً

(٢) قد أحصوا في هذه الجبال ثلاثة وثلاثين قنَّة

(٣) ذُكر هذا النهر وسائر الانهار الخارجة من روابي جبال رونزوري في فصل بحيرة البرت ادورد

(٤) يفيض هذا الخور بالرَذْهَة اي ماء الثلج

على سمت الشمال يكون الوادي غاية في الاستواء تقوم عليهِ الروابي توًّا وهي خلوٌ من مدرجات أو طنوف ويلزم الوادي استواءهُ حتى يلحق بنهر أُمبوكو الخارج من الجبال عند الكيلومتر الثامن والخمسين شاقاً أديم البسيط حتى يغوص في بحيرة دويرو وهو عمدة الانهار الصابة الى البحيرة من طرفها الغربي ينبعث من مثالج رونزوري كما انبعث من قبلهِ نهر اسيبو ولوكوكو ومنظر الطبيعة في وادي امبوكو ليس اجمل منهُ منظرٌ وابدع. ومنهُ على مد النظر عند الصفاء تبصر العين قنن مثالج رونزوري ولها منها مرأى تهواه النفس. واذا تباعدت عن النهر صوب الشمال رأيت المدرجات قد عاودت حضيض التلول فلازمتها الى الكيلومتر الثالث والستين وهناك نهر هيما. والنهر يجري في وادٍ عميق القرار فسيح الاقطار وهو كغيره من الانهار التي ذكرناها يمر مشرقاً منظرته تجوز الحد خشونة وغلظة تحيق بها من الغرب والشمال الغربي جبال شامخة رفيعة تنبت منها مسنَّماتٌ طامحاتٌ في السماء والى جانبها علاية يكون ارتفاعها مائة وخمسين متراً وزودَها عن وادي دويرو والى شمالي تلك البقعة تصير الجبال حادة التحدير ويُشاهَد هناك سطرٌ من الشعاب او الطنوف بارزات منها منصباتٍ الى البسيط الذي تحتها وبين كل طنف منها وآخر منابت ادغال ملتفة كثيفة تكون في ايام الامطار آجاماً ونقائع تجعل السير يومئذٍ مستصعباً. وبعد مبارحة خطوي بستة وستين كيلومتراً بلغنا الطرف الشمالي لبحيرة دويرو وبعد ذلك بكيلومترات ممدودة على سمت الشمال جبل يذهب في الارض شمالَ جنوبَ قليل الارتفاع في مبداءِهِ لكنه يتعالى شيئاً فشيئاً على التوالي تطمهُ الغابات والادغال المتلفة الشجر ويظلُّ يتزايد في تعاليهِ على هذه الصورة حتى يُسامت العلاية المتاخمة لفسيح الارض الأنشوطي المتقدم ذكرهُ من طرفهِ الشمالي. وفي هذه النقطة ينقطع الوادي الشرقي فيكون البر علاية تقوم في اماكن من بسيطها مجاميع روابٍ

متمازلاتٍ بعضهنّ عن بعض[١] . وعند الكيلومتر السابع والستين تذهب الطريق صُعداً الى هضاب الرونزوري فيكون سلوكها شاقاً بين تصعيدٍ وتصويب وعند الكيلومتر التاسع والستين تقطع نهر رويمي وهو في تلك النقطة يمر من مضيق سعته سبعون متراً فقط وسَمْكه اي ارتفاعه خمسة وثلاثون متراً وشفيره هائر يقرب من العمودي . اقول وكان اجتياز النهر على الحمالين مفرط الصعوبة[٢] . ومن ثم تكون الطريق ممتدة في شِعب بين هضاب تعلوها الادغال وهي اي الطريق تتعالى رُويداً حتى تلحق بأعلى الهضبات البرانية واما قمم تلك الهضبات فمستديرة الشكل مرداء لا شجر فيها لكنها مغطاة بالعشب . والى الشرق هضبة فردة على شكل مخروط تعرف عند امم تلك الاقطار بهضبة كياتورا تجوز بقية الهضاب المجاورة لها ارتفاعاً . وعند الكيلومتر الرابع والثمانين مركز كيسايا العسكري يكون ارتفاع اديمه عن سطح البحر الملح بقدر الف وخمسمائة متر ومنه يشرف الرائي على سائر الهضاب الصغرى فيراها ذاهبةً في الارض على سمت الشرق في شكل منحدراتٍ جَرداء عاطلة من الشجر وليس فيها من المرتفعات والمنخفضات شيء يذكر أو يستوقف الابصار وفي سمت الغرب والشمال الغربي جبال رونزوري راسية كالطَوْد المنيف والحجاز الحصين وفي عرضها اخوار مخددة في الارض تخديداً فسيحاً[٣] والى شمالي كيسايا في التسعة الكيلومترات التي تلي تلك النقطة ثلاثة نهيرات او جداول[٤] تسيل في وجهة

(١) فضاء الطرف الشمالي الشرقي لبحيرة دويرو مشاجر متواصلة بغير انقطاع حتى حرجة بُودنجا على المهواة المجاورة لبحيرة البرت .

(٢) يفيض نهر رويمي الى بحيرة دويرو من طرفها الشرقي

(٣) سمّى المسيو موازل هذه الجبال في خريطته بجبال كيريبي وجعل ارتفاعها عن سطح البحر الملح من اربعة الى خمسة آلاف متر

(٤) وهي يارتًا و بلاريبا وامسنجي .

شرقية رامية الى نهر دورا الممد لنهر رويمي . وبعد اجتياز نهر أُمسنجي وهو اوغل تلك النهيرات في سمت الشمال ترى البلاد تغير نباتها في سليقته اي طبيعته فيكون حينئذٍ رَتَماً (١) كثيفاً تقوم من بينهِ شجرات متفارزة نابتة في اديمهِ (٢) بعد ان كنت ترى الروابي مغطاة بالاعشاب المديدة في مدى منها بعيد . هذا وفيها بين الكيلومتر السابع والتسعين والكيلومتر المائة نهران صغيران قطعناهما وهما إيغاشا وملُّوما لكل منهما وادٍ بعيد الغور ينساب ماؤهُ فيهِ وبينهما جبل شامخ الارتفاع مفرط الوعورة (٣)

اما سعة منفرج الوادي الواحد فربما تمايزت من بين اربعمائة وخمسمائة متر وهو يستفيض شجراً والصخور الفاصلة جرداء معطَّلة الاَّ ما تراه فيها من دغلٍ وشوك والى الشمال نهر ملُّوما علاية يصل منسوبها الى الفي متر علواً عن سطح البحر الملح والآكام هناك جرداء تكثر فيها نواتئ صوانية وبَسَلْتية وهناك تعاود الارض إنباتها فيكون الدخن في سفح تلك الآكام على كثرة وشجر الموز على قلَّة واذا ما دانيت العلاية في هذه النقطة منها وهي موقع حصن بُرتَل تزداد الاودية انفساحاً ومنحدراتها تبسيطاً والآكام تفريقاً وبعزقة واعتزالاً واذا قطعت في مسيرك جدولين جدول نكتَورا وجدول نِيَمْهناوي وهما جدولان يمدان نهر أُمبنجو على الكيلومتر المائة والعاشر تصير في طريق واسع يشق في سيره بلدة كابارولي كرسي ملك طوروحتى يلحق بالحصن وهو مركز ذلك القسم والطريق يوشك ان يكون مستقيماً

---

(١) دقيق النبت (المعرب)

(٢) لهذه الجبال شابئة هي كونها خالية من الاشجار فهي من هذا القبيل لا نسبة بينها وبين جبال حملايا . وقمم الثلج فيها لا تقاس البتة بقمم تلك الجبال فهي بالنسبة قليلة زهيدة

(٣) ينجلب هذان النهران في سيرهما الى نهر دورا

وهو يذهب في سمت الشمال ومتوسط سعتهِ اثنا عشر متراً ويحف بهِ سياجاً لهُ من كلا جانبيهِ نبات القصب في شكل غريب يكون ارتفاعهُ ثلاثة امتار[١] . والمزارع تنفسح في كلا شطّيهِ الى مدى بعيد . اما عماد الحاصلات في تلك البقاع فالحُمّص والدخن والبطاطا والتبغ وهي في قطر منها فسيح غاصة بشجر الموز وتقع في كلتا طرتيهِ خصاص واكواخ كثيرة العدد واذا صار الطريق على مقربةٍ من الاكمة القائم عليهِ قصر الملك يجتاز بين دَوْحٍ من شجر الكافور وهناك ذات اليُسار كنيسة المرسلين اللاتين وهي بقعة لها سياج واسعة الاقطار معمورة بالابنية الانيقة وعلى رتاجها اي بابها العمومي صليب من خشب مستطيل والى ما بعد ذلك بقليل معمور كنيسة المرسلين الانجليز وفيه ايضاً مبانٍ يلوح انها على وضع ملائم واما قصر الملك فمقام في راس اكمة مستديرة يبلغ ارتفاعها زهاء ثمانين متراً على ميسرة الطريق[٢] جوانبها مشحونة بشجر الموز مستديراً بذلك المعمور . وما تجاوزنا هذه الاكمة حتى رأينا الطريق يتحدر بنا تحديراً شاقاً الى ان هبطنا وادي نهر امْبَنْجو وما عتّمنا بعد ان جزنا هذا النهر على معبرٍ من خشب[٣] حتى انثنى الطريق بتصميد عنيف الى قة اكمة اخرى وهي موقع حصن بُرتل على مائة واربعة عشر كيلومتراً من خطوي والنقطة هناك صالحة لارتفاعها عن البر ووفرة مجاري الصرف[٤] . والبرّ في ظاهرها براح عرَاء غير دَغِل ولا أغيَن اذاً يلزم تلك النقطة ان تكون

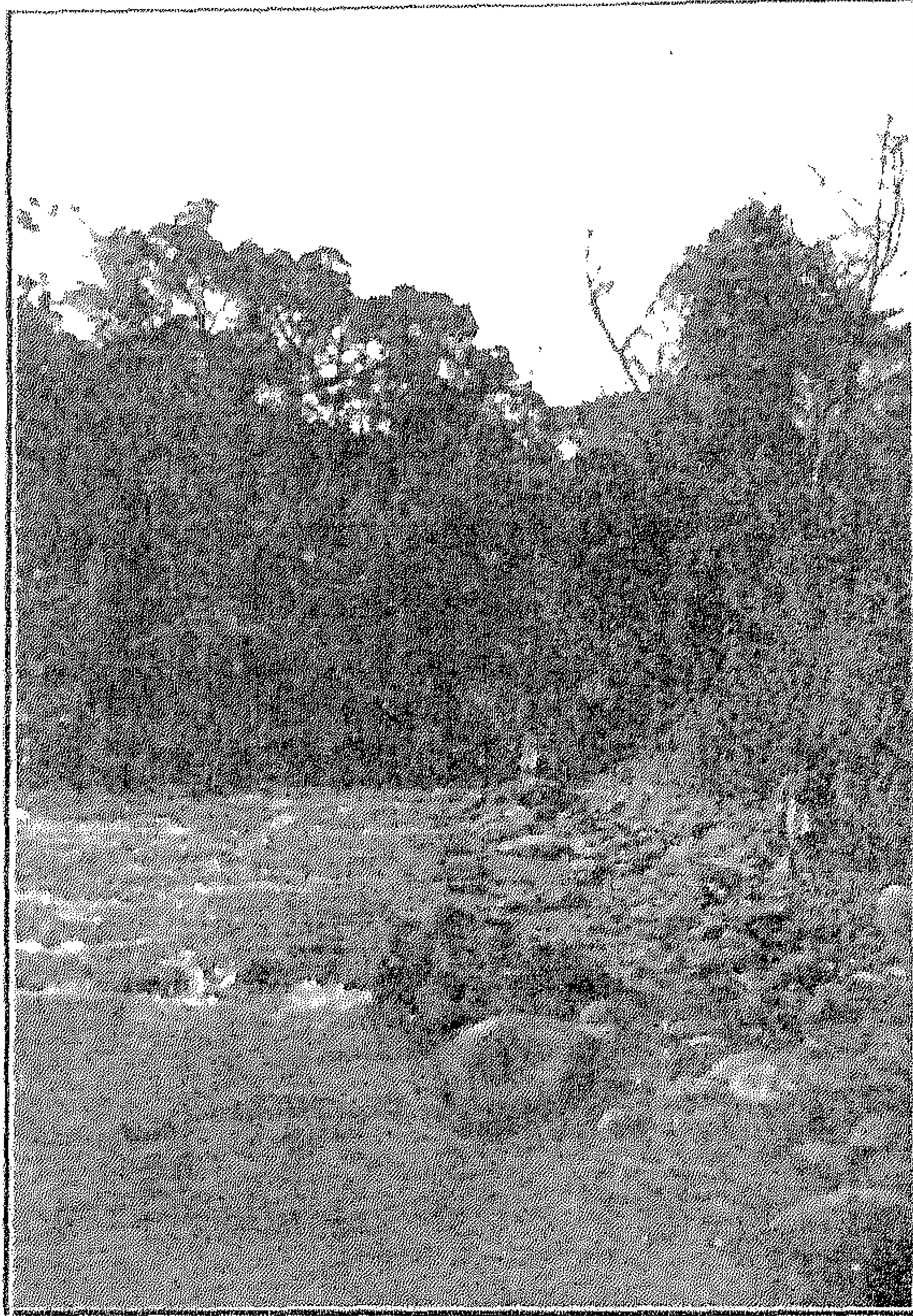
---

(١) هذا القصب بديع الخلق فانهُ يتلافّ ويتشابك معاً خطوطاً منحرفة في وِراب فكأنهُ موضوع للدلالة على حاشيتي الطريق فقط اذ لا سياجات عرضية في الاملاك المجاورة

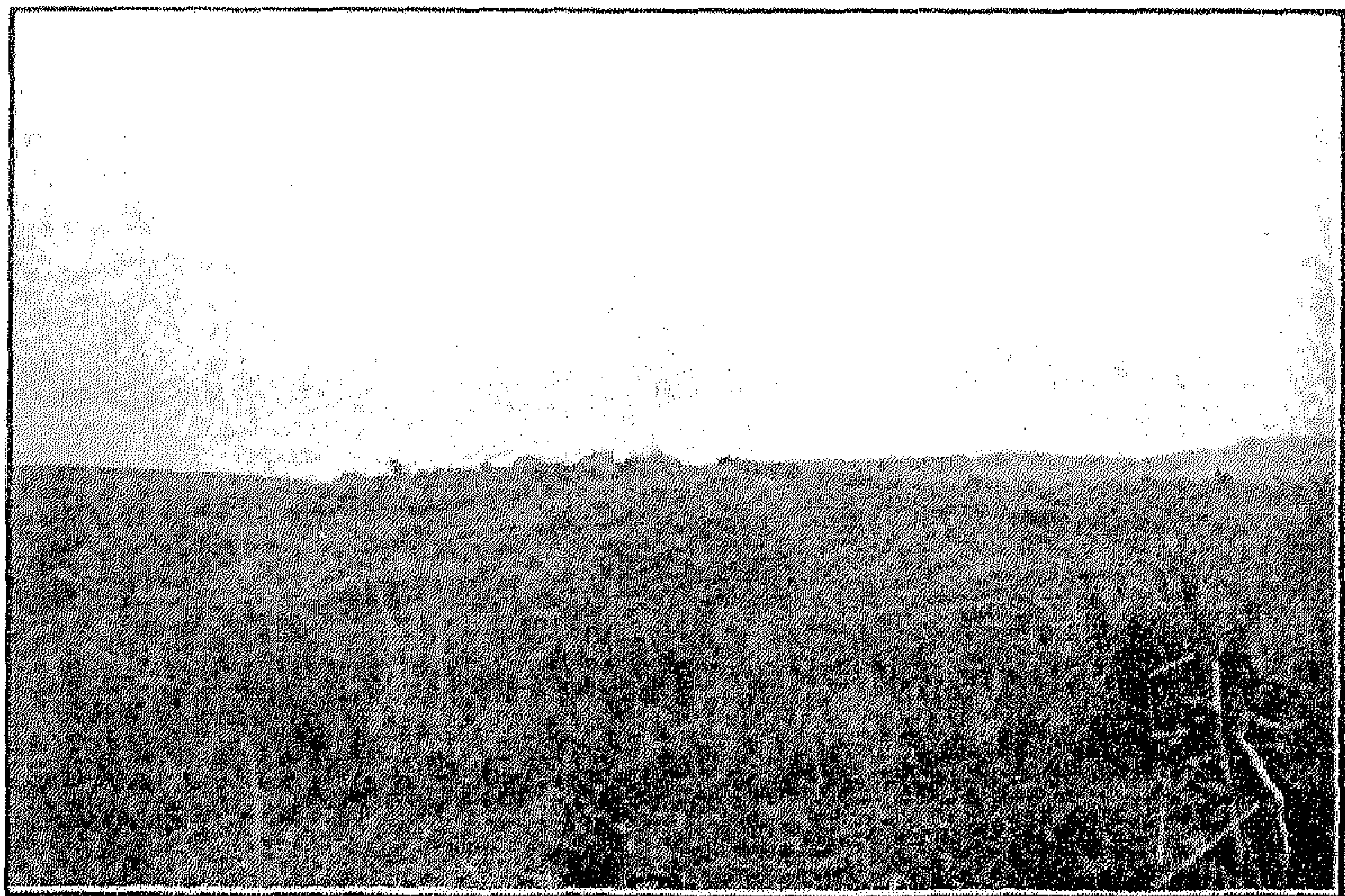
(٢) ملك طورو باهيمائي اسمهُ كاساجمّا ويبلغ من العمر خمساً واربعين سنة

(٣) هذا النهر هو سيد الانهار الرامية الى بحيرة دويرو وهو يصب اليها من طرفها الشرقي على مقربة من الجون الشمالي الشرقي

(٤) يرتفع حصن بُرتل عن سطح البحر الملح زهاء الف وخمسمائة متر



نهر رُوِيِي فى مسيره من جبال رُوِنزُورى الى البحيرة بقسم طورو



حِصْن بُرْتَلْ بمركز قسم طورو

موافقة للابدان لا وبيلة . ومحيط الحصن مستطيل يحيق بهِ خندق بعيد القاع بهِ يقيم رجال الحكومة الانجليزية وفيه توجد المخازن ومكاتب الادارة . ونقطة الشرطة تقع الى غربي الحصن في منحدر الاكمة . ويلي هذه النقطة السوق الاهلية . ثم ان في الحصن المذكور ثلاثة مامورين من رجال الانكليز اثنين منهما ملكيين وواحد صف ضابط والحامية هناك مائة وثمانون شرطياً وللقوم في تلك النقطة مستشفى لكن ليس لذلك المستشفى من طبيب يصف الدواء ولا مساعدٍ يُرجع اليهِ في الاستشفاء فاذا عظُم الداء وكان لا مندوحة من استدعاء الطبيب فلا دواء يستطب بهِ قبل انقضاء خمسة او ستة ايام وربما كان الانتظار في ابان الامطار امرّ من ذلك بكثير[1] وهواء الحصن معتدل حرارته لا تجوز الحد في الجوّ[2] ولكنه مُشْرَب رطوبةً ولما كان موقع الحصن بجانب الجبال كانت العواصف الشديدة[3] لا تنفك عن تلك البقعة . ثم ان مَشاهد جبال رونزوري من الحصن مشاهد تذهب في عرض الفضاء امداً بعيداً وبعض مثالجها يجلو للعين منظرهُ وذلك في ابان صفاء الجَلَد ولا سيما في الإصباح والإمساء واقرب عدوةٍ من هذه الجبال اليه هي ما كانت على احد عشر كيلو متراً منه لكن يندرج بينهما هضبات متتاليات مخروطة تتضمن اجوافها فوهاتٍ لبراكين شتى خمدت نارها وبطل ثوارها واما منحدرات هذه الجبال الغربية فمستفيضة مَشَاجر ملتفة الشجر كثيفتها تبلغ فيها الى الفي متر ارتفاعاً عن سطح البحر لكن المنحدرات الشرقية جرداء مرداء وفي اقطارها امم الباكُنجا وهم قوم من سكان الآكام والمرابي يوجد منهم ايضاً على قلةٍ في

---

(١) تكثر الحمى الاجمية هناك في منتهى فصل الامطار

(٢) بلغت الحرارة هناك في شهر مارس سنة ١٩٠٣ عند الظهيرة (الهاجرة) ٧٤ درجة بالفهرنهيت و ٢٤ درجة بالسنتيجراد ولم تتعدَّ هذه المنزلة

(٣) اجف الجفاف يكون في شهري يناير وفبراير ولكن قلما يخلو يوم من وابل المطر

خطويّ وكازنجا وعلى الجانب الغربي امم البُوَمبا [١] والى شمالي الحصن وشرقيه والشمال الغربي منه بسيط مرتفع من الارض يذهب في عنان السماء تنفجر فيهِ اودية وتنشز فيه نُدَب ونوَاهض تتخلّل تواصله . — هذا وقبل تبيين الطريق من حصن بُرْتل الى بحيرة البرت على طريق أنيورو لا بأس من ان آتي بالايجاز على ذكر الاقطار الواقعة غربي المحلة والبلاد التي على الطرف الشمالي لجبال رونزوري لحد المنحدر الاكبر الى وادي سملكي [٢] . والارض غربي الحصن مزارع كثيرة على مدى عدة كيلومترات عن المحلة ثم هي تنقطع ويتلوها سلسلة من روابٍ يفصلها بعضها عن بعض اودية غير متسعة المنفرج لكنها بعيدة الاغوار يكون مرتقاها ومنحدرها وَعِرَين شاقين واديم الارض هناك تكسوهُ غشاوة ربما كانت حمماً طفحت من بركان وهي منضدة طبقات بعضها فوق بعض في شكل غريب يبلغ سمكها عدة سنتيمترات وربما شُبّهت في خلقتها بحجر الشيسْت [٣] (ولعلَّهُ الجص) . وعلى كثير من ظهور هذه الروابي ناتئات قليلة الارتفاع منهــا ما هو مخروط ومنها ما هو هرَم يكاد يكون تام الهرمية . وفي بطونها عدد عديد من الفوهات البركانية . وعلى خمسة كيلومترات من الحصن فوهة في جوفها بحيرة محيطها آكام مستديرة الرؤس طولها كيلومتر ونصف وسعتها سبعمائة متر والبر الى غربيها يتعالى حتى يلحق بشفير مهاوي العقبة التي هي الحد الشرقي لمفجرة الالبرتين وتشرف على وادي سملكي والبقعة حافية المشاهد شنيعتها لا شجر فيها البتة وهي ارض هامدة تنفجر في بعض المواقع منها اودية بعيدة القرار تذهب في الارض شرقاً بغربٍ وعلى مسيرة ثمانية كيلومترات من الحصن مغرباً على سمتهِ بلغنا قمــة تلك الروابي وهي

(١) هم قوم يشبهون القرَدة حكاه السر هري جُنْستن والمستر جروجن

(٢) ما سيأتي من البيان في هذا الصدد ينطبق من جملة اوجه على طبيعة البلاد المحيطة بمهاوي ووهاد العقبة الشرقية في عامة وادي بحيرة البرت

(٣) لعلهُ حجر الطلق . واعلم ان عامة الطبقات الارضية في ذلك الصقع تحدُّرها حادّ

ترتفع عن سطح البحر قريب الف وخمسمائة وسبعين متراً تُشرِف على ثنايا جبال رنزوري الشمالية والوادي دُونها . ولهذه جميعاً مرأى بديع معجب للعين ويُدرك البصر في الافق الاقصى أشباح جبال الكنغو وهي تخوم ذلك الوادي . ثم أدرنا النظر صوب الشمال فتبين لنا من سمتهِ بريق لُجَيني يُخيِّل من خلاله موقع بحيرة البرت

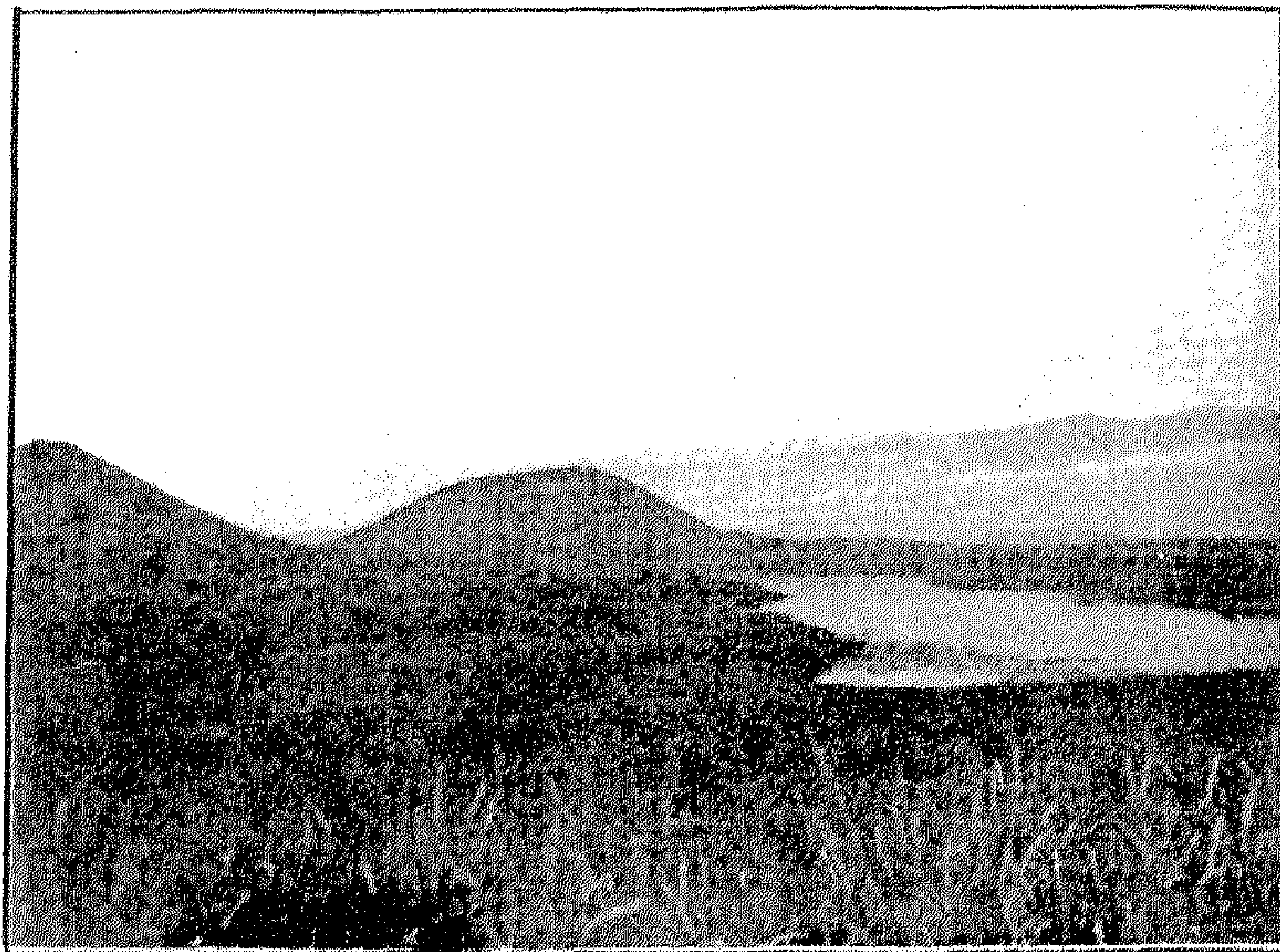
قلتُ ان التحدير في وادي سملكي شاق لوعورة الوادي وقد قلَّت على الحمالين هناك مسالك الهبوط من العلاية وأسهل تلك المسالك مسلك يؤدي من حصن بُرتل الى بلدة امبوجا (على تخوم الكنغو) وله على نهر سملكي معدية عليها يجتازه الركبان . وللنزول الى الوادي ثلاثة مهابط أعسرها مسلكاً يكون ارتفاعهُ اربعمائة وخمسين متراً يسير بين اكمتين مخروطتين منحدراً في عرض أنفٍ مستطيل وعرٍ قائم على جانب مضيق بعيد الغور ينساب فيهِ جدول ينهوي ماؤهُ على صخور شديدة الحدور فتكون من ذلك مساقط لا عدَّ لها وشلالات . وعلى جانبي هذا المسلك توشك الروابي ان تكون عمودية . وفي حضيض المهبط جرُف ناشئ عن هبوط الارض في دور الانهيار قد تراكم فيهِ تلولاً واكواماً فاندفعت في منفرج الوادي الى امدٍ بعيد

والحُدور في تلك النقطة تكون مسافته زهاء مائة متر وهو صَبَب تدريجي والتحدير فيه مستسهل . وفي اسفل المنحدر علاية بسيطة غاصة بالكلاء المديد وعلى ستة عشر كيلومتراً من الحصن نهر واشا وهو نهر يخرج من الطرة الشمالية لجبال رونزوري وتجري مياهه في سمت الشمال الغربي حتى يقترن بنهر نِيَبْرُوجو الرامي الى نهر سملكي (١) . ونهر واشا المذكور صغير يسيل في

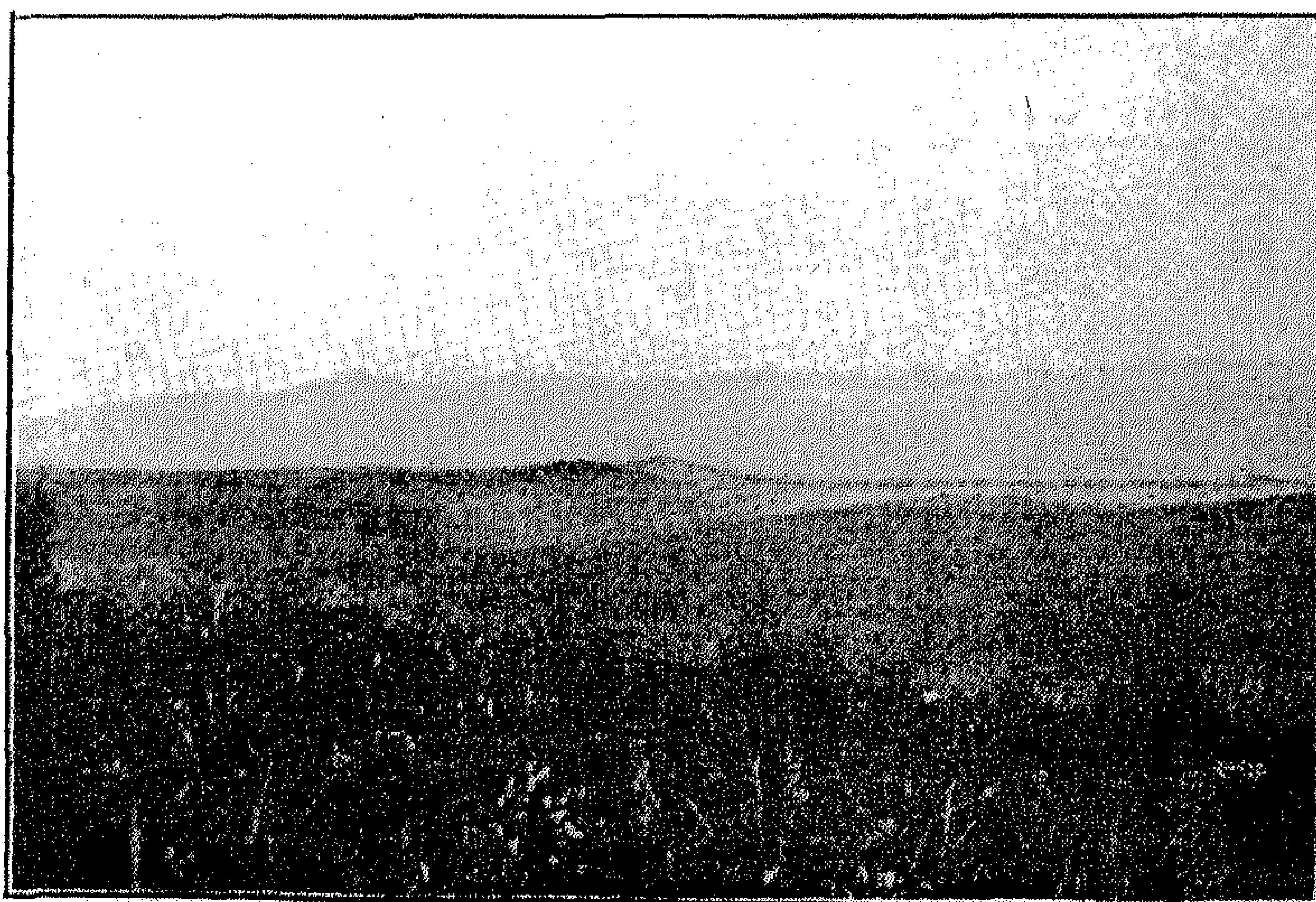
---

(١) غير ثابت ان نهر واشا يقترن بنهر نِيَبْروجو او هو يفيض الى بطاح البحيرة وهي مرُوت الارض اي مناقع واسعة الاقطار حتى يتعذر الاجتياز في مواضع كثيرة منها

وادٍ قريب الغور سعة النهر ثلاثة امتار ونصف ولقد سبرنا غوره في شهر مارس سنة ١٩٠٣ فكان حينئذٍ سبعين سنتيمتراً وسرعة جريته ثمانية وعشرين سنتيمتراً مربعاً في الثانية . وفي ابان فيضه وطفاح مائهِ يكون ارتفاع مدّهِ مترين والعلاية على جانبهِ الغربي اكثر نهوضاً وهي مكسوة احراجاً وغابات شجرها قريب الساق وعلى جنبيها اودية غامضة وعلى واحدٍ وعشرين كيلومتراً عن الحصن المذكور نهر نيبّروجو وهو يفضُل نهر واشا بكثير . يسيل في وادٍ عميق فسيح الاقطار تكون سعته عند المجاز خمسمائة متر وعلوه تسعين متراً وهو مستفيض شجراً ماتفاً وفي اديم هذه المفجرة ينساب النهر بتعاريجهِ ومطاويه ويكون سعة عقيقهِ في الصيف اثنين وعشرين متراً ولقد اختُبر غورهُ في مارس من سنة ١٩٠٣ فلم يكن سوى سنتيمتراتٍ قليلة ومجراه برك متواصلة ماؤها سلسبيلٌ قاعهُ كثير الرمال . ثم ان المعالم الظاهرة على ضفتيهِ تشير الى ان مياههُ ترتفع في ابان فيضهِ بقدر اربعة امتار فيكون بذلك عميق الجرية كبير الجرم . اما منشأهُ فمن الآفاق الشمالية لجبال رونزوري ومذهبهُ في الغالب سمت الشمال . وعندما يصير الى الكيلومتر الثلاثين عن مخرجهِ يقترن بنهر سملكي على مسافة خمسة واربعين كيلومتراً من مرماه في بحيرة البرت . وبُعَيد هذا النهر تكون وجهة الطريق شمالية تقريباً وهو يذهب مع العلاية وهي في مستديم ارتفاعها ومستفيض شجرها . وتقطعهُ في مسيرهِ اخوار عديدة بعيدة القاع تصير الى وادي النهر جوانبها هائرة الانحدار والعلاية في الواقع احط آناف الرونزوري المتحدرة شمالاً الى وادي البحيرة . ويندرج في فساحات مابين تلك الاخوار نبواتٌ ناشزة لا يتجاوز عرض النبوَة الواحدة منها عشرين متراً واما متوسط سعة الخور فبين اربعمائة وخمسمائة متر وارتفاع الجروف بين خمسين وثمانين متراً وترى تلك الاخوار قد خدّدت ولا تزال تخدد في ارض العلاية من عند سفحها فتتباعد بذلك عن الوادي ووجه العلاية



بحيرة قُوَّهة بالقرب مِن حِصن بُزتَل بقسم طورد



جبال رونزوري بقسم طورد

طبقة من الحمم البركانية والطَفَال وحصى الصوان وتحت تلك الطبقة طبقة الصخور البلورية[١] .ثم يجتاز الراحل فرعاً صغيراً من فروع نهر نيَبْروجو يقال لهُ جدول كيكيبا وهو جدول مسيلهُ خور بعيد القاع وَعر المنحدر وهناك يلتوي الطريق التواءً حاداً في سمت الغرب هابطاً هبوطاً متوالياً الى مبدأ المنحدر الاخير الى وادي سملكي[٢] وهذه الشقَّة من الطريق عقبة صعبة المراس ويكون فرق المنسوب بين رؤوس الهضاب وحضيض الوادي زهاء مائتين وخمسين متراً ويقع الطريق حينئذٍ في سنامٍ من صُخر قليل السمة قائم بين واديين بعيدي القرار ثم يتعرّج بطيات وتلافيف مندرجة بين صخور مستعلية وتكون على جناحيهِ جروف هوية ومنظر الوادي هنـاك مديد جداً . واذا تطلَّعت الى الجنوب في حد المهواة تُستجلى لك جبال رونزوري لوعورتها متسامتة بعضها وراءَ بعضٍ على قدر مد البصر وقبالة ذلك توًّا يمر على وادي سملكي ذاهباً في مهب الغرب على سمته . ويُعلم مجرى نهر سملكي من اقصاب معوّجة الصَفَف ثابتة على ضفتيهِ وعلى جانب الوادي الشرقي بقاع من الآجام والمناقع متعاقبة فيهِ وترى خضرة تلك المناقع بازاء سمرة البسيط الذي الى جانبها وهو معْشاب لوَّحتهُ الحرارة فسفعت اديمه[٣] وعلى مسافة من تلك النقطة جبال الكنغو وهي التخم الفاصل وعلى سمت الشمال ترى المستنقعات الحافَّة بضفير بحيرة البرت الجنوبي وذلك من خلال الغمام الراسي فوقها . ثم يبقى التحدير في الشقة المتقدم ذكرها منصباً الى منحط الوادي . ومما تقدم تعلم ان مسقط العلاية التي عليها حصن بُرتَل الى حضيض وادي سملكي

---

(١) هذه العلاية (الثقفة) الطويلة عبارة عن مدرَّج ذي اربع بسايط مختلفة التباعد بعضها عن بعض وهي تبتدئ من هضاب الرونزوري نزولاً الى وادي بحيرة البرت

(٢) يبلغ طول الهبوط بين نهر واشا وهذا المنحدر سبعين متراً

(٣) يعني بذلك غيرت لونهُ (المعرب)

يبلغ نحواً من ثمانمائة وسبعين متراً في مسافة ثلاثة وعشرين كيلومتراً [١] .

هذا ولكي نأتي على وصف الاقطار الواقعة الى الشمال عن حصن بُرتل ينبغي الشروع بالمسير من محلة ذلك الحصن فيكون عامة الطريق على مسامتة وادي المفجرة والبلاد هناك تضاهي البلاد الواقعة في الجنوب عن المحلة المذكورة بمعنى انها علاية تقوم فيها هضاب تحتها اودية في بطونها غدران جمّة مستنقعة وهي تمرُّ صوب الشمال والشرق الى أمدٍ على قدر مدّ البصر . وقلّ من هذا الهضاب ما يكون كثير الارتفاع فعامتها نَبوات مستديرة ناتئة والبر يتعالى شيئاً فشيئاً من الشرق الى الغرب حتى يلحق بحرف العقبة والارض في مدى من الحصن نباتها كثير ولكنهُ ازعر متفرق البقاع . و بعض الاودية بعضها يستفيض اعشاباً مديدة يكون من بينها البردي الملتف يتخلل منابتها ادغال وهذه الاقطار هي جزء من منطقة مَطَارح نهر امبنجو ومحافل مائهِ ومن ورائك جبال رونزوري جلية للعين ولها ستة او سبعة رؤوس تكسوها الثلوج وعلى مائة وخمسة وعشرين كيلومتراً من خطوي [٢] يقع السائر الى اطراف غابة بودنجا الكبرى ومن تلك المحلة على مائة وثلاثة وثلاثين كيلومتراً عنها ترى الفرع الشمالي الاقصى لنهر امبنجو المعروف ايضاً بنهر مانوبو [٣] يجري

---

(١) المنحدر الاول وهو طولها يكون اربعمائة وخمسين متراً والثاني ماراً بازاء شناخ الرونزوري يكون مائة وسبعين متراً والثالث وهو آخرها الى حد الوادي مائتين وخمسين متراً ويكون مجموع هذه المنحدرات ثمانمائة وسبعين متراً . ومتى اوغلتَ شمالاً وخرجت الى بحيرة البرت هناك يكون الارتفاع اقل فهو لا يتعدى ستمائة متر

(٢) ان الابعاد الكيلومترية قد اطّردت متابعةً فيما يأتي من بحيرة البرت ادورد حتى بحيرة البرت

(٣) هذا النهر متناقص كثيراً عن الفرع الجنوبي عند حصن بُرتل وهو يبدأ بالقرب من بلدة انسوروررو وهي حصن ويقرتري في جانب عين امسيسي ووجهة

في وادٍ منفرجهِ خمسون متراً. ولما أبعدنا ستة كيلومترات اخرى اتينا الى هضاب السَّيل والى الشمال عن تلك الهضاب يندفع ماء النقيل من علو فيصب جميعه في نهر امسيسي الرامي الى بحيرة البرت وعند الكيلومتر المائة والثاني والاربعين هناك مبدأ غابة بودنجا وهي تكون في مسامتة خط المفجرة الى مسافة عدة كيلومترات شمالاً والغابة من الطريق غربيهُ وهي محشوكة شجراً انيقاً صالحاً للبناء يضاهي الغابة الكبرى الى الغرب عن وادي سملكي وفرةً ونضارةً وتقارِن غابة بودوما في كونها مرابض لجماعات الفيلة تنحدر الى وادي البحيرة سائرة في مضايق الجروف ثم تصعّد راجعة الى الغابة (١) .

أقول ولما كان الصيد محتكراً في عامة مقاطعة طوروكان رمي الافيال بالرصاص غير مباح البته فصار من ذلك ان اناسي الاقطار الواقعة على سواحل بحيرة دويرو وامم الارض المجاورة لتلك الغابات قد هاجروا مواقعهم ومفترشاتهم اذ امتنع عليهم وقاية منابت الموز هناك من عيث الفيلة فيها (٢) وبما ان الموز هو عماد اقواتهم قد جلب هذا الامر عليهم ضرراً اكبر ولذلك كان من المقرر الثابت ان تنتقص ايرادات ذلك الاقليم. والفيلة في عامة مستعمرة اوغندا محتفظ بها احتفاظاً كلياً حتى لا يخشى البتة ان يعتريها انتقاص يعتد به فهي تجول سراحاً في اديم تلك الارض اسراباً كثيرة العدد فان أثر قوائمها اي اخفافها في كافة تلك الانحاء في حين ان يندر معاينتها . وطبيعة الارض

جريه في الغالب مهب الجنوب الشرقي وهو في مسيله الاعلى بطيحة واسعة الاقطار ماؤها عكر وقعرها رَدَغة غليظة وقد استُعلم مقدار منطلقه اي ايراده في الثامن من شهر مارس سنة ١٩٠٣ فكان ٣٣٧ ر٠ في الثانية

(١) في عامة هذه الانحاء وفي الانحاء المجاورة لبحيرة البرت تعفّر الفيلة ابدانها بالتراب الاحمر الحمي الموجود هناك فتصبح عجيبة المنظر اذ يكون لونها حينئذٍ اغبر كاون كميت الخيل

(٢) اعتمدت في ذلك على ما قاله عمال الانكليز الملكيون في ذلك الاقليم

فيما وراء ذلك بعشرين كيلومتراً أو نحوها لا تختلف في عامتها عما قبلها فالارض متمادية ذات كسور بين هبوط وصعود فهي اودية وجبال متعاقبات بالانتظام الدقيق وفي سمت الشرق القصي سطور من الهضاب وجبال كاجورارا تستطيل في الفضاء منفردة بنفسها ويكون ارتفاعها نحواً من خمسمائة متر وهي على ستة عشر او سبعة عشر كيلومتراً عن شرقي الشعاب الصخرية المحيطة بوادي البحيرة وفي مدى تلك الفترة جاوزنا اربعة جداول كلها ترمي الى نهر امسيسي[1] عمدتها جدول أُزوَى عند الكيلومتر المائة والحادي والستين وهو يمر بالصوب الشمالي في وادٍ فجوته ثلاثمائة متر وسعة مسيلهِ اليوم ستون متراً لا يتجاوزها . جروفة قائمة ارتفاع مسقطها متر واحد[2] مدُّهُ اي عالية مائهِ متران وخمسة وعشرون سنتيمتراً وفي اعتقادي ان جمهور مائهِ في ابان فيضه عظيم المقدار — هذا وعند الكيلومتر المائة والرابع والسبعين ادركنا نهر امسيسي[3] وهو نهر يفصل بين مقاطعة طورو وبلاد اوغندا وهو اعظم الانهار الرامية الى بحيرة البرت ما خلا نهر فكتوريا . اما وادي مسيلهِ فواسع بعيد القرار غاص بملتف الشجر وتكون الحروف اليمنى اي الشمالية في قيامها الى علاية ارتفاعها عن قاع النهر بقدر مائتي متر مدرَّجةً بدرجتين وهي مستفيضة شجراً وأصل تكوينها هو انفجار احدى المهاوي الكبرى التي تقطع العلاية من شرق الى غرب[4] . اما المرتفع الى الشمال عن

---

(١) هذه الجداول هي جدولا يُمزاكا ونكتيويا وهما يمران على صخورٍ وجدول يكويزي ثم جدول أزوَى ومسيلهُ آجام ومستنقعات

(٢) استُقصي النهر في التاسع من شهر مارس سنة ١٩٠٣ فاذا سعته مائة وستة امتار وغوره خمسة وثلاثون سنتيمتراً وسرعة جريتهِ ثمانون سنتيمتراً في الثانية ومنطلقهُ في الثانية متر مكعب وثمانية وستون سنتيمتراً

(٣) قد ذكرنا هذا النهر في الكلام على بحيرة البرت

(٤) قد اشتهر وادي امسيسي بشدة عاصفاتهِ الصاعقة تكاد تقع كلَّ يوم

نهر امسيسي فيذهب في الارض مسافة بعيدة وهو محشوك ادغالاً وتوجد الزروع في مبدإِهِ على قلة وبعد ذلك تنقلب طبيعة الارض فتصبح مشاهدها موحشة الى حد الافراط فهي خراب يباب لا عمارة فيها ولا اهل ولكن الهضاب تكون اعلى واسمى وذلك يذهب بشيء من غلاظة تلك المشاهد . اما الاودية فبعيدة الاغوار وفي عامتها مناقع اديمها رَدَغة فسيحة طينتها حمأَة منتنة فيهِ سامق البردي وشجر القصب ويسيل في عرض هذه المناقع جداول وانهار متطوحة فيها وجراثيم النمل اي قراهُ في هذه الارض تختلف شكلاً فيها عما في غيرها فهي اشبه بنبات الفطر عظيم الجرم سوقها قائمة عمودية وهي مدورة متوسط قطر تدويرها يكون ثلاثة وخمسين سنتيمتراً ورؤسها مستديرة ايضاً لكنها منفرشة منتشرة كالعُرهون (وهو الفطر من الكمأة) وربما وجدت هذه الرؤس لاتقاء زواعب السيول اما ارتفاعها فلا يكاد ينيّف على متر واحد

ثم جاوزنا مَجَاليكا عند الكيلومتر المائة والثامن والتسعين فاذا بالارض قد كثر شجرها وانبتت شيئاً من الموز والدّخن والهضاب قد تعالت وتفجرت عدة انهار صابة من الشرق مفرغة في سمت الغرب عمادها نهران اُمبُني وكامو بو وهما يحتلبان الى نهر اُنجوزي [1] . ثم تباعدنا في طريقةٍ من الاغوار والانشاز بين هبوط وصعود فاستوينا الى مرتفع آخر عند الكيلومتر المائتين والرابع عشر فوجدناه غاصاً بالحراج ومنهُ تحدَّرنا في صَبَب بعيد المدى جائزين في بشوا حتى لحقنا بنهر اُنجوزي [2] الفاصل بين مقاطعات اغندا ومقاطعات

وتتبع في مضيّها مجرى النيل يتلوها في الغالب وابل المطر وربما صحبهُ البرَد واما وطأة ذلك على الركبان فمزعجة الى الغاية لا يحيط بها وصف

(١) نهر اُمبني معدوم الجرية في ايام الجفاف وتبلغ سعة واديه خمسين متراً ويكون ارتفاعه سبعة عشر متراً ومقدار زيادة مدّهِ مترين . اما نهر كامو بو فاصغر منه

(٢) بشوا بقعة في الغابة حرّها لافح كثيرة السديم والابخرة والبعوض يغشاها

أينور و وذلك عند الكيلومتر المائتين والثامن عشر وهو يقع في وادٍ فجوتهُ ثلاثة كيلومترات ارضهُ خشنة غليظة كثيرة الصخور والادغال والاعشاب [١] والنهر كبير يتعذر اجتيازه في ابان مدّهِ لا بل يستصعب عبوره في ايام الجفاف والغيض ايضاً لان تياره يجاوز الحدّ في شدة الجرية وعلى الجانب الايمن من الوادي عند المجاز هضبتان غربيتهما قنَّة مخروطة الخِلقة وتعرف عند تلك الامم بهضبة كبرارا وشرقيتها قنةٌ مستوية بسيطة يقال لها عندهم هضبة إيزُنجا وكلتا الهَضْبتين عن حضيض وادي أنجوزي زهاء مائة واربعين متراً ويلصقهما الواحدة بالاخرى جرف رفيع قائم بينهما يرمي الى مشاهد قصيَّة فيُشرَف من حوَاليه على اقطار شجراء تكاد تكون مسطوحةً يخرقها في فترات منها نواتئ و بثور ناشزة عن سطحها لكننا عندما هبطنا الى تلك الاقطار وجدنا الارض غير ما هيأته تلك المشاهد فالبرذو كسور انشازاً فوهاداً متعاقبات على نسق مملّ مكرب . وليس في تلك الاقطار سعة كيلومتر واحد مربع تكون ارضهُ تامة الاستواء والانسطاح و بُعَيد الجرف المتقدم ذكره يكون اديم مهواة المفجرة الشرقية مستوياً بسيطاً لا كُسُور فيه الا ما احدثتهُ الانهار من الاخاديد في انصبابها الى وادي بحيرة البرت . وعند صفو الجو تتجلى للعين الهضاب الراسية الى الجانب الأقصى من تلك البحيرة . ثم سرنا نحواً من عشرين كيلومتراً فلم نرَ في الصقع اختلافاً في الخلقة [٢] . وليس هذا المعمور من مقاطعة انيورو بشيء من الاختلاف عن مقاطعه أغندا والاصقاع الشمالية من مقاطعة طورو الاّ بكونهِ محشوكاً بالشجر الملتف وكذا الروابي القائمة فوق راس الملاية عامتها غابات تلحق بقنانها . وعند الكيلومتر

---

(١) راجع صفة هذا النهر في فصل بحيرة البرت من هذا الكتاب

(٢) في اجتيابنا تلك الشقة اجتزنا نهر كِسْواجا وهو شعبة من نهر انجوزي لا شان لهُ في ايام الجفاف

المائتين والثامن والثلاثين ينسلّ الطريق بين هضبتين فيكون منهما فجرة بين جبلين صغيرين ويقال للهضبة اليمنى كيكُندا وللهضبة اليسرى بيجوجو كلتاهما تشاهدان عن بُعْدٍ شاسع وهما للارض في تلك الانحاء تخوم بينة ويسيل في تلك الفجرة نهر يعرف بنهر نيكاباري ويكون منفرج الوادى ستمائة متر وهو مستفيض اشجاراً كثيفة [1] . والى شمالي الهضبتين تكثر القنان المنعزلة وصغار الجبال . فلقد اشرفنا من قمة جرفٍ عند الكيلومتر المائتين والرابع والاربعين على اربع عشرة قنة منفردة في الاوّل . وهاتان الهضبتان القاحلتان تذهبان متجافيتي الطرفين شمالاً وجنوباً توشكان ان تكونا في سيرهما متوازيتين تكون غربيتهما عن طرف المهواة الشرقية زهاء ثلاثة أو اربعة كيلومترات واما الشرقية فستة عشر كيلومتراً . وليس من هذه الهضاب ما يكون متواصلاً فما هي الاّ قنان متفارزة ناشزة عن سطح المهاد [2] وبينها مسافات . واذا تطلعت في الفضاء في وجهة الشرق القصيّ الى ما وراء الهضاب الشرقية على بُعد بعيد ترى مرتفعات مزالق السَيْل فيما بين ينبوعي النيل . والارض المندرجة بين مسطور تلك الهضاب الصغيرة عَلَايةٌ ذات اشجار تخترقها الاودية العديدة البعيدة الاغوار من الشرق الى الغرب تتفجر اليها مياه الصَبَب فتسيل فيها مندفعة الى بحيرة البرت وربما احتوت هذه الاودية خوامش اي مسايل ومجاري صغيرة يقوم في قراراتها متشابك القصب مستطيل الساق

---

(١) يبلغ ارتفاع هضبة كيكندا مائتين وخمسين متراً قنتها رفيعة اما هضبة بيجوجو فمستديرة واما نهر نياكباري فقد استوفينا الكلام عليهِ في فصل بحيرة البرت من هذا الكتاب

(٢) أشراف الهضاب الغربية اربع . هضبة كيدوما ولها قنانٍ ثمانٍ وهضبة روبنجا كِيكَنْيا وكيكُندا . واما الشرقية . فخمس يكوبا وكِككجراما ولوكنيا وماكابارا وجملة هضاب اخرى حجرية يعرف بهضبة إمزاجمكورو

فينسلُّ ماؤها على مَهَلٍ نافذاً من خلال الاقصاب ولا يكاد يكون لهُ جرية وربما كانت هذه المقاصب في ابان الفيض تصد طافح المياه المتدفقة فيها[١] وسعة هذه المسايل تختلف بين ثلاثة وستة امتار واما غورها في ابان الجفاف فمن خمسين الى ستين متراً وجمَّة مائها اي معظم زيادته في ايام الفيض من متر ونصف الى مترين وهي قايلة ميل القاع . ولما جاوزنا الكيلومتر المائتين والسابع والخمسين بلغنا سهل شيكوبي وهو سهلٌ متقارب الاقطار غير فسيح ولم نكد نقطع نهر كيكيما حتى كانت الجروف والاخاديد اي النجاد والاغوار قد استعادت مجراها كما كانت من قبل وكل غور منها يقرب ان يكون اجمة بطيئة السيلة تاخذ مياهها في الغرب الى غابات قصباء ومنابت البردي[٢] حتى تفضي الى البحيرة ويندرج بين كل مجريين من هذه المجاري علاية مكسوَّة بالادغال والاشجار الملتفة وتنقطع هذه الاشجار عند الطرق الشمالي لنهر وَمْبابيا ويتلوه سَهْل غزير المرعى . واذا ادركت الكيلومتر المائتين والثالث والسبعين فهناك محلة هو يماوهي اليوم مركز أُنيورو وكانت محلة مازندي قبلها مركزاً فهُجرت لوخامتها وتأثير اقليمها على الابدان . واذا اخذت الى غربي المحلة بمقدار كيلومترين بلغت قصر سلطان أنيورو وهو يشتمل على طائفةٍ من كبار الخصاص سقوفها مغماة بالمَدَر وله سياج من شامخ القصب[٣] وعلى بعد من القصر هناك محلة المرسلين الانجليز ومُصَلَّاهم

(١) عمدة هذه المجاري اربعة باليونا وجيمنجا وكاجارادندو وكيكيتونا وهي في ابان الفيض يكون سعة مسايلها عظيمة حتى يبلغ عرض كيكيتونا مايتين وخمسة وثمانين متراً

(٢) هذه الخوامش ست امطاريا وكابروجولا وكَيرادِ ندي وميجو وكريكا وومبابيا وهي بعد مسيرها في سمت الغرب تجتمع ويكون منها مجرًى واحد يخترق المهواة ويعرف بنهر واهمبا

(٣) ملك أنيورو يسمى اندريا وهو في طور الشبيبة تلوح على وجهه امارت الفطنة والزكاء . ابوه السلطان كاباريجا الطائر الصيت وهو مثل سائر الرؤوس في مقاطعة

والى ما يلي ذلك يكون السوق والمخازن ومكتب التلغراف [١] واما مضارب العمال الانجليز فعلى رأس اكمةٍ مدورة الشكل ربما كانت عن القصر في سمت الشرق على كيلومتر ونصف واذا سرت مشرقاً ايضاً وقطعت وادياً عظيم الاتساع تفضي الى الارباض العسكرية وحاميتها فرقة من اجناد أُغندا . هذا ويبلغ ارتفاع محلة هويما عن سطح البحر الفاً ومائتين وسبعين متراً وهي بقدر ستمائة متر عن مستوى بحيرة البرت وألزق المواضع بهذه البحيرة بلدة كيبيرو على ستة عشر كيلومتراً من المحلة شرقاً . وعند صفاء الجو ورواق السماء فالجبال النابتة بازاء الطرف الاقصى للبحيرة بيّنة ظاهرة وهواء هويما حار رطب وخاصتها خلو اقليمها عن البعوض ذلك امر مستغرب لان الأَدغال بلزق المحلة لا تزال غاية في الكثافة والالتفاف ولم ينكشف منها الا الشيء النزر . اقول والمحلة لا تزال في عهد الحداثة ومباني الحكومة تباشر اليوم فيها على التوالي واما اركان الحرب فهم بتلك المحلة مأمور الجباية من الانجليز ثم طبيب ثم ضابط وهو قائد الجُند وبجانب المحلة الشمالي نُهَيْر تترامى مياههُ الى الوادي ويعرف بنهر لوكاجوكا والى ما وراء هذا النهير سطر من الآكام اشرف قنتها قنتان احداهما مسطوحة الذروة وتعرف بقمة باليجوكو والاخرى مسنّمة وتعرف بقمة إمبالو وفي شِعب ما بين القنتين مسيل من الماء يقال له نهر وَمبابيا يأخذ في سمت الجنوب الغربي [٢] وكان قصر السلطان كاباريجا ومنازلهُ تقع في عرض

اوغندا يرجع الى قوم البهائمية المار ذكرهم وقد تدين بالنصرانية على المذهب البروتستنتي

(١) يوجد حبل التلغراف بين هويما وعنتبي وهو بجانب سكة العربيات الواقعة بين هاتين المحلتين ويوجد حبل التلفون بين هويما وبتيابو على ضفير بحيرة البرت

(٢) هذا النهر غير نهر وَمبابيا الذي يلاقيه الرائد الى جنوبي هويما . واعلم ان نهري لوكاجوكا ووَمبابيا يجتمعان بعد جريهما الى الغرب فيكون من مجتمعهما نهر واهمبا الذي سبق ذكرهُ في الكلام على بحيرة البرت.

الجانب الجنوبي لهذه الآكام[1] ثم ان سكة المركبات من هويما الى بتيابو على بحيرة البرت تذهب مغرّبة وتكانف الاكمة المعروفة باكمة باليجوكو وترى عن يسارك مُصَلَّى للمرسلين الكاثوليك قائماً على رأس نهر لوكاجوكا وتضاعيف هويما وسواحلها كثيرة العمران بالزروع وانحاء ذلك القطر آهلة بالخلق الكثير منازلهم وخصاصهم منتظمة مهندمة لها ميازيب تنحط من علوٍ الى سفل الى حد الارض ولهم في مقدماتها اروقة . واذا جاوزت تلك الناحية حتى تكون على مايتين وخمسة وسبعين كيلومتراً عن خطوي فهناك معبر نهر لوكاجوكا[2] وهو نهر سعة مسيله نحو خمسة واربعين متراً وعمقه ثمانية امتار لكنهُ يضيق في ايام الغيض حتى تصير سعته الى اثنى عشر متراً ويصبح غورهُ بعضَ متر فقط والى ما بعد ذلك بكيلومتر واحد يشق نهر وَمْبابيا محجة الطريق وهو دون نهر لوكاجوكا غير ان لكليهما فورة فيضٍ تبلغ مترين وربما امتنع بذلك قطعهما في ايام مدهما ويمر الطريق اليوم بجانب الآكام وعلى محاذاتها متباعداً عنهـا بقدر كيلومتر ونصف الى كيلومترين وفي قبلة الجنوب صعيد عريض من الارض مستوي الاقطار محشوك بالادغال . وتلقاءَ الكيلومتر المائتين والثالث والثمانين نهر هويما مسيلهُ هناك طفيف لانه على مقربة من مخرجه لكنهُ في طريقهِ تجلب اليهِ مياه اخوار شتى ومسايل الاودية وربما بلغ جرمه عند مهويّه من رأس العقبة مبلغاً عظيماً . والبر الى ما وراء النهر متكسّر الاديم له اخوار عظيمة قد احدثت فيهِ اخاديد عميقة . والارض هناك مكرُمة للنبات فهو فيها على كثرة وفيها ايضاً

---

(١) أُنزل السلطان كاباريجا عن سرير الملك عقيب الثورة المهدوية السودانية وهو اليوم مع السلطان إموَنْباصاحب اوغندا الذي أخذ اسيراً وأرسل الى جزائر سيشلّس

(٢) كرْهاً للتشويش والاختلاط قد اوردنا المسافات الكيلومترية على التوالي حتى بحيرة البرت

كثير من الاشجار المعجبة للعين[1] ومن تلك الاشجار طائفة اوراقها كبيرة منتشرة على مثل اذن الفيل الافريقي كذلك يوجد فيها مستطرف النخل على كثرة وهو في العيان أشبه شيء بنخل الديار المصرية غير انهُ اطول منهُ وادقهُ ساقاً في غير نسبةٍ وهو متفحل لا يجتنى بهِ ثمر . وعند الكيلومتر المائتين والتاسع والعشرين تنقطع سلاسل الآكام فتغيب ولا تبصر الاّ شُعَبها مادة بطولها الى الشمال[2] على مدى قصير . ثم اذا بلغت الكيلومتر المائتين والسادس والتسعين فهناك نهر يقال لهُ نهر كاجُرّاء يقطع الطريق وهو في البائِن فرع من نهر وكّي الواقع فيما يلي تلك النقطة في صوب الشمال . وواديه منبطح المسيل تبلغ سعة ما بين ضفتيهِ ثلاثمائة وثمانين متراً وفي جانبهِ سطر من الروابي لها مشاجر واحراج يكون ارتفاع تلك الروابي عن ذلك المسيل بقدر سبعين متراً وفي ايام الجفاف يضيق المسيل الى الدرجة القصوى ويكون مجراهُ مستفيضاً شجراً كثير البردي والجَنْبَة . والطريق الى غربي النهر يتسنَّم الآكام المستوية الذرى المتقدم ذكرها فيذهب بتلافيفه وتماريجه في اودية وجروف تغشى بطونها الاشجار والادغال الملتفة — وعند مجيئنا الى الكيلومتر الثلاثمائة والتاسع اقبلنا على نهر وكّي وهو نهر يختلف بالوضع اختلافاً كلياً عن الانهار التي وقفنا عليها في علاية أنيورو . ووجه الخلاف ان مغايض هذه الانهار ومسايلها مناقع منبطحة ومآجل بطيئة الجرية واما نهر وكّي فماؤه صافٍ نقي براق يتفجر على صخور ويكون من انزلاقهِ جنادل خفيفة وتكون سعة مسيلهِ عند نقطة تلاقيه بالطريق ستين متراً ومقدار غورهِ عشرة امتار

---

(١) اي طيّبة كريمة (المعرب)

(١) عامة هذه الاقطار تقع على التخوم الجنوبية لغابة بودنجا

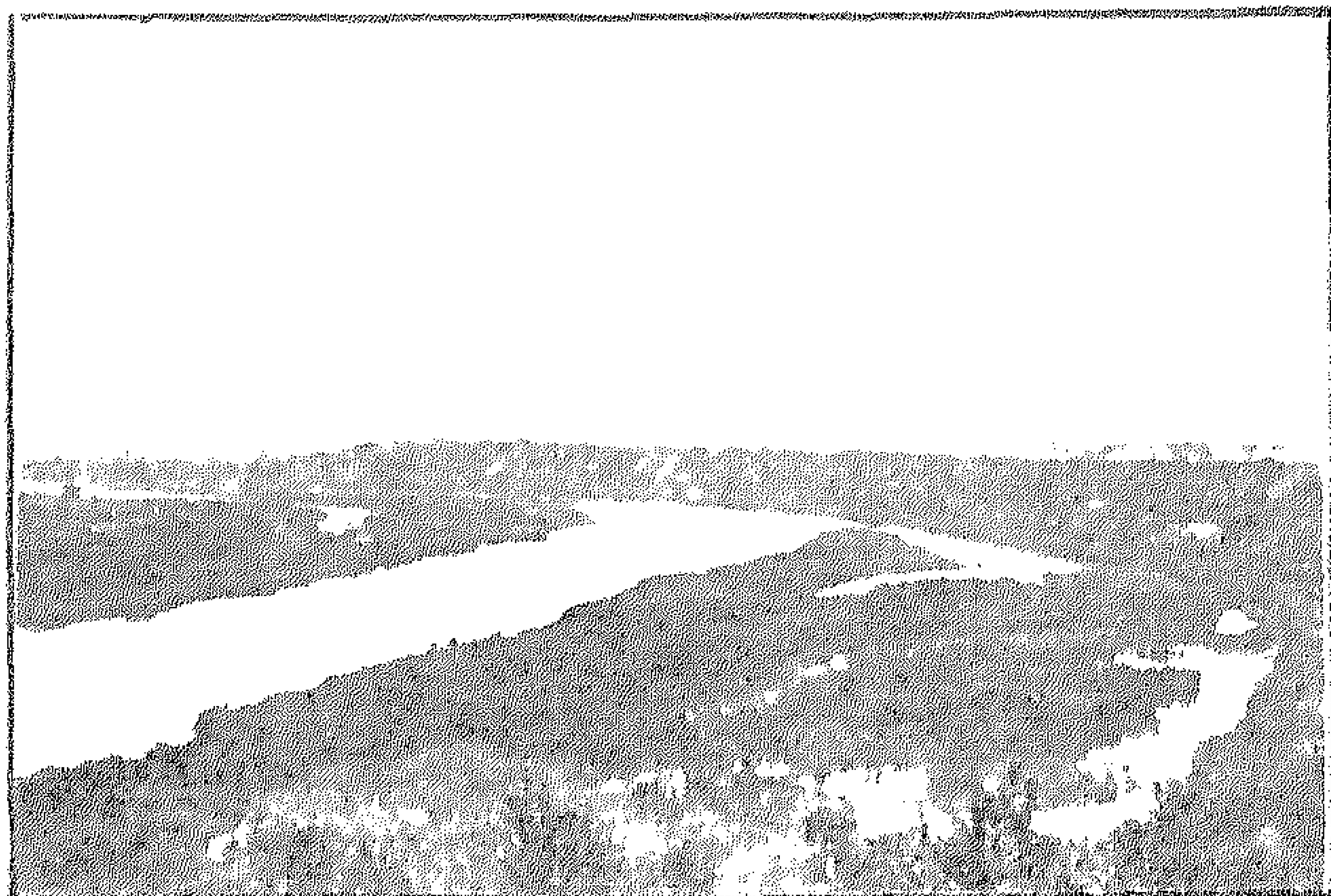
(٢) لم يقع لي ان اقف على كنية هذه الاكام ولذلك عرفتها باكام هويما وهي جزء من الجروف الكبرى الوسطى في بلاد انيورو

وساحلهُ غابة مجتمعة الاشجار وهو يضيق مسيلاً في ايام القيظ والجفاف فيصير الى ثلاثة امتار ويصير غورهُ الى ثمانين سنتيمتراً وتكون سرعة جريتهِ عظيمة [١] . واذا جاوزت النهر تنعطف الطريق الى الشمال آخذةً في ارض متكسرة الاديم ويكون النهر ذات اليسار سائراً في مضيق يبلغ ارتفاعهُ مائة متر بجمامها. اقول ومشهد مسقطهِ في مهويّ الجُرُف مشهد عجيب مستظرف وفي اقطارهِ مشتبك الاشجار والادغال واديم الارض فيها قد خددته الاخوار تخديداً. وتصير المهواة الى حضيض الوادي عمودية كأنها السد القائم وماء النهر يترامى متلاطماً في جوانبها مزبداً فتراهُ خطوطاً بيضاً في هامة الصخور السود . واذا انت صرت الى الكيلومتر الثلاثمائة والثاني عشر فهناك رأس المهواة الشرقية الكبرى [٢] تشرف منهُ على مشاهد تحار بها النواظر . ترى بحيرة البرت بطيحة واسعة المغيض وهي من رأس المهواة على عدة مئين من الامتار. ثم ان بين هذه البحيرة وبحيرتي البرت ادورد وفكتوريا تبايناً كلياً فان هاتين البحيرتين يحف بهما صعيد من الارض عريض الاقطار قليل الارتفاع تليهِ بسائط ذات سعةٍ تقع فيما بينهُ وبين شفير مائهما . واما بحيرة البرت فشكلها مستطيل ضيق السعة عامتهُ محصور بين جبال وجروف تكتنفهُ من كلا الجانبين . ساحلها قليل الفِساحة وفي مواضع منها لا ساحل لها البتة لان الجروف فيها تقوم تواً من الماء ناشزة على حافتها ومنظر البحيرة من راس المهواة جميل تهواه النفس ومقدار مسافة المنحدر اليها زهاء اربعمائة متر وسلوك الطريق شاق متعب لكنهُ يُعَد سَهْلاً اذا قسناه بطريق واي سملكي .

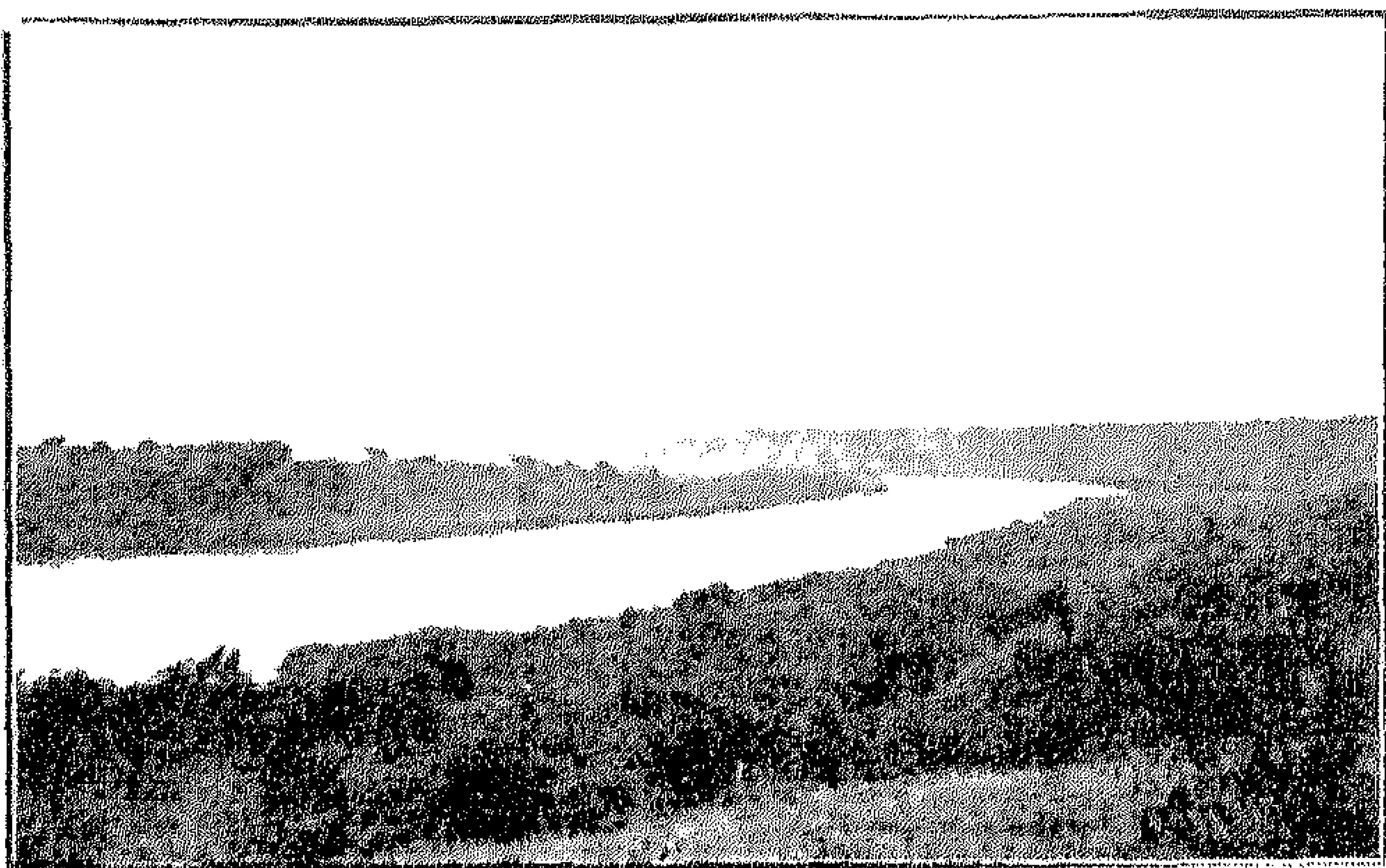
---

(١) قد ذكرت هذا النهر باكثر اسهاب في فصل بحيرة البرت

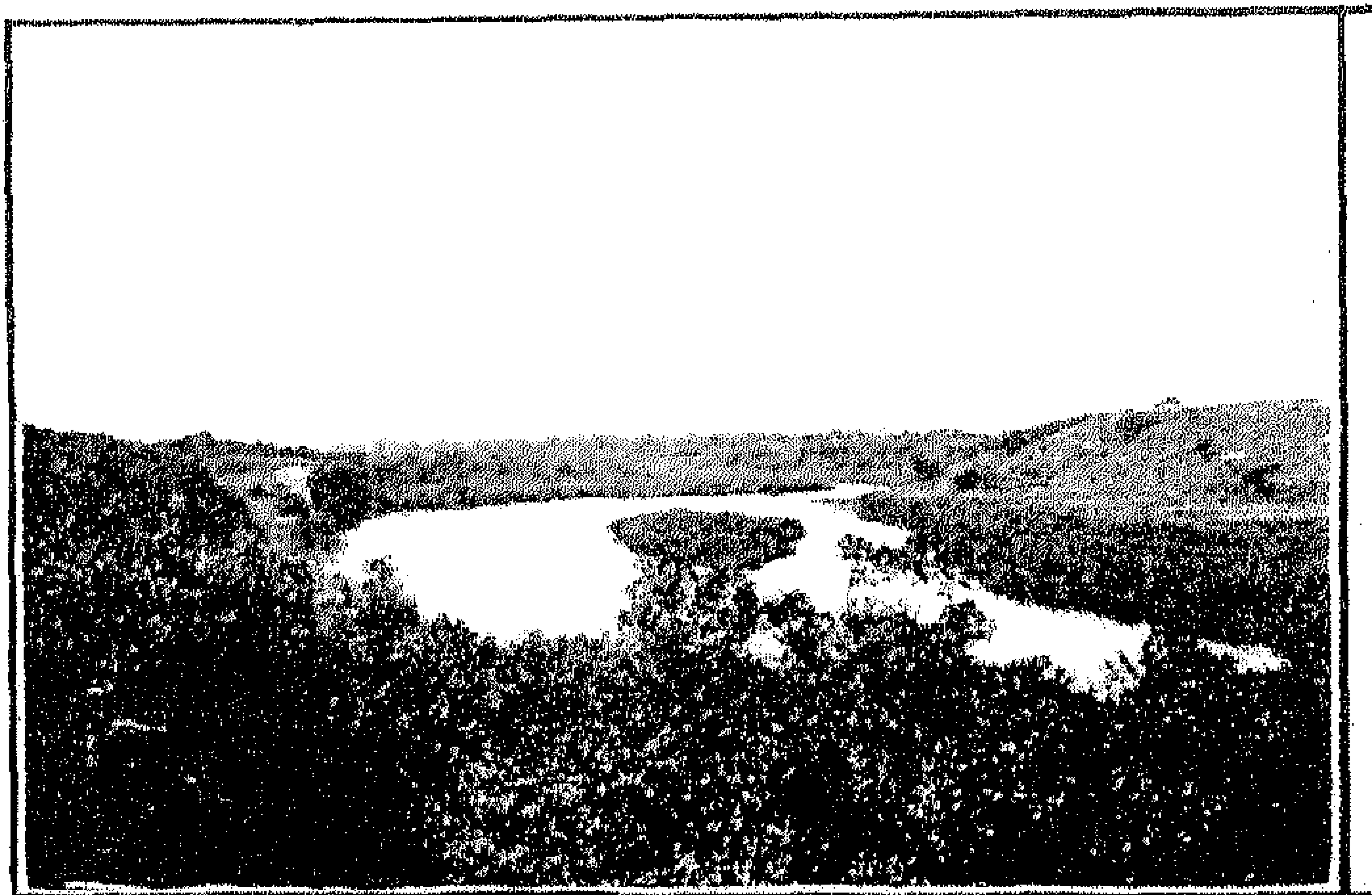
(٢) ان في ذروة الجُرُف منزلاً للاستراحة ومكتباً لوكيل التلفون المؤدي الى هويما وهناك منتهى الخط لكن الطريق يمر على سَنَنهِ حتى يتصل بالرصيف الواقع على البحيرة



نهر سمليكي من خلفه عند مخرجه



نهر سمليكي بمقاطعة الكنغو الحرة



نهر سمليكي بمقاطعة الكنغو الحرة

والارض من اسفل الجرف الى ضفير البحيرة يكون ميلها خفيفاً . واذا كنت عن خطوي على ثلاثمائة وسبعة عشر متراً فانت في بتيابو الواقعة على بحيرة البرت

الفصل السادس

في نهر سملكي

هو المخرج الفرد لبحيرة البرت ادورد يوم جموم مائها وطَفَافهِ . يأخذ منها مادته على مقربة من طرفها الشمالي الغربي في ثماني دقائق وثلاثين ثانية من العرض الجنوبي . وتكون ناحية سيره في محاذاة مفجرة الوادي الالبرتي وهو يزاحم الجانب الغربي من جبال رونزوري ويجري نحواً من مائتين وستين كيلومتراً ويفضي الى بحيرة البرت في طرفها الجنوبي في درجة واحدة وتسع دقائق من العرض الشمالي فيكون على هذه الصورة واصلاً بين هاتين البحيرتين فلهُ اذاً شأن اكبر في نظام الايراد محبوك الاطراف الذي يتكون منه البحر الابيض — هذا ولقد تطلَّع هذا النهر خلقٌ من الرواد كثير وعبروه في جملة نقط من مسيله ولكن المعلوم انه لم يتهيأ لواحد من اهل أوربا الى اليوم أن يتتبعهُ مقيماً على ساحلهِ مواصلة لان في ذلك ما لا يدرك من العناء والمشقة ألاَ انه في مسافة مائة وعشرين كيلومتراً من طولهِ يكون جريهُ في وادٍ غامض بعيد القاع قليل السعة مُطْبَقٌ جانبهُ الواحد بجروفٍ هائرةٍ تنشأ في جبال رونزوري والآخر بجروف أخرى مثلها تنبثق من جبال الكنفو . وفي خلال تلك المسافة ينهبط النهر قرابةَ مائتين واربعة وخمسين متراً فتتحلب اليه فيوض جمَّةٌ من الجبال المجاورة له . ومما يزيد عناء الرائد ونَصَبَهُ في هذه الشقة أن بطن الوادي مستفيض اشجاراً تذهب فيه صعُداً الى ثلاثة آلاف متر ارتفاعاً عن سطح البحر الملح فأديم الارض هناك محشوك بمختلف النبات

حتى لا يكاد يسلك لوفرته واشتباكه وهو يكثر في تلك الانحاء وله بهاء وجلال . وفي خلال هذه الغابة على كلا شقي الوادي تترامى مياه الجداول الممدة للنهر ساقطة اليه من اخوار وعرة الجوانب . اقول والامطار فيما تحت قنن الثلج في جبال رونزوري تكون غاية في الغزارة لا تكاد تنقطع طول السنة وأما الاقليم لحارٌ مفرط البخارات الى الحد الاقصى . هذا وفي مسيله في ذلك المضيق شلالات وابلغني اهل تلك الارض ان فيه ايضاً مساقط عظيمة المقدار والناس لا يعلمون من امره فيما بين مغيضه في الغابة شمالي حصن امبيني وموقع منبعثه من ذلك المضيق الى الوادي الوسيع جنوبي بحيرة البرت شيئاً غير ما أنا ذاكر[١] . ثم هو في اوائل مسيله وأواخره يجري في سهلٍ أرضهُ طينية ابليزية ومجراه في تلك الاصقاع مستسهل استقصاؤهُ بالنسبة لاستقصاء المجاري الاخرى[٢] . ثم اذا كان مستوى بحيرة البرت ادور تسعمائة وخمسة وستين متراً عن سطح البحر الملح ومستوى بحيرة البرت ستمائة وثمانين متراً يكون مقدار ما هبطهُ في مسيرهِ الى بحيرة البرت مائتين وخمسة وثمانين متراً . ويتبيَّن من الارتفاعات التي استخرجت في نقطٍ شتى من مسيلهِ ان ذلك الهبوط يكون على النسق المذكور في هذا الجدول[٣]

---

(١) في سنة ١٨٨٩ تتبع الرحالة استنلي مجرى نهر آخر موازٍ لمجرى نهرسملكي فكان يسير في اكامٍ غربي جبال رونزوري ولم يفارقها لكنهُ قلما تبطن وادي النهر الى مسيله

(٢) أشدُّ الصعوبة على المسافر في تلك الانحاء في الميرة والمؤونة فان الارض في مسافة طويلة من مجراه على الجانبين خراب غير آهلة بالخلق

(٣) علت الانحدارات المذكورة من مقدار التصرفات المعلومة

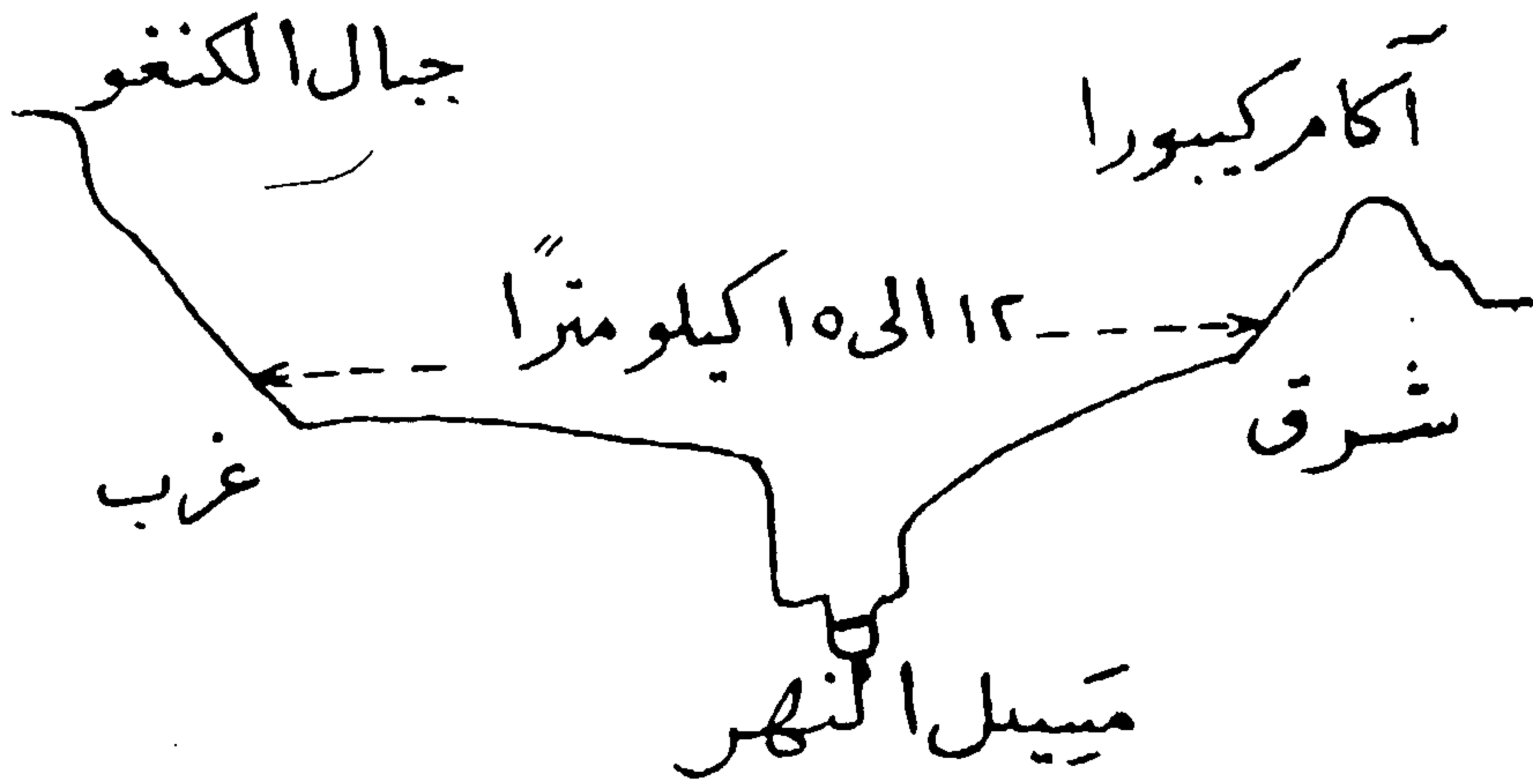
من	الى الكيلومتر	المسافة كيلومترات	الانحدار امتاراً	الانحدار امتاراً الكيلومتر الواحد
بحيرت البرت ادورد	٧٥	٧٥	١٥	٠،٢٠
الكيلومتر ٧٥	١٩٦	١٢١	٢٥٤	٢،٠٩
الكيلومتر ١٩٦	بحيرة البرت	٤٦	١٦	٠،٢٥
المجموع		٢٦٠	٢٨٥	

وليُعلَمْ ان ما اثبتناه في هذا الجدول من الانحدارات ليس الا تقريبياً لان المعلومات التي في دائرة حكمنا أقلُّ من القليل على ان فرق المنسوب بين الكيلومتر الخامس والسبعين والكيلومتر المائتين مفرط حتى يكاد يكون في حكم الثابت ان في مسيره في الغابة تتوالى فيهِ المساقط والشلالات الوشيكة السريعة الجرية ، ومن مخرجهِ الى الكيلومتر الخامس والاربعين لا يفيض اليه من الجهة الشرقية شيءٌ من النهيرات او الجداول وفيما بعد ذلك يقع فيه كثير من الانهار الممدة على كلا جنبيه[٢] . وفي شمالي رونزوري يقترن به نهر نِيبَرُوجو على خمسة واربعين كيلومتراً من مصبهِ في بحيرة البرت والى ما وراء ذلك في السباخ الممتنعة التي تكتنف ضفاف أواخرهِ هناك يقع فيه نهير يعرف بجدول واشا وفي عامة مسافتهِ يكون على جانبه الغربي سلسلة الجبال الكبرى التي هي حد المفجرة ويكون على جانبهِ الشرقي في أعاليهِ آكام كيبورا وبعد ذلك في الجهة الشمالية تكون جبال رونزوري التخم الثابت. وفي هذه الجبال تنشأ عقبات المهواة الحافة ببحيرة البرت من جانبها الشرقي . واعلم ان معدل سعة الوادي المنبطح فيه نهر سملكي في مسافة العشرين كيلومتراً الاولى من مخرجه يختلف من بين اثنى عشر الى خمسة عشر كيلومتراً

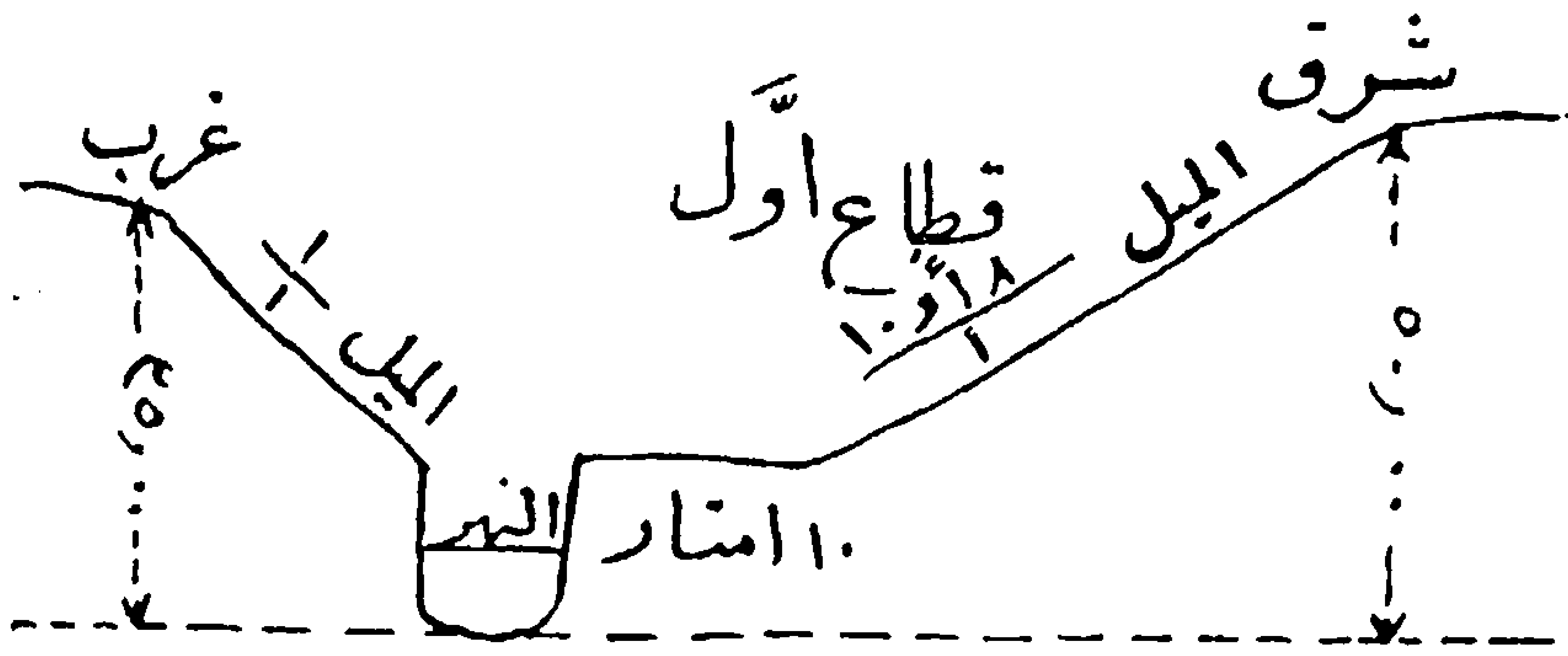
---

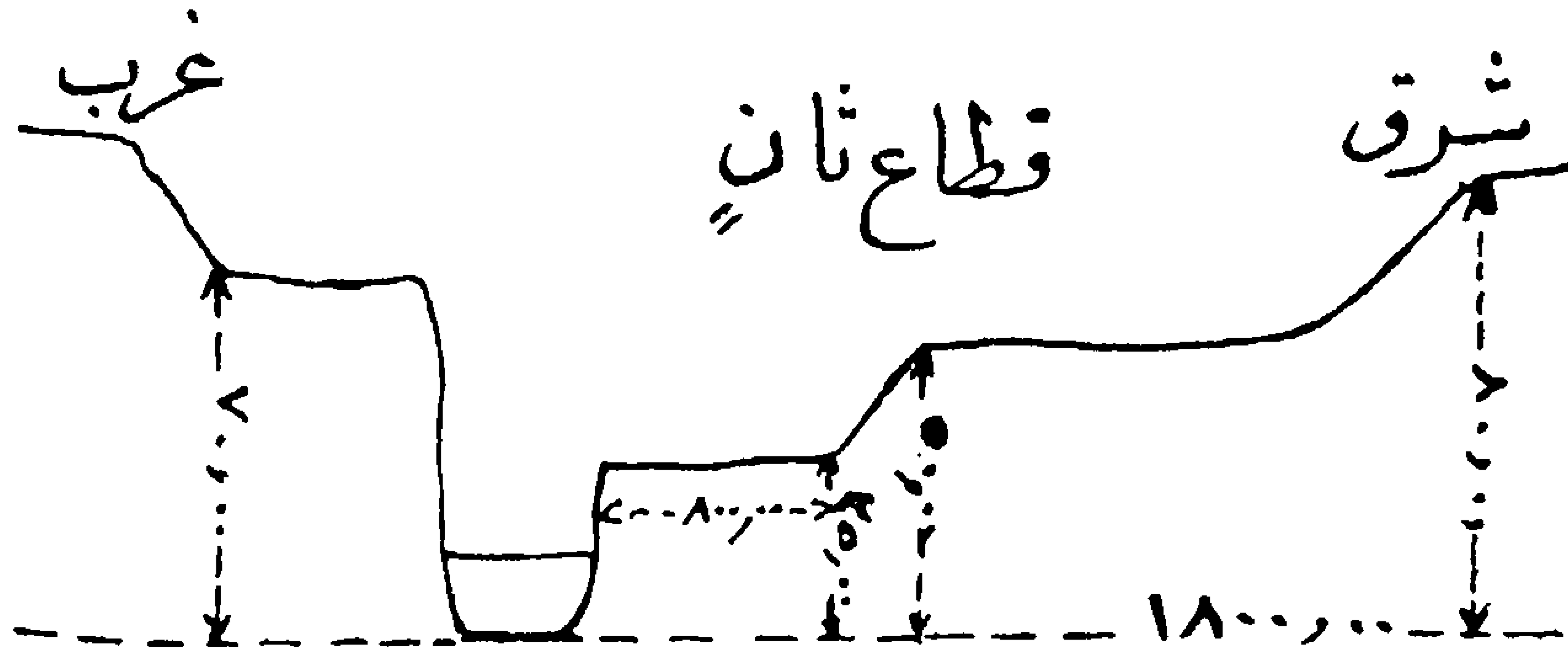
(١) يتبين من خريطة استلمن ان خمسة واربعين خوراً ترمي الى هذا النهر من جهة الغرب وثلاثة وعشرين من جهة الشرق

فاذا جاوز ذلك الحد ينفسح عريضاً في مدى معلوم ثم يتضايق في منعطف طنوف الرونزوري وتكون وجهتهُ مهب الشمال الغربي. واذا اخذت الى الشمال عن هذه الجبال هناك يعود الوادي فينفسح حتى تكون سعة منفرجة في أواخره من بين خمسة وعشرين الى خمسة وثلاثين كيلومتراً . اما الوادي الاعلى فتغشاه رواسب مائية وطين ورمل يتكون منها علاية بين الجبال . وهي اي العلاية جرداء ملحة التربة وترى النهر يشق صلصال الارض فيكون منه مجرى عميق يُذهب في عرض البر كأنه يجري في خندق هائل سعتهُ تختلف بين خمسمائة الى ثمانمائة متر ويختلف غوره بين خمسين الى سبعين متراً ولمسيله تعاريج وملاوٍ وميولُ جانبهِ الغربي هي على الاطلاق اكثر عموديةً من ميول جانبهِ الشرقي . وهاك القطاع العام للوادي الاعلى



ثم ان للمسيل الوضعي قطاعين اختصاصيين يكون ميل الجانب الشرقي للوادي في الاول منهما خفيفاً حتى يصير الى شفير النهر ويكون في الثاني في مدرجين او اكثر منبسطين . وهاك القطاعين





اما ضفير بطيحة البرت ادورد غربي آكام كيبورا فلهُ ما لضفيرها الواقع بجوار كازنجا وخطوي من الصفة ويحيط بساحلها حرْف شاهق مستدير يكون ارتفاعهُ عن سطح مائها متزايداً من بين ثلاثين متراً الى مائة متر وأما المنبسطات فقليلة السعة والبر الى ما وراء ذلك الحرف يتصاعد من البحيرة ذهاباً في سمت الشمال . ومياه الصبب تنحرف في سيرها عن البحيرة فتكون وجهتها صوْب نهر سملكي(١) . وهذا النهر يأخذ من البحيرة على زاوية قائمة من خلال غابةمن عالي القصَب ويحيط بهِ على جانبهِ الايمن اي الشرقي مهواة يبلغ ارتفاعها عن سطح النهر تسعين متراً او مائة متر واما مهواة جانبه الايسر

(١) هذا النهر لا يعرفه اناسيُّ خطوي ولا اناسيُّ تلك الانحاء بهذا الاسم وقد عرَّفه استلمن بنهر ايسنجو وهو اسم غير معروف ايضاً عندهم وهم يسمونه بنهر كاكندا ولا يعلمون له اسماً آخر ويسمونه في الاقطار الشمالية بنهر كاكيبي ولا يسمى سملكي بالاجماع الا عند حصن بُرْتل وبعد جبال رونزوري ولقد اتخذنا لهُ في هذا الكتاب اسم سملكي لان الجغرافيين قد اجمعوا عليه

منحطة الى عشرين متراً وهو يذهب مقبلاً على سمتهِ مسافة ثمانمائة متر ثم ينعطف توًّا الى الشمال الغربي ومايلبث ان يسير بقدر تلك المسافة حتى يعود الى الشمال . والمهواة اليمنى هائرة هويَّة يغشى قُلتها مادة جيرية جصيّة . اما المهواة اليسرى فيلها خفيف والى ما وراءها منبسط من الارض غاص بالادغال يذهب الى مدى طويل في سمت الغرب والى الشرق ترى الوادي غير سويّ الاديم يتصل صعيده باكام كيبورا مسافة خمسة او ستة كيلومترات وهو مكسوٌّ بصغير الحشيش ودقيقه وليس في عرضه من الاشجار الا ما ندر وقلّ وحاشية النهر حافلة بالبَرْديّ والقصب يكون مستطيلها كبير السعة جداً لا سيما في المواضع التي يندفع فيها تيارهُ من جانبٍ الى آخر تاركاً وراءهُ جوناً مدرجاً يستنقع فيه الماء عند قاعدة المهواة . هذا وفيما وراء مخرجهِ يكون مأخذ البحيرة صوب الجنوب الغربي والمنظر هناك رائع الجمال ما وقع نظرنا على احسن منه في الاقطار المندرجة فيما بين بحيرة فيكتوريا وبحيرة البرت ادورد . والى الشمال والشمال الغربي جبل شاهق يذهب رأسهُ في السماء لا تتجاوز مسافة ما بين قاعدتهِ وحافة النهر ثمانية كيلومترات ويندرج فيما بينهما علاية شمّاء شجراء تنهبط رويداً حتى تتصل بالنهر واذا تسنّمتَ الجُرُف الاعلى عند مخرجه واطلمت عليه في وجهة جريتهِ رأيته ينساب في تلاويهِ وتعاريجه في حضيض مهواة عظيمة واذا استقبلت الجنوب رأيت يمّ البحيرة ينفسح . واذا ادرتَ الطرف مغرباً رأيت آناف الجبال تتدلى متهافتةً حتى تتصل بشفير النهر وهذه الجبال وهي مَعْلم المفجرة تأخذ الى الجنوب على سمته تسمو في السماء علوًّا حتى تلحق بالسحاب ولها قنن متراكبات بعضهنَّ فوق بعضٍ كثيرهنَّ في شكل غير نظيم لكنهُ معجب للعين . وبئسَ ما يُطبق السماءَ من الغمام في اصقاع تلك البحيرة فانه يمنع الابصار عن رؤية تلك الجبال الاَّ في هنيهات

يكون اكثرها في الغُدْوة والمساء[١] . وعند الغروب بينا تتواري الشمس بحجاب الجبال ترى القِنان تشق عباب الجوّ في لون ارجوانيّ اغبر يتصل بلون السماء ولون اديمها قرمزي نارنجي تغشاه صبغة وردية ضاربة الى الصفرة ألا ان هذا المشهد (مقروناً بمشهد النهر وضفافهِ القصبِة) مشهد ليس له من مثيل في البهاء والجلال . هذا وعلى شط النهر على مقربةٍ من مخرجه قرية من قرى الكنغو الحرة وما هي الا طائفة من الخصاص والاكباس . واما الشط الايمن فخالٍ عن العمارة . والقواربُ هناك صغيرة جدًّا وقليلة فاذا أُريد تفريغ محمولها لزم ملاَّحيها ان يأتوا بها من خطوي سالكة في البحيرة . وفي تلك البقعة جمٌّ كثيف من الهوام طافية على صفحات الماء صفتها من الغرابة بمكان فهي تنهض عن البحيرة متصاعدة في الجو غماماً مظلماً كأنه دخان حريق هائل . وليس في البحيرة الا ما قلّ من طير الماء وقلما يوجد في تلك الاقطار فرس الماء أو التمساح أما هواء الوادي في تلك النقطة منه خلال شهر فبراير فانه نَزِهٌ شارح للصدر وهو جافٌّ بارد وندر أن تجاوزت درجة الحرارة ليلاً ستة وثمانين بمقياس فهرنهيت او انحطَّت الى ما دون سبعين . ولقد اختبرنا قطاعه عند مخرجه في التاسع عشر من شهر فبراير سنة ١٩٠٣ فاذا بسعة ما بين منكبيه مائة وسبعون متراً يأخذ مسيلهُ منها مائة متر فقط والفاضل وقدره سبعون متراً مستنقعٌ ماؤهُ رقارق حافل بنبات القصب والبردى . وغور النهر هناك ليس بكبير فان أبعدهُ على ما جاءت به الأَسبار يكون متراً واحداً وستين سنتيمتراً[٢] وكان معظم متوسط جريتـهِ في أيّ القطاعات

---

(١) ان صورة نهر سملكي المدرجة في هذا الكتاب لا يستبان بها هذه الجبال الا قليلاً ولا غرابة فان المسافر القاصد لتلك البقعة ربما اقام بها يومهُ ورحل عنها وهو لا يدري ان لها سلسلة جبال يكون ارتفاعها قُرابة ألفي متر

(٢) كان النهر والبحيرة معاً حينئذٍ في اقصى غيضها

المسبورة سبعمائة واربعة وثمانين مليمتراً في الثانية وكان التصرف بقدر ستة وتسعين متراً وستين سنتيمتراً في الثانية . ومَعلَم فورة الماء في النهر ظاهر بيّنٌ في تلك البقعة على سوق القصب وبدن المهواة . وارتفاعهُ مساوٍ لمستوى بحيرة البرت ادورد وربما لم يتجاوز ارتفاعهُ عن أحط منسوب البحيرة متراً واحداً

اقول وماء نهر سملكي غاية في الصفاء والرواق لكن لونه يضرب قليلاً الى الخضرة وهو مِلح كريه المذاق[1] . واذا جاز النهر منعطفهُ الاول صوب الشمال الغربي في نقطةٍ قريبة من مخرجه يتحول في سمت المغرب فيكون جريه فيه مسافة تقرب من خمسة كيلومترات وفي مفارقته تلك النقط يغلب على وجهتهِ ان تأخذ الى الشمال . وفساحة وادي النهر[2] تكون في مواضع منهُ نحواً من الف متر تتساقط اليهِ من علوٍ على كلا جانبيهِ اخوار[3] مكتنفة باشجار ملتفة واما العلاية الشرقية فرداء مكشوفة من الاشجار والعلاية الغربية مفروشة بالأدغال وهي تذهب صُعُداً الى حد الجبال ويكون وجهها مصدَّعاً ذا كسور تجوز الحد وقمم تلك الجبال قرعاء لكن مَيل سفحها شجير . واعلم ان متوسط سعة النهر يختلف بين سبعين وثمانين متراً وهو يسير في تلويه بين جروف مستعلية وتحاذيه في سيره من الجهة الشرقية آكام كيبورا فتقوم على ذلك مدًى قدره خمسة او ستة كيلومترات وتكون جبال الكنغو عن تلك النقطة على ثمانية او تسعة كيلومترات . ثم ان العلاية الشرقية تظهر انها غير معمورة على الاطلاق غير ان الجانب الشرقي منها لهُ بعض

---

(١) قد جلبنا معنا عينيَّةً من ماء هذا النهر في قارورة على قصد تحليلها تحليلاً كيماوياً لكن لسوء الطالع انحطمت القارورة واهريق ماؤها

(٢) اعني المسيل الذي شقَّهُ النهر لا الوادي الواسع الواقع فما بين سلسلتي الجبال

(٣) المراد بالخور كل جدول ينحدر من علوٍ الى نهرٍ او بطيحة (المعرّب)

العمارة بالزروع والاهلين[١] ولما كنا عن مخرج النهر على عشرة كيلومترات هبطنا الى بلدة كوسَبيًا وهي واقعة على جانبهِ الايسر وفيها شيء من شجر الموز وفي بعض المواضع من الجانب الغربي ترى مهاوي ارتفاعها من ستين الى سبعين متراً بارزة الى الامام فوق الماء وعلى الجانب الشرقي تتصعد الارض بتداريج حتى تتصل بالعلاية وهي اي العلاية في تلك النقطة جرداء مفروش اديمها حصباء وبقايا الاصداف وقد يكون تراب الارض في المواضع التي خددتها الاخوار اشبه شيء بالحوّارَى وقد يكون ابيض كالجير او الجص او الكلس واذا جئت الى ما وراء كوسَبيًا ترى العلاية الغربية تنفسح كلما هاجرت الانهار الجبال الغربية وهناك اكمة متقببة منفردة عن سلسلة الجبال يفصلها شِعب فسيح واذا كنت من مخرجهِ على خمسة عشر كيلومتراً هناك تمتدّ جبال الكنغو ذاهبة في سمت الشمال الغربي ووجهة النهر شمالية صَوب جبال رونزوري . ويقطع السَهل الشرقي الواقع هناك خوْر بعيد القاع ينحطّ من حدَرٍ حتى يفضي الى النهر ويكون صَبَبهُ اي انحدارهُ حادًّا وغوره خمسة وثلاثين متراً بجمامها وجانباه عموديان عليه وهو غاص بالأدغال المشتبكة ويتراجع سريعاً في جهة آكام كيبورا فقطاعه اذاً ظاهر تتبين منهُ صفة ارض العلاية فبدنها طبقات متناضدة من الصدف والحصى والرمل وطينة قلّتها ايليزية سمينة يبلغ سمكها مترين[٢] وصفة النهر في مدى

---

(١) أرى ان لا عمارة على الاطلاق في الاقطار الواقعة بين نيَمغاشا والسملكي ما خلا نفراً وحشي المنظر من الاهلين في آكام كيبورا

(٢) اجبرتنا الحال في رحلتنا في العام الماضي على ان نعدل عن الخطة التي كنا قد خططناها لانفسنا لتتبع ساحل النهر بعامتهِ فانثنينا راجعين الى خطوي لنفاد الميرة والمؤونة فما تراه مندرجاً في هذا الكتاب من وصفهِ بين الكيلومتر الخامس عشر وموضع نفاذهِ من وادي الرونزوري ليس مأخوذاً الاّ عما اثبتهُ المسافرون . واعلم اننا قد اطّلعنا النهرَ مرة اخرى في الشمال من جبال الرونزوري

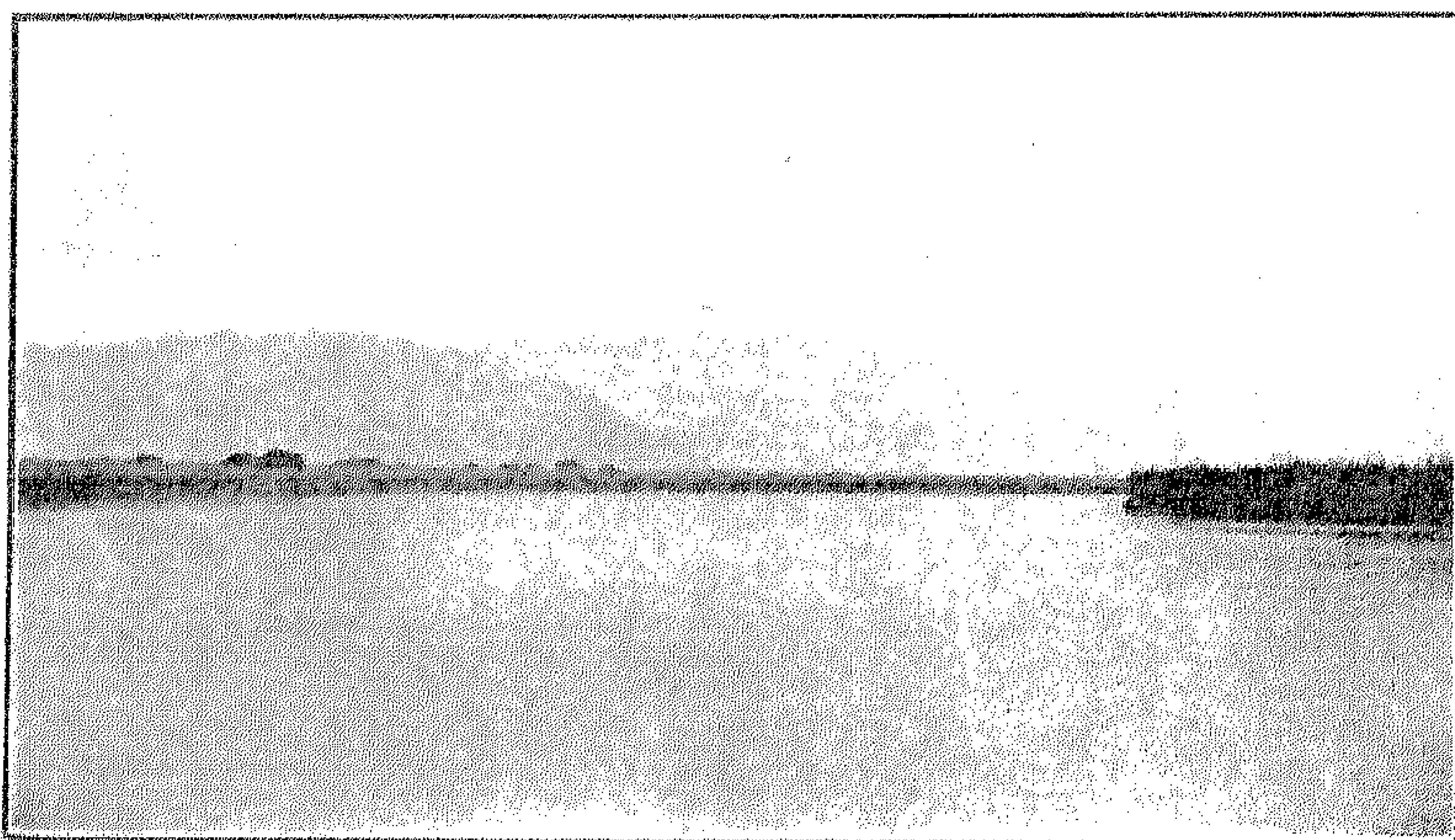
عدة كيلومترات منهُ الى الشمال عن الخور لا تتغير الا قليلاً فهو يسير في مجراه وقطاعاته متناسبة وسرعتهُ . وعلى مسيرة ثلاثة وخمسين كيلومتراً من مبدأ النهر عند بلدة أمْكورُنجو الى جهة الجنوب الغربي لجبال الرونزوري يكون غورهُ في شهر يونيو على ما قاله الرحالة أستلْمن بين ستة وعشرة امتار فاذا صح ذلك كان مسيلهُ ينساب في مضيق حرج فانه بعد تلك النقطة بثلاث كيلومترات يعود اليه قطاعهِ العام . قال ان سعته كانت يومئذٍ ستين متراً وعمقهُ متراً وربعاً وماؤهُ الى الصفرة شديد الجرية يتدفق على رمالٍ وحصباء اقول ولا اظن غور النهر في تلك البقعة الاَّ متخالف المقدار كثيراً فان الرحالة ستيبرس قطعهُ بعدها بقليل فوجد سعتهُ بقدر ثمانية وثلاثين متراً وغورهُ ثلاثة امتار وارتفاع جرفيهِ يختلف بين ثلاثة عشر الى خمسة عشر متراً وسرعة جريه متراً واحداً وثلاثة وثلاثين سنتيمتراً في الثانية وذلك يعادل تصرفاً يكون زهاء مائة واثنين وخمسين متراً في الثانية [1]

قلتُ والصوَر الشمسية لنهر سملكي على ما ورد في كتاب السر هَري جونسن الاخير[2] أُخذت من موقع المعدية قبالة حصن امبيني على مسافة خمسة وسبعين كيلومتراً من مخرجهِ وهي تشير الى ان سعتهُ تكون بين تسعين ومائة متر وأن سيلتهُ حادة ويكون مجراه بين جرفين مرتفعين مكسوَّين ادغالاً وجنبات أي دِق الشجر . قيل ان في جوفه هناك ما لا يحصى من التمساح ومن المستلزمات أن تكون القوارب هناك كبيرة الحجم لنقل الركب

---

(١) انظر كتاب دَرْكست افرِكا (اي مجاهل افريقيا) للسر استنلي المطبوع في لندن سنة ١٨٩٠

(٢) راجع كتاب أوغندا بروتِكتُوريت (أي مستعمرة اغندا) للسر هنري جُنسْتن المطبوع في لندن سنة ١٩٠٢



نهر سمليكي في قطعة منه تبعد عن مصبه في بحيرة البرت زهاء ثمانية واربعين كيلومترا
شمالي جبال رُوِنزُوري بقسم طورو

والدواب لان الغور بعيد والتيار شديد الحملة فالنهر لا يخاض[١]. وأسفل عن موقع المعدية بيسير يغوص النهر في اطواء غابة الكنغو الكبرى وله هناك مسارع ومساقط[٢]. ثم اذا كنت من بحيرة البرت ادورد على مائة وستة وتسعين كيلومتراً هناك ترى النهر ينبعث من شعاب الجبال فيدخل قطعةً من وادي المفجرة فيما بين المهواتين الكبيرتين المارتين شمالاً من تخوم بحيرة البرت والوادي ينفرج توًّا فيكون من منفرجه سهل فسيح الاقطار غاصٌّ بالعشب والادغال وفي كثير من انحائه بقائع مستنقعة وقد انجلبت الى اديم ذلك السهل أجراف متحدرة من الجبال فأعلت طبقهُ ولا ريب في ان مياه بحيرة البرت كانت في الاعصر الخاليـة منفرشة تحفُّ بآكام الجبال غامرةً عامة تلك الاقطار[٣]. على انــ هذه الاجراف لا تزال منذ القدم تترامى الى ذلك السهل فترفع أديمهُ حتى اصبح اليوم نجداً . وقد كان بالامس بحراً . وفي هذا السهل يكون انحدار النهر خفيفاً ولو انــ جريتهُ تلازم شدتها حتى يصير الى بطائح بحـيرة البرت ومناقعها . ثم ان الرحالة استُلمن قطع النهر في شهر يوليو من سنة ١٨٩١ من موضع لا يبعد عن نقطة منبعثهِ من الآكام شمالاً قال ان سعتهُ تكون من ستين الى ثمانين متراً وغورهُ خمسة عشر متراً وسيلتهُ شديدة[٤]. وفيما بعد ذلك الى الشمال تراه قد نحت له مجرًى في عقبةٍ من الصخر الرملي يبلغ ارتفاعها ثلاثيـن متراً[٥] . هذا واذا صرت على

---

(١) راجع كتاب مستعمرة اغندا المذكور

(٢) ان مسيل نهر سملكي بين الكيلومتر الخامس والسبعين والمائة والسادس والتسعين مجهول

(٣) عامة هذا الوادي رواسب بحيرة وابليز جابتها الجداول والانهار

(٤) انظر كتاب « مِت امين باشا إِم هرتس فون أفرِكا » (أي مع امين باشا في قلب افريقيا)

(٥) انظر الكتاب المذكور .

مائتين وعشرة كيلومترات عن مبدإ النهر تكون سعة واديه هناك من سبعة عشر الى ثمانية عشر كيلومتراً [١] لكنهُ لا يلبث ان ينفسح منعطفاً نحو الشمال والجرف هناك وعرٌ الى الغاية يكون ارتفاعهُ عن قاع الوادي قريب سبعمائة متر [٢]. وبازاء ذلك الجرف بَقعَةُ أجمة تذهب من الشمال الى الجنوب عامتها تمر على محاذاة سلسلة الجبال والاجمة أحطُّ من قاع الوادي باربعة امتار وربما كانت في الزمن الاول مسيلاً للنهر سعتها متر واحد ونصف وفي مواضع منها يعترضها في سيرها طنوف منحطة ناتئة من بنات الجبال غاصة بنبات السنط لكن سيرها العامّ يلازم اسافل جرف المهواة غير منفكّ عنها والاجمة حافلة بسامق القصب وفي ايام السيول لايكاد السلوك فيها يكونُ ميسوراً [٣] وطريق بارنجو في الكيلومتر الرابع والعشرين منها شمالاً تنشعب بشعبتين في منتصف تلك الاجمة وفي هذا البلد عين حارة كبريتية نابطة من بطن الارض تنساح في بَرَاح عراء اجرد وتقرب حرارتهـا من درجة الغليان يستشفي بها اناسي تلك الاقطار . وعند تقاطع طريق أمبوجا بالوادي يكون لجبال رونزوري منظر معجب ترى قنانها متسامية في الفضاء متراكبة بعضها فوق بعض الواحدة منهـا الى ظهر الاخرى . ومن الوهاد ما يروق للعين مرآهُ وهادٌ منحدرها منصبٌّ توًّا الى الوادي مسافة عدة امتارٍ وبعد اجتياز الاجمة الشرقية تصبح الارض نجداً ناهضاً تعلوه الاعشاب وهو في العـامة

---

(١) هنا الطريق المؤدية من حصن بُرتَل الى أمبُنْجا على الحدود البلجيكية تقطع ذلك الوادي

(٢) قد اوردنا صفة هذا الجُرُف في الفصل الخامس عند الكلام على منطقة مابين بحيرتي البرت ادورد والبرت

(٣) قد عنينا في ان نجعل للطريق معالم تدل عليها فطفقنا نقلُف صغار الشجر النابتة في الاجمة . اقول ومع ذلك فلا بدَّ للمسافر من أن يلاقي العناء الذي لامزيد عليهِ في اجتيازه تلك الاجمة

براح لكنَّ فيه شتاتاً من الادغال منبثة في جميع انحائهِ وفي بسيطهِ مصارف صغار . فاذا اخذت من الجروف الشرقية في مسافة خمسة كيلومترات فانت في مواجهة جدول يذهب في جريهِ من الجنوب الى الشمال له سعة قدرها خمسة امتار وغوره يبلغ متراً ونصفاً غير اننا تطلعناه في شهر مارس من سنة ١٩٠٣ واذا بهِ غدير لا جرية له على الاطلاق والى غربي هذا النهير تكون الارض اشد نشزاً والادغال اكثر التفافاً وفيها نخيل البورسوس على قلةٍ ومن ذيل العقبة الشرقية على سبعة كيلومترات هناك نهر سملكي وهناك معدية يركبها المسافرون الذين وجهتهم امبوجا. والنهر في تلك النقطة مستطرف الى الغاية يختلف متوسط سعتهِ من بين سبعين الى ثمانين متراً وله سيلة متسارعة وهو يطوّف بين جرفين هائرين هويَّين يكون ارتفاعهما عن اقصى منحط الماء نحواً من مترين ولهُ في سيره تعاريج كثيرة و بعض لياته حادة الانعطاف في الغاية القصوى وفي عامة جرفيهِ تآكلٌ عظيم وماؤهُ كَدِرٌ عَكِرٌ وساحلهُ على كلا شطيهِ مَقصَبَةٌ ملتفة نبتها طويل الساق والى الجانب الغربي تمد المنبسطات بطولها ثلاثة او اربعة كيلومترات ومن ثمَّ ينهض البرُّ صُعُداً في حروف متدرجة تدريجاً . وهناك مبدأ غياض الجَنَبة ويظل البر في التصعيد تدريجاً حتى بنات جبال الكنغو حيث هي عن غربي النهر على سبعة او ثمانية كيلومترات

اما الاسبار التي استخرجت في الرابع من شهر مارس سنة ١٩٠٣ فقد دلت على ان سعة سطح الماء ثمانية وستون متراً ومتوسط العمق متر واحد وتسعون سنتيمتراً واقصى منغمس المسبر متران وثلاثون سنتيمتراً والجرية كان معظمها في صميم المجرى وعلى الجانب الشرقي اي الايمن . ومتوسط سرعة مائه في منتهى سرعة الماء بالقطاع متر واحد وعشرون سنتيمتراً في الثانية وجملة التصرف مائة واربعة وعشرون متراً وثلاثة وعشرون سنتيمتراً مكعباً في الثانية

وكان معظم ارتفـاع الفيض عن ماء النهر مترين وثلاثين سنتيمتراً في شهر مارس سنة ١٩٠٣ ذلك يؤدي الى ان تكون سعة طبق الماء نحواً من مائة متر[١] . واعلم ان التصرف قد استخرجت حساباته والنهر في احط انحطاطهِ أي في نهاية قيظٍ كانت برهتهُ اشهراً

قلنا فيما تقدم ان مستورد النهر من بحيرة البرت ادورد قد بلغ في ١٩ فبراير من تلك السنة ستة وتسعين متراً وستين سنتيمتراً مكعباً[٢] . ولما لم تكن السماء قد اتت بشيءٍ يذكر من ماء السحاب في فترة بين التصرفين كان يتبادر الى الذهن ان منسوب البحيرة لم يطرأ عليهِ تغيير في غضون تلك الفترة . وعلى ذلك يكون مقدار ما زاد في تصرفهِ آتياً اليهِ من الجداول الممدة اثناء مسيرهِ في بطن الآكام سبعة وعشرين متراً مكعباً وثلاثين سنتيمتراً فقط في الثانية ولا بد ان يكون الفرق بين مقدار ما يخرج من بحيرة البرت ادورد من الماء ومقدار ما تستوعبهِ بحيرة البرت فرقاً عظيماً ذلك لان الاخوار العديدة التي تحمل مياه الصَبَب من جبال رونزوري والكنغو متى بلغت جُمتها وطَفافها يكون مستوردها جسيماً جداً. هذا وربما ادركنا مايقارب تصرف النهر ابان مدّه اذا اتخذنا ما اثبته الرحالة اُستَنلي من المعلومات في هذا الشأن[٣] قال انه اجتازه في شهر مايو سنة ١٨٨٩ من معبر

---

(١) تصنع القوارب في تلك الاقطار من خشبة واحدة ينحتونها نحتاً بالادوات ويكيفونها قارباً قليل الحجم حتى تراها على صفحات المـاء قلقة غير مطمئنة وقد كاد يمتنع علينا ان نرسل القلس الى ما وراء التيار لاشتداد دورته . وجوف النهر هناك حافل بالتمساح

(٢) انظر صحيفة ١٤٦

(٣) طالع كتاب « داركست أفركا » اي مجاهل افريقيا للسر اُستنلي — لندرا سنة ١٨٩١

هو عن بحيرة البرت ادورد على مائتين وسبعة عشر كيلومتراً تحت نقطة تلاقيهِ بنهر نِيَبْروجو وانه وجد سعتهُ تختلف بين خمسة وخمسين وتسعين متراً وسرعة جريهِ بقدر مترين وعشرين سنتيمتراً مربعاً في الثانية . اقول ان هذه المعلومات استُخرجت في فصل الربيع الماطر يوم يكون النهر في ابان مدّه . ولا ادري كيف اغفل هذا الرحالة ذكر غوره بالتفصيل فعمد الى الايجاز اذ قال : « انه (أي النهر) نهر عظيم بعيد الغور مأمول الخير » انتهى

عود — ومساحة قطاع النهر في ابان فيضهِ في الموضع الذي تبينا فيه مقدار تصرفه في شهر مارس سنة ١٩٠٣ تبلغ مائتين وسبعة وسبعين متراً مربعاً ونصفاً فاذا جعلنا لهذا القطاع سرعة السِّيالة التي اعتمدها الرحالة استَنْلي فيصبح مقدار التصرف ابان الفيض زهاء ستمائة وعشرة امتار مربعة ونصف في الثانية ويضاف اليه تصرف نهر نِيَبْروجو وواشا في الصوب الشرقي وتصرف جدول او جدلين يفضيان اليه في الصوب الغربي الى الشمال عن مقترن نيبروجو . وليس من وسيلةٍ يعوَّل عليها لاستطلاع مقدار ما تفرغهُ هذه الممدات في السملكي على ان بعضها ولا سيما منها جدول نيبروجو جداول ذات شأن اذاً يصح القول بان مبلغ ما يبعث به ذلك النهر من الماء الى بحيرة البرت في ابان مدّه لا يكون اقلّ من سبعمائة متر مكعب في الثانية وان أدنى تصرفهِ يكون مائة وخمسين متراً مكعباً في الثانية وجمهوره سبعمائة متر مكعب في الثانية . هذا وفسحة ما بين معدية (مأتاة) امبوجا ومغيضهِ في بحيرة البرت تكون خمسين كيلومتراً . واذا صار من بحيرة البرت ادورد على مائتين وعشرين كيلومتراً هناك يقترن به جدول نِيَبْروجو [1] ومن ثمَّ يذهب في طوله نحواً من عشرة او خمسة عشر كيلومتراً اخرى يكون مجراه فيها ضاحياً مكشوفاً والوادي

(١) تقدم الكلام على هذا الجدول في الفصل الخامس في الكلام على المنطقة الواقعة بين بحيرة البرت ادورد و بحيرة البرت

مقيمٌ خلالهُ التي تقدم ذكرها الآ من جهة واحدة هي ان سعتهُ هناك تخالف كثيراً . ثم ان النهر في الخمسة والعشرين او الثلاثين كيلومتراً الاخيرة من مسيره يسبح في مناقع البردي الواسعة الارجاء التي تطبق ارض الوادي ذهاباً من الطرف الجنوبي لبحيرة البرت . ويوشك السلوك في غامض تلك المناقع ان يكون على الركب متعذراً . ومامن خريطة من الخرائط المتداولة اليوم بين الايدي يُستقصى بها مقدارها والمعلوم انها تعمّ اديماً مساحتهُ مئات من الكيلومترات المربعة . ومغيض النهر في البحيرة كنين محجوب عن الابصار بغابة من عالي القصب (١) حتى يتعذر بذلك الوقوف على موقعه وأما إتيُّ النهر فيندفع في البحيرة ويرسب طينهُ فيها ركاماً شيئاً فشيئاً قاذفاً بركامهِ الى الامام ويكون من ذلك ركمتهُ الموجودة ولذلك كانت الرقارق تتكون بالتدريج طامحة الى الجهة الشمالية فيثور فيها ثائر المناقع بينا ان اليَبَسَ النابر عن سطح الماء الى الجنوب عن تلك المناقع تمدُّ بطولها في مهب الجنوب . واما سعة النهر عند مرماهُ فيكون من خمسة وثلاثين الى اربعين كيلومتراً . ويحف به من الجهة الغربية وهاد المهواة الكبرى التي ينساب في شعابها نهر امزيزي حتى يُفضي الى البحيرة . هذا واقليم وادي سملكي الادنى مفرط الحر رطب الهواء مستوٍ بل جَوِيٌّ لا يوافق الابدان حتى في ايام الجفاف . وفي عامة السنة قياساً ترسل السماء على البلاد سيلاً مدراراً مصحوباً ببروق ورعود ويكاد يكون ذلك كل يوم على التوالي . ولما كانت هذه الظواهر الجوّية يغلب حدوثها في الليالي او الأَصباح كان المسافر ينذعر منها فتكون عليه في ذلك المكان شديدة الوطأة

---

(١) ليس من السيَّارين المحدثين مثل جسّي ومَيسن مَن تطلّع نهر سملكي ووقف عليه اللهمَّ الا ان يكونوا قد مروا بجانب مغيضه في ركوبهم متن تلك البحيرة . ولم يتأتَّ لامين باشا ايضاً ان يراه مرأى العين قال في رسالة لهُ انه بلغهُ خبر نهر عظيم يصب الى بحيرة البرت عند طرفهِ الجنوبي

ولا مشاحة ان في الانتقال من اقليم علاية طورو الى حضيض ذلك الوادي المستبحر ضنكاً على الابدان فالشمس محرقة الحرارة وليس في الارض ظل يؤوى اليـه لانها عادمة الشجر الاّ بعض القَرَبُون ونخيل البورسُّس واما البعوض فبحرٌ زاخر فيها[١] ولا اخال السّفرَ في وادي سملكي ابان السيل الا متعذراً لرداءة المناقع . فالعشبُ المستطيل غاص بالقَلَذِ وهو دويبة صغيرة كالقراد . وقد التقينا في طريقنا ببعض نفر من الاهلين فاذا بهم موهونون لا صحة في ابدانهم وقد حملتُ ذلك على قلة القوت[٢] ويربض في اطواء المناقع بقرب مصب النهر اسراب الفيلة مجالاتها اخوار الوهاد الشرقية الى غابة بودنجا على ظهر الملاية . قال القائمقام وَلْد في مقالةٍ له : « ولقد تأتى لي أن رأيت هنالك قطراً من تلك المخـلوقات مرّت ساعيةً واستغرق مرورها ساعةً كاملة من الزمن[٣] والوادي كثير العمارة بالقنَص ولا سيما ظبي الماء[٤] ومهر أُغندا[٥]. وطوائف غزال القنا قاتم اللون اسمره[٦]. ويوجد في تلك المناقع ايضاً بقر الماء[٧]

---

(١) قال العلامة واكر انه أوغل في هذه القطعة من الوادي في شهر دسمبر من عام ١٩٠١ فشاهد فيها الدويبّة المعروفة عندهم بحشرة أُنْزِنْزي فان صح قولهُ لا غروَ أن تكون هذه الدويبة من طائفة الحشرات التي اكتشف الباحثون انها تنقل لقاح داء النُّوام الى اجسام الآدميين فاني بلغني انه لم تحدث قط اصابة واحدة بين الدواب بهذا الداء في تلك الانحاء

(٢) قوت هؤلاء العباد جلهُ السمك وهم يلتقطون منه شيئاً كثيراً وارضهم هامدة لا نبات فيها

(٣) انظر مقالة « نهر سملكي » كتبها القائمقام وَلْد في دسمبر سنة ١٩٠١

(٤) واسمهُ باللاتينية كوبس دِفَسّا

(٥) واسمهُ باللاتينية كوبس كومازي

(٦) لعلهُ السمر فيكبرا ريدُنكا وَرْدِي

(٧) يقال ان في هذا الوادي توجد البقر الكفرارية الاستوائية والبقر الكفراوية

الفصل السابع

في نيل فكتوريا

يخرج هذا النهر من بحيرة فكتوريا عند جنادل ريبون وفي اسفل تلك الجنادل يتخذ الوجهة الشمالية الغربية ويظل في سمتها مسيرة عدة كيلومترات ويكون مسيله بين قائمات من الجروف الشجيرة يختلف ارتفاعها بين خمسين وسبعين متراً وسعة مجراه تختلف بين ثلاثمائة الى خمسمائة متر مرصّع أديمهُ بصخور نابتة فيه تنساب المياه منسلة من بينها تارة ومارةً عليها طوراً محدثة في سيرها صففاً من الجنادل بعضها تحت بعض. ومتى صار من البحيرة على مسافة ستة كيلومترات يمر على صخرةٍ مضرَّسةٍ مثل ما في مخرجه فيتساقط ماؤهُ عنها في مهوًى يعرف بجنادل أون ومن تلك النقطة الى بلدة كاجوجي على اربعة وستين كيلومتراً من جنادل ريبون يكون للنهر في تلك القطعة مَسارع ومساقط متتابعة ويكون النهر تحت تلك البلدة رَكوباً صالحاً للملاحة وسيلتهُ مطمئنة منفرشة ينفسح ماؤها مستبحراً تدريجاً حتى يقع في بحيرة شوجا على مائة واثنى عشر كيلومتراً عن مخرجهِ[1]. وأما بحيرة شوجا فبطيحة مستطيلة مهشمة الشكل يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر الملح بقدر ألف ومائة وستة امتار وهي منتشرة شرقاً بغرب ولها ذراعان ينبسط احدهما في سمت الشمال الغربي والآخر في سمت الجنوب الشرقي وهي واقعة بين الدرجة الاولى والثانية من العرض الشمالي وهاجرتي ٣٢° ١٥َ و٣٣° ٣٠َ شرقي جرينج وينصبُّ اليها من طرفها الجنوبي الشرقي نهر جوجونيو وعلى سمت

النانوسية وهي لا توجد الا في ضفاف السملكي الغربية

(١) قد اقتطفنا صفة بحيرة شوجا معظمهُ من كتاب للرحالة كِرْكِبَترِك المنشور في الجريدة الجغرافية سنة ١٨٩٩

الجنوب الى الغرب عن بحر فكتوريا هناك يتصل بها بطيحة أخرى يقال لها بطيحة سنسيوي متقاربة الجنبين وهي غدير مستنقع من نهر سنسيوي يكون طولها زهاء ثمانين كيلومتراً وماؤها منجلب من الجداول والصبابات الناشئة في جنوب بحيرة فكتوريا على تسعة كيلومترات منها . والبحيرة اقصى البقائع الضحلة المسطورة على كثرةٍ في تلك الانحاء الغامرة للجزء الشمالي من قسم بوزوجا ممتدة من حوالي أمرولي الى بنات جبل الجون[1] مساحتها تجوز درجة واحدة مربعة يتصل بها في طرفيها الشرقي والشمالي بطيحة أخرى مستطيلة متقاربة الضفتين[2] وعامة البطائح في تلك المنطقة بها مآجل ومناقع وآجام وسواحلها في مواضع كثيرة منها لا يتناولها البصر لكثافة البردي والعنبج والقصب الثائرة في جوفها الى حدّ انها تجعل الوصول اليها آية في الصعوبة . والبقائع المتقدم ذكرها تذهب على التقريب بين الشرق والغرب على مدى مائتي كيلومتر وينجلب اليها مياه الصّبَب المتحدرة من الجانب الشمالي الغربي لجبل الجون وكذا مياه الإِتي المنسكبة من صغار الآكام المحيطة بضفير بحيرة فكتوريا الشمالي . أما مياه بطيحة شوجا فغالبها رقارق قريبة القاع ربما اختلفت عماقتها بين اربعة وستة امتار والبطيحة من الجهة الشرقية تمد بطولها في مناقع متوالية ولكنها من جهتي الشمال والجنوب تكون أجمة ملتفة الشجر عماده الفربيون[3] ويغشى وجهها طوائف من نبات البردي كأَنها فيها جُزُرٌ وكذا رقارقها وجُوَنها غاصةٌ بالخندقوق وقصب الماء . والبلاد الى الجنوب مستفيضة بالعمارة وفي السهول الحافَّة بها كثير من الآكام المنفردة أشرفها

---

(١) ان اقطار هذه البحيرة لم يسبرها الروَّاد بعدُ حق السبر والخريطة مرسوم فيها بطيحة أخرى معروفة ببطيحة سالسبوري تقع الى الشرق لم تُرَ مرأى العين الا من جبل الجون وذلك على مدًى قصي متباعد

(٢) قاله الرحالة كركبترك

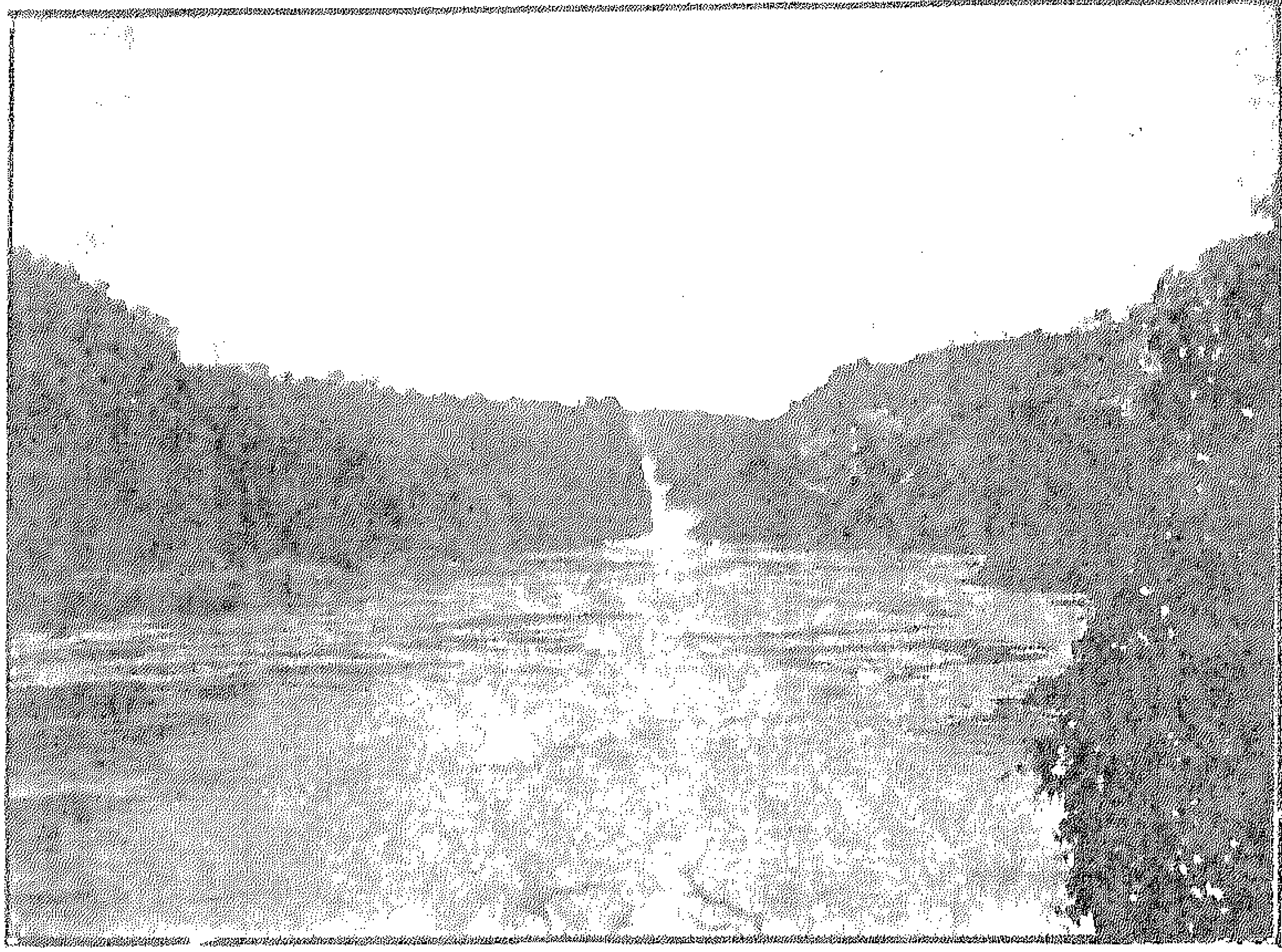
(٣) « « «

حجماً أكمة أوجيرا وهي عن الماء بقدر خمسمائة متر في الارتفاع [١] وأطول طول البطيحة مائة وستة وثلاثون كيلومتر وأوسع سعتها بين جنبيها ستة عشر كيلومتراً . هذا وبحر فكتوريا يمرُّ بالجانب الغربي لتلك البحيرة فيحفُّ بضفيرها مسافة مقدارها ثمانون كيلومتراً ومجراه هناك بيّنٌ ظاهر وعند ملتحمه بالبحيرة ينفسح منبطحاً فيكون هناك غديراً واسعاً ثم يستدير بحضيض روابي بيجي وارتفاعها مائة متر فتكون هي شاطئةُ الشرقي وعند منفذه تقترن بطيحة كوانيا ببطيحة شوجا شمالي روابي ماهوري [٢] وارتفاعها عن البحيرة بقدر ألف ومائة وسبعين متراً ويكون من هذا الغدير بسيط من الماء عظيم تتصعدُ عنهُ الجرة وله بلامراء شأن أكبر في موازنة المياه ببحر فكتوريا . هذا ولا مشاحة في ان هذا البحر تجلب اليه في مسيره مياه كثيرة الى الغاية من الشرق والجنوب على انه في حيّز الاحتمال (كما سنبينهُ فيما بعد) ألاّ يكون في مستدرّ البحر الرامي الى البحيرة اثناء الجفاف والقيظ زيادة تذكر ولو انه يتزايد بالمياه المنصبّةِ من الجداول والانهار الهابطة اليهِ شمالي بحيرة شوجا وعلى ذلك يكون مايزيد في بحر فكتوريا بمياه الممدات كَفاءَ ما تبخر من هذه البطائح الضحلة الواسعة الاطراف وربما كانت مياه البحر عند مخرجهِ من بحيرة شوجا أقل من المياه الصابة في تلك البحيرة . ويبارح النيل البحيرة في نقطة تبعد عن شلاّلات ريبون بقدر مائة واثنين وتسعين كيلومتراً شمالاً وهناك ينحرف ويسير الى الغرب تواً مسافة اثنين وعشرين كيلومتراً حتى ناحية أمرولي حيث العرض الشمالي ١° و٣٩َ فيكون متوسط سعته هناك بين ثمانمائة وتسعمائة متر وجرف ضفتهِ الغربية في تلك النقطة منخفض حاشيته موشومة بالبرديّ واما جرف ضفتهِ الشرقية فرتفع تجللهُ حرَجةٌ فيحاء [٣] . وفي مجراهُ كثير من السدود (المساكات) والناحية

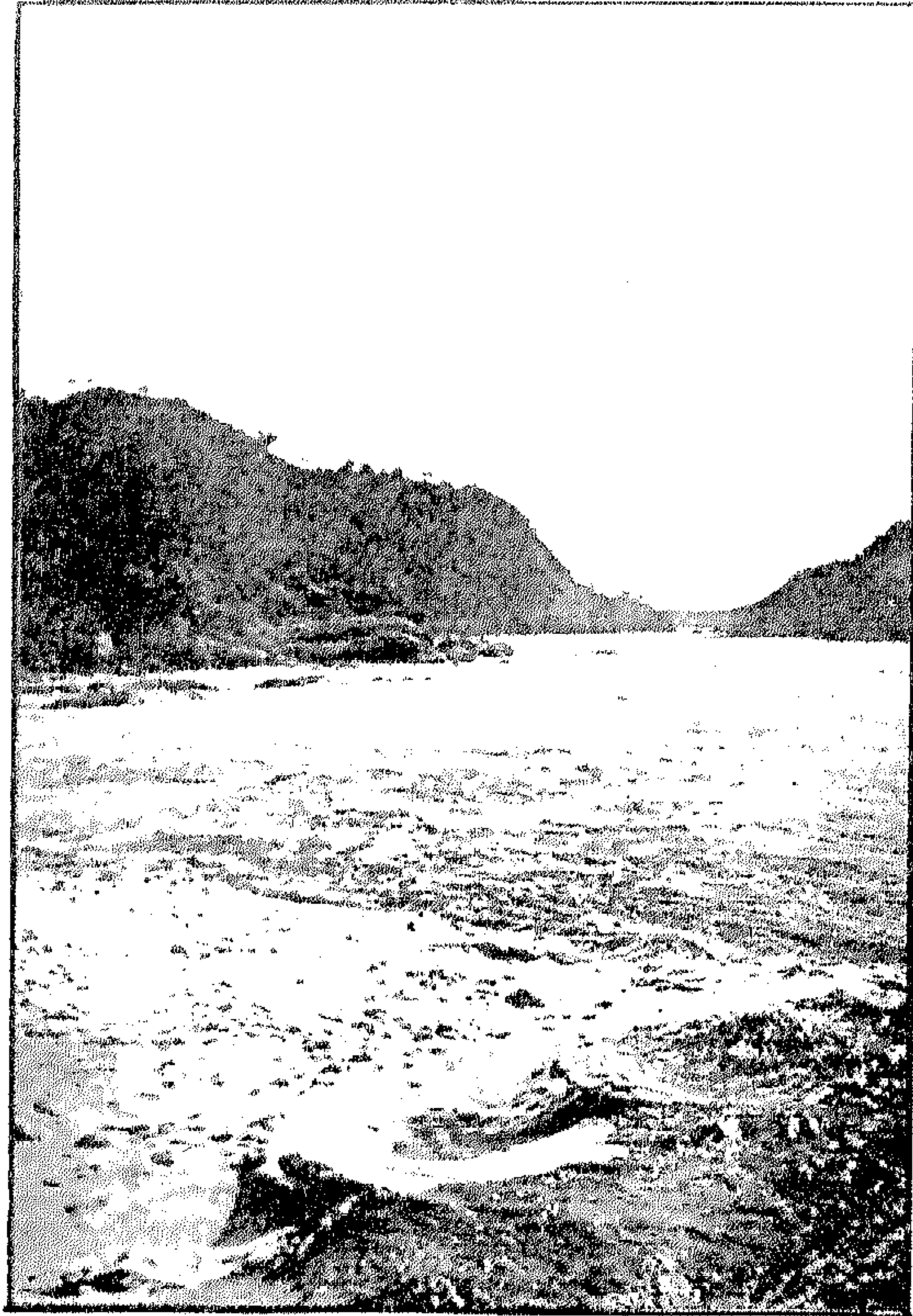
---

(١) و(٢) قاله الرحالة كركبترك

(٣) انظر كتاب « اوغندا والسودان المصري للقس » ولسن سنة ١٨٨٢



شلالات مرتشيسن في بحر فكتوريا من امامه (رسم شمسي للمستر بتشر)



بحر فكتوريا من خلفه من شلالات مرتشيسن عند فاجاو (عن رسم شمسي للمستر بتشر)

المذكورة مُستَوبَلة جوِيّة هواؤها غير موافق وموقع حصن غُردن القديم على الضفير الايمن لنهر كافو ظاهر للعيان وهذا النهر يلتقي بالنيل عند تلك النقطة[١] آتياً من الغرب وهو أهم الانهار الصابة في نيل فكتوريا منبعهُ عند أُنيورو من علاَيةٍ فيها قلعتا لُوغرْد واُجرَنت حيث الطول درجة واحدة والفاصل بين الفرع الذي يسير شرقاً ويصب في النيل والفرع الذي يمر غرباً ويصب في بحيرة البرت متقارب السمة جداً فمخرج نهر موريزي يكون على بعض الكيلومترات عن مخرج نهر كافو. ومسافة طول هذا النهر مائة وعشرون كيلومتراً من مخرجه يذهب في سمت الشمال الغربي ومن ثم تصير وجهته شرقية محضة فيمر على هذا المنوال حتى يقترن بالنيل عند اُمرولي . ومن مخرجه يسير بانحدار قليل في سهل بسيط ويهيم في مستنقع هناك وسعته تختلف اذ ذاك من بين خمسين الى ستين متراً[٢] وفي نقطة تقاطعهِ بالطريق الواصل هوِيما بعنتّبي لا يتجاوز عرضة على ما تبينهُ المستر كريج في شهر مارس من سنة ١٩٠٣ عشرة امتار وقُبيل يقترنُ بالنيل تكاد مياههُ تكون راكدة في ايام الخفاف والقيظ ولكنها في ايام الامطار تطفح وتسيل سيلاً جارفاً فيتعذر حينئذٍ اجتيازه من ضفةٍ الى اخرى. ولهذا النهر ثلاثة مستوردات من الجهة الجنوبية وهي نهر دوبنجي ونهر لوجوجو ونهر معَنَجه وهذا النهر يخرج من نقطة واقعة الى الشمال عن كَمبالا وكلها يجري في وجهة شماليه غربية[٣]

والى ما بعد مرولي ينعطف بحر فكتوريا الى الشمال انعطافاً يكون على زاوية حادة و بعد مسيره ثمانية وثمانين كيلومتراً عن ذلك البلد (اي على مسافة

---

(١) راجع مذكرة الاستاذ فندلور المطبوعة في المجلة الجغرافية في ابريل سنة ١٨٩٧

(٢) قال بيكر في كتابه المعروف « بالبرنت نيانزا » بصعوبة اجتياز ذلك المستنقع

(٣) راجع كتاب فندلور

ثلاثمائة وكيلومترين من شلالات ريبون) يبلغ محـلة فُوَيرا وارتفاعها يُقدَّر بالف وستين متراً عن سطح البحر الملح . واما ضفيره اي ساحلهُ فيما بين مرولي والمحلة المذكورة فنحطٌّ كثير المناقع والادغال على الجانبين ولكن الايمن منهما اعلى من الايسر وهو موشىً بالاشجار[1] . ويلتقي بالبحر المذكور بين هذين المكانين نهر تيتي منصباً اليه من المغرب وذلك على مقربةٍ من مرولي وهو في ايام الفيض غَمرٌ لا يُعبَر وقد يكون في بعض الاحيان ناشفاً لأن مسيله صحراء رملية وهو يخرج من آكام كيزوجا على ارتفاع الف وثلاثمائة متر عن سطح البحر الملح ما بين مازِندي وماشودي . أقول وقد كانت فويره في ما سبق محلة ذات اهميـة ولكنها اليوم صارت قرية كبيرة واقعة على مرتفع غليظ من الارض الى الجانب الغربي للنيل . وعرض النيل هناك خمسمائة متر وماؤه سريع الجرية[2] . ويتصل به بازاء فويره نهر لنجا آتيـاً من الشرق[3] ويلتقي به ايضاً نهر دُرخو على مسافة خمسة عشر كيلومتراً شمالاً قاصداً له من الجهة الشرقية ايضاً[4] . وليس لايِّ منهما اهمية الاّ في ابان فيضها . وفيما وراء فويره على مسافةٍ قليـلة تبطل الملاحة فلا تستطاع لان مياه النيل تنساب مندفعة في شلالات كاروما وذلك في نقطةٍ تكون عن بحيرة فكتوريا على نحو ثلاثمائة وواحد وعشرين كيلومتراً . قال الراحالة السر صموئيل بيكر[5] ان الشلالات المذكورة طفيفة لا يُعتد بها فهي تتزلق عن حرف من الصخر يعترض النهر من الضفة الواحدة الى

---

(١) راجع كتاب فندلور

(٢) قال العلامة فلكنْ في كتابه المعروف « بأغندا والسودان المصري » ان سعة النيل هناك ثمانمائة وخمسون متراً

(٣) يقول فندلور ان العلامة فلكنْ يسمي النهر بنهر كوبولي

(٤) راجع كتاب فندلور

(٥) طالع كتاب « البرت نيانزا » للرحالة بيكر

الاخرى ويكون مسقطهُ عنها بقدر متر واحد وخمسة عشر سنتيمتراً فقط والحرف المذكور واقع في ما وراء النقطة التي ينحرف النيل عندها من الشمال الى الغرب ويلازم تلك الوجهة من عند الشلالات حتى يندغم في بحيرة البرت وتكون سعتهُ عند انحرافه مائة وخمسين متراً ومسيله بين هضبات هاوية يبلغ ارتفاعها خمسين متراً [١] . ومن ثمَّ يسير وعلى جانبيهِ روابٍ مستوعرة كما في مبتدا مجراه في نسيق من الجنادل والمساقط والشلالات وبعد مسيرهِ ثمانية وار بعين كيلومتراً من جنادل كاروما يحتضن جزيرة باتُوان وهي جزيرة لهاطولٌ قدره ثمانمائة متر وسعة قدرها مائة وخمسون وسعة النهر هناك تكون من بين مائة وثمانين الى مائتي متر وفيه ما لا يُحصى من الشماب والصخور والجزُر [٢] .

قال السر بيكر ان الشلال فيما بين تلك النقطة وكاروما يبلغ طوله اربعة وعشرين متراً والمضايق الى ما وراء جزيرة باتوان المذكورة تزداد حزونةً ووعورةً والبر على كلا الجانبين مكسوٌّ حرَجاتٍ ويزداد الانحدار والمسيل يتضايق حتى يبلغ نقطة تبعد عن مخرجهِ في بحيرة فكتوريا بقدر ثلاثمائة وسبعين كيلومتراً وهناك ينثني انثناءً حادًّا الى الشمال الغربي فيسير الى الغرب ايضاً وتمر مياههُ مندفعةً من فوق صخور الشلال المعروف في رواية السر بيكر بشلال مَرْكيصُن [٣] وعرض النهر فوق الشلال توًّا سبعون متراً فقط ولكنهُ يتناقص تدريجاً حتى يبلغ المسقط الحقيقي فتجتاز المياه هناك في مسيلٍ ضيقٍ لا يكاد يبلغ عرضهُ ستة امتار وللمياه هناك ثلاثة مساقط متدرجة . المسقط الاول ثلاثة امتار والثاني متر واحد وسبعون سنتيمتراً وهناك مخرج المياه من ذلك المسيل وهي من ثمَّ تنسكب في مهوى الوادي في انحدار

(١) طالع كتاب « البرت نيانزا » للرحالة بيكر

(٢) قاله الرحالة بيكر في كتابه المذكور

(٣) » » » » » » »

يقرب أن يكون ار بعين متراً[١] . ومن الرسوم الملحقة بهذا الكتاب يتبين ان هذه المساقط اذا نُظر اليها مواجهة لايُستدرك بها امرٌ ما عدا مايستوقف الابصار من شدة اندفاع مياهها فأينما كنت منها على مقربةٍ لاتقف تمام الوقوف على ما لهو يّتها من الاثر في النفس . وأصح ما قيل في صفة هذه المسافط ورد في كتاب للمستر ستيورت بِلتُن نشرته احدى المجلات العلمية[٢] وفيه ذِكر ما للماء هناك من الدويّ المتواتر وبيّنَ كيفية حصول ذلك بالحاجز المعترض في قاع المسيل في اسفل النقطة التي ينتهي عندها المـاء الواصل بين المسقط الثاني والمسقط الثالث قال المستر بلتُن فيصادم الماء ذلك الحاجز فيرتدّ متراجعاً وله فورة هائلة مزبدة فيحتقن الماء الذي فوقهُ وهو بين قائماتٍ من الصخر فيندفع بحكم الطبيعة الى ان يتخـذ منفذاً لاستفراغهِ فيندفق على المسقط الذي تحتهُ ويتبعهُ على الاثر الماء الفائر المزبد الذي يكون الحاجز قد صدّه على ما تقدم . واذا استشرفتهُ من قَبْلٍ كان لك منه بحرٌ من الماء عجّاج يترامى ماؤه عن شفير شاهق الى حضيض الغدير ويتلوهُ على الفور هولٌ من الامواج القاصفة بين كل موجةٍ وأختها فترة من السكون . وقد قيس المضيق الذي تندفع فيه مياهُ النيل قُبَيلَ مسقطهِ الاخير فلم تكن سعتهُ سوى خمسة امتار وخمسة وار بعين سنتيمتراً . هذا وفي ذروة المسقط من علوٍ علاية حجرية قد تآكلت ارضها فكانت فيها صدوع وخروق غائرة يظهر من حالهـا ان مياه النهر كانت مرة تمرّ من فوقها . وقائمات الصخر هناك يبلغ ارتفاعها نحواً من سبعين متراً وهي مستفيضة خضرةً نضرة مبتلّة ابداً برشاش ينتشر في السماء فيحدث به قوس قزَح . ويقول المستر بلتن ايضاً ان مادة هذه المساقط من الطلق البراق البركاني

---

(١) قاله الرحالة بيكر في كتابه المعروف بالبرت نِيَنزا . واعلم ان المسقط الثالث ليس بعمودي الى التمام

(٢) انظر مجلة نتشر (الكائنات)

والطلق الابيض وحجر الصفائح والصوّان[١]

هذا والى ما وراء جنادل مركيصن هناك بلدة فاجاو وفي تلك النقطة معدية كانت القوافل السائرة من أغندا تعبر النيل بها . ولما كان فيه هناك دردورٌ مزدوج كان في ازدواجهِ مصلحة للبحارين في اجتيازه بقواربهم الى الجانب الآخر توًّا بغير التواء او تعريج . وسعتهُ هناك لا تجاوز ثمانين متراً[٢] .

ولا ريب في ان العبور من تلك النقطة يكون محفوفاً ببعض الخطر لوجود التمساح على كثرةٍ في نواحيها وهو مخلوقات تراها مرأى العين جماعات روابض على الصخور تحت المساقط . واذا صار المسافر عن بلدة فاجاو على عدة كيلومترات كان النهر ينعطف مستديراً محفوفاً من كلا جانبيهِ بجروف رفيعة مستفيضة شجراً ويبلغ ارتفاع تلك الجروف من بين مائةٍ سبعين الى ثمانين متراً ومسيلهُ كثير التلافيف وربما حدثت في المنعرجات بسائط من الارض . وفي عامتهِ يكون جانبهُ الايمن اي الشمالي أعلى من الجانب الايسر ومجراه مخلَّصٌ لا حائل يصد جريتهُ وتختلف سعتهُ بين ثلاثة واربعة امتار ومعدل متوسطات سرعتهِ يجاوز ثمانين سنتيمتراً في الثانية[٣] واسفل عن تلك البلدة بمسيرة تسعة عشر كيلومتراً قيس تصرف النهر في العشرين من شهر مارس سنة ١٩٠٣ فكانت سعة مجراه هناك مائتين وتسعة وثمانين متراً وغورهُ يتزايد بين مترين واربعة امتار ومتوسط السرعة تختلف من بين خمسمائة وثلاثة عشر الى ثمانمائة وخمسة وستين ماليمتراً في الثانية ومنطاقهُ يكون خمسمائة وسبعة وسبعين متراً مربعاً في الثانية فهو يزيد على تصرفه عند جنادل ريبون

(١) انظر مجلة « نيتشر » (الكائنات)

(٢) « « « « ١٩ يونيو سنة ١٩٠٢

(٣) وهي تتناقص كلما تدانى النهر من خور مصبهِ

قبل ذلك بشهرين بقدر تسعة وعشرين متراً مربعاً[١] وفي النقطة التي استخرج تصرفه عندها يكون جانبهُ الايمن اي الشمالي عمودياً ارتفاعهُ عن سطح الماء بقدر سبعين سنتيمتراً واما الجانب الايسر فيميل بالتدريج ويقوم فيهِ نبات البردي في مستطيل تختلف سعتهُ بين مائة ومائتي متر وعلى الاشجار هناك آثار تدل على ان معظم مدّهِ في تلك النقطة لم يتجاوز في عدة سنين متوالية متراً واحداً عن منسوب شهر مارس سنة ١٩٠٣ . اذاً يكون مساحة قطاع الغيض قرابة الف ومائتي متر مربع فاذا اتخذنا لذلك السرعة المتوسطة وقدرها سبعون سنتيمتراً في الثانية كان التصرف ثمانمائة واربعين متراً مكعباً في الثانية ولا خفاء ان سرعة الماء في ايام الفيض اعظم منها كثيراً في ايام الجفاف وربما بلغ تصرف النيل الف متر مكعب بتمامها في الثانية[٢] . هذا والنهر الى ما وراء هذه البقعة قلما يوجد منحاشاً تمام الانحياش في مسيل واحد فانهُ ينشعب منهُ ترعٌ تسيل ذات اليمين وذات اليسار محدثةً بذلك جزيّرات وعند تداني النهر من مرماهُ وتقاربه من دلتائهِ (رُكمتهِ) تترامى تلك الترع الى بحيرة البرت تواً ويكون مذهبهُ هناك منحرفاً يسيراً في سمت الشمال الغربي عامة واذا بارحت بلدة فاجاو نزولاً وصرت منها على خمسة وعشرين كيلومتراً ترى جروفهُ قد انحطت كثيراً ومستطيل الآجام قد انفسح مستعرضاً على كلا جانبيهِ وفي عامةً تلك المسافة لا شيء اجمل من مجراه فهو يخترق غياضاً

---

(١) بلغ هذا المنطلق في الثاني والعشرين من يناير سنة ١٩٠٣ خمسمائة وثمانية واربعين متراً مربعاً في الثانية وهذا سنبين اسبابهُ في فصل منطلق النهر

(٢) قد استخرج المستر كريج (مهندس في ادارة عموم المساحة) من هذا التصرف جدولاً من المنطلقات (انظر الملحق الرابع من هذا الكتاب) وجعل جموم مياه النهر ايام المد متراً واحداً فكانت المنطلقات الفاً وخمسة امتار مكعبة في الثانية وهي ازيد من معظم المنطلق عند جنادل ريبون بثلاثمائة وخمسة وخمسين متراً مكعباً في الثانية

معجبةً بهيجة المرأى يزيدها تلوين الاوراق والوان الماء جمالاً على جمال ٠ وجرفهُ الايسر مشحون بملتف الشجر يبلغ ارتفاعه سبعة امتار وعليه عمارة كثيرة من الاكواخ ٠ و بعض الزوارق السابحة في اقطار ضفافهِ ينزع اناسي تلك الجهات الى اقلاعها عن الابصار كلما رأوا مركباً غريباً مقبلاً عليهم ٠ اما جرفهُ الايمن فأحطّ ويكون صعيد الارض عن النهر على كيلومتر او كيلومتر ونصف وعلى جروف تلك الآكام يزكو شجر الموز شاباً في تضاعيف نبات العنبج والبردي[1] ومتوسط سعة النهر هنالك زهاء مائة وثمانين متراً لكن يتفجر من كلا جنبيهِ فيوض ومسايل كثيرة واما ابعد الغور فيختلف بين ثلاثة واربعة امتار وعلى مسافةٍ منهُ في وجهة الشمال علاية مرداء تذهب من سفح العقبة الشرقية الى سواحل بحيرة البرت وهي تحدَّر بميل من الروابي الى ان تفضي الى البحيرة واديها عشيبٌ على كثرةٍ واذا اتيت على ثلاثة كيلومترات من تلك البحيرة يكون هنالك ارتفاعها عن سطح الماء سبعين متراً ومتى صرت الى ارض هي عن بلدة فاجاو بقدر ثلاثين كيلومتراً فانت في بدء رقارق النهر وقلما يتجاوز غورهُ هنالك متراً ونصفاً او متراً وخمسة وسبعين سنتيمتراً وفي مجراه مساكات اى سدود جمة قائمة في جوفهِ كالجزر وهي تحوش ماءهُ فيطغي على جانبيهِ محدثاً في براحها بطائح وآجام واسعة الاقطار وصعيد الارض يتباعد ذات اليمين وذات اليسار[2] ٠ وهنالك قلما يتجاوز ارتفاع جرُف النهر عن الماء متراً وربعاً وهو غاص بمشتبك

---

(١) ان عنبج نيل فكتوريا هو اضخم واكثف ما في عامة نهر النيل من هذا الشجر فبعض ارومهِ اي اجذاعهِ يبلغ قطره ثلاثين سنتيمتراً وعلو الشجرة الواحدة منها من ثمانية الى عشرة امتار

(٢) والى ما وراء ذلك يصير الى خمسة امتار لكن ذلك غير قياسي فهو محلّي فقط لا يلبث ان يعود فينقص الى مترين ونصف متر

النبات المتعرش شبهتهُ ببساط من المخمل الازرق الصافي ومن هذا النبات زهرة الارجوان رائقة الجمال . ثم ان هذه الجزر وتلك الفيوض والمسايل تتكاثر متزايدة . ومن غريب ما رأيناه هناك مصائد السمك وهي عجيبة الشكل يلقون بها في مآخذ المسايل المذكورة وصفتها سلال من خوص مستديرة مقبَّبة سائبة القعر سعة الواحدة منها متران وطولها يختلف بين مترين وربع ومترين ونصف ويكون موقفها في المأخذ على شكل نصف دائرة موجهاً قعرها الى الخلف والصيادون يسوقون السمك اليها فيرتزقون به . هذا وفي اجواف النهر هناك ما لا يحصيه عدٌّ من فرس الماء . واذا صرت من البحيرة على اربعمائة كيلومتر هناك يكون للنهر دلتاءُ أي ركة وهو يخترق مجمعاً من المساكات يعلوها نبات البردي والقصب ولهُ هناك شُعَبٌ متعددة ترمي الى البحيرة من كلا طرفيها والى يسارك نجاد الارض بينها وبين النهر مسيرة نحو كيلومترين والى يمينك مناقع تمد بطولها الى أمدٍ بعيدٍ وكلما تقارب النهر من البحيرة قلَّت جريتهُ حتى انك تراه في مسافةٍ منه قبل مرماه الى البحيرة كأن لا جرية له ولا تحسب ماءهُ الا راكداً مستقرًّا في حين ان مجراه لحد الحاجز قويم على مخرتٍ واحد ليس فيه الا تعاريج هيِّنة . هذا ومتى صار عن بحيرة البرت على كيلومتر واحد يسارع غورهُ الى التناقص وترى في البحيرة منه حجاباً مستعرضاً داخلاً فيها . ومن المستصعبات ان يرى المرء الى اجتياز ذلك الحجاز سبيلاً . ففي اكثر المواضع لا يكاد يكون غاطسهُ اي غوره ثلاثين سنتيمتراً وما بلغ ستين سنتيمتراً الا في موضع واحدٍ فقط . واصعب من ذلك استجلاء مخرجهِ والاستدلال عليه وانت راكب متن البحيرة فجُلُّ ما يتراءى لعينيك ان هو الاَّ مجارٍ لا حصر لها ولا عدَّ تحلَّبُ من تضاعيف نبات القصب فان لم تستعن بمرشد يتعذر عليك ان تصيب مجرًى يتيسر لك الدخول منهُ في النهر . ويكون مسافة ما بين مخرجهِ من ضفة بحيرة فكتوريا ومصبهِ

في بحيرة البرت اربعمائة وثمانية كيلومترات اما رُكنته فاشبه بمروحة تكون سعتها عند رأسهِ زهاء سبعة كيلومترات وكله غاص بسامق العنبج ومتشابك البردي ويكون الرُقارق في البحيرة ممتدًّا في مدى عدة كيلومترات ويعرف هذا الموضع بماجُنجو تسمية له باسم المحلة القديمة والحصن اللذين كانا على الجانب الايسر للنهر عند تفريغهِ في البحيرة وقد حفَتها المياه في زمن بعيد العهد فاتت عليهما . واذا تطلعت الى النهر في بعض المسافة منهُ في إدبارته قُبيل ان يصب الى البحيرة قامت في الخاطر منكَ مشاهد عجيبة ولا سيما حين مغيب الشمس . ثم تحوَّلْ الى الغرب الى ما وراء بحيرة البرت ترَ في اديم السماء جبالاً متشامخة يتسامى بعضها فوق بعض تكون بمرأى العين قنأناً متناسقة غريبة المنظر مختلطة الهيئات والاشكال . ثم اعدلْ الى الشمال تستجلِ مرتفعاتٍ من الارض نجاداً قصيُّها يتداخل ظليلهُ بغمام العشيِّ البنفسجيّ . والآكام في اثناء تواري الشمس يبعث ادناها الى العين بلونٍ ارجوانيّ مُشبَعٍ في حين ان عُلياها تختال عجباً بورديتها . ناهيك ما ينعكس عن نسيج الماء من زواهر الوان الجو . ويحيط بمستوسع النهر على حفافيه سافٌ من البردي ذي الحواشي زيتونية الطيف . والى ما وراء هذا وذاك تنسطح البحيرة بجلالها وفي الماء منها ظلال الجبال القصوى . واذا صارت الشمس الى الاحتجاب في اطواء الجبال ترى سماء الغرب يتبدل لونها الوردي بما يشبه اللهَب وبجانبهِ الآكام حليتها زرقاء ولا زرقة النيلة ألاَ انَّ في هذا التباين والتباعد في الالوان العجبَ العجاب



الفصل الثامن

في بحيرة البرت (١)

اكتشف هذه البحيرة الرحالة السر صمويل باكر في سنة ١٨٦٤ وهي تقع بين درجة وتسع دقائق ودرجتين وسبع عشرة دقيقة من العرض الشمالي وتندرج فيما بين ثلاثين درجة وخمس وثلاثين دقيقة وإحدى وثلاثين درجة وثلاثين دقيقة من خطوط الطول شرقي جرينج (٢). شكلها يقرب ان يكون هليلجياً طرفها الشمالي اكثر استدقاقاً من طرفها الجنوبي. عامة ضجعتها شمالية بانحراف الى الشرق. صفتها تختلف اختلافاً كلياً عن صفة بحيرتي البرت ادورد وفكتوريا مستطيلة قليلة الفساحة يحيق بها في كلا جنبيها من الشرق والغرب هضبات شاهقة تكاد تحف بضفافها. اما اقصى طولها فنحو مائة وستين كيلومتراً وسعتها بين الضفتين تختلف بين ثلاثين وخمسة واربعين كيلومتراً (٣). وقد تطلّعها عقيب اكتشافها كثيرٌ من الروّاد (٤) وركب ظهرها جسّي باشا وميسُنْ بك وطافا بها مستديرين ووضعا في اوضاعها وابعادها رسوماً نظرية أولية غير انها لم يوضع لها الى الآن خريطة مساحة أصولية. ويقع في طرفها الجنوبي مناقع واسعة الاقطار. والى الشمال ترى الجبال المتاخمة وقد تجافت متناحية عن البحيرة من كلا شفتيها أمداً يذكر. وما خلا هذا

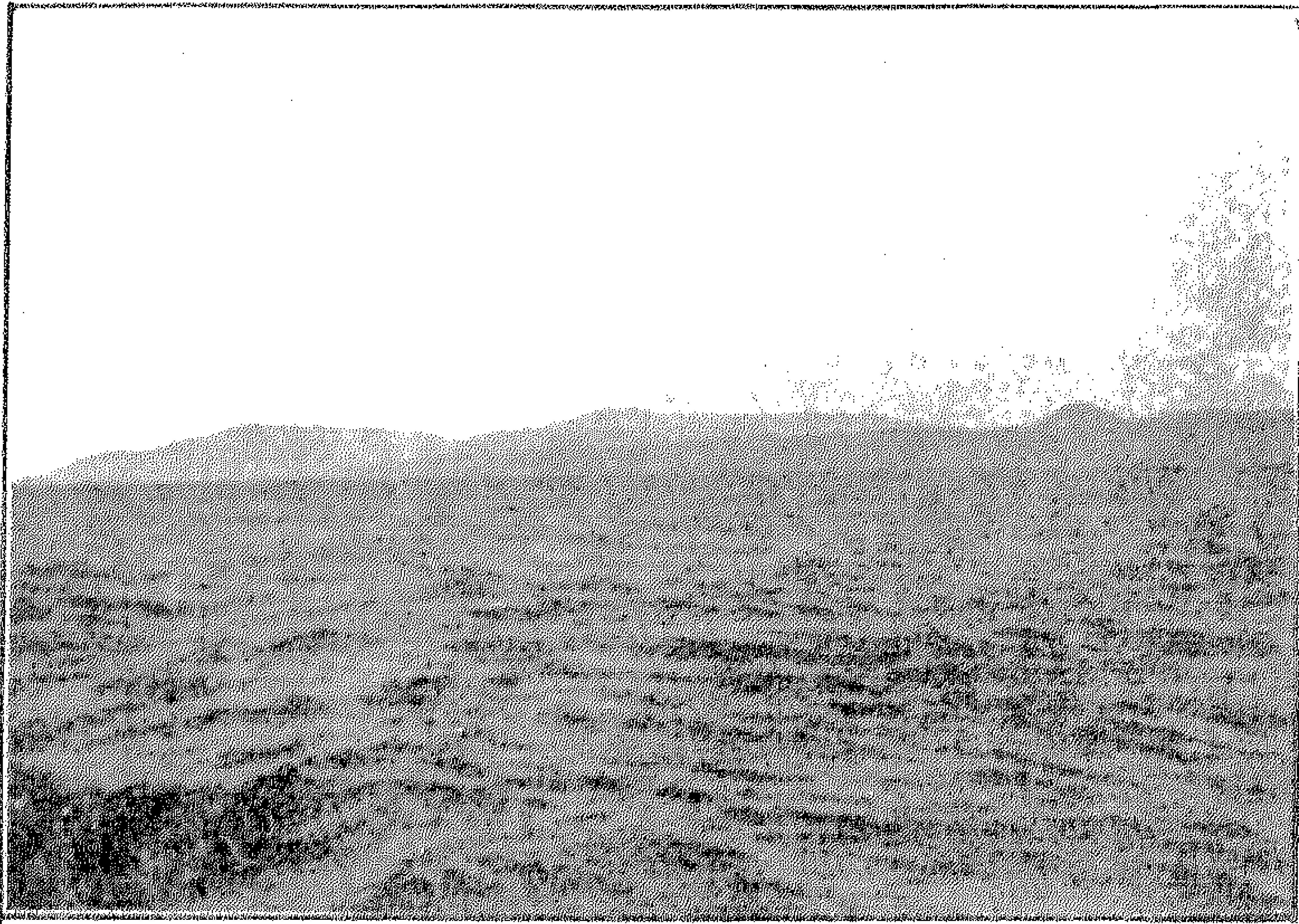
---

(١) وتعرف عند اناسي ذلك الاقليم ببحيرة موتنزيجي او لونزيجي ومعناه ميّت الجراد

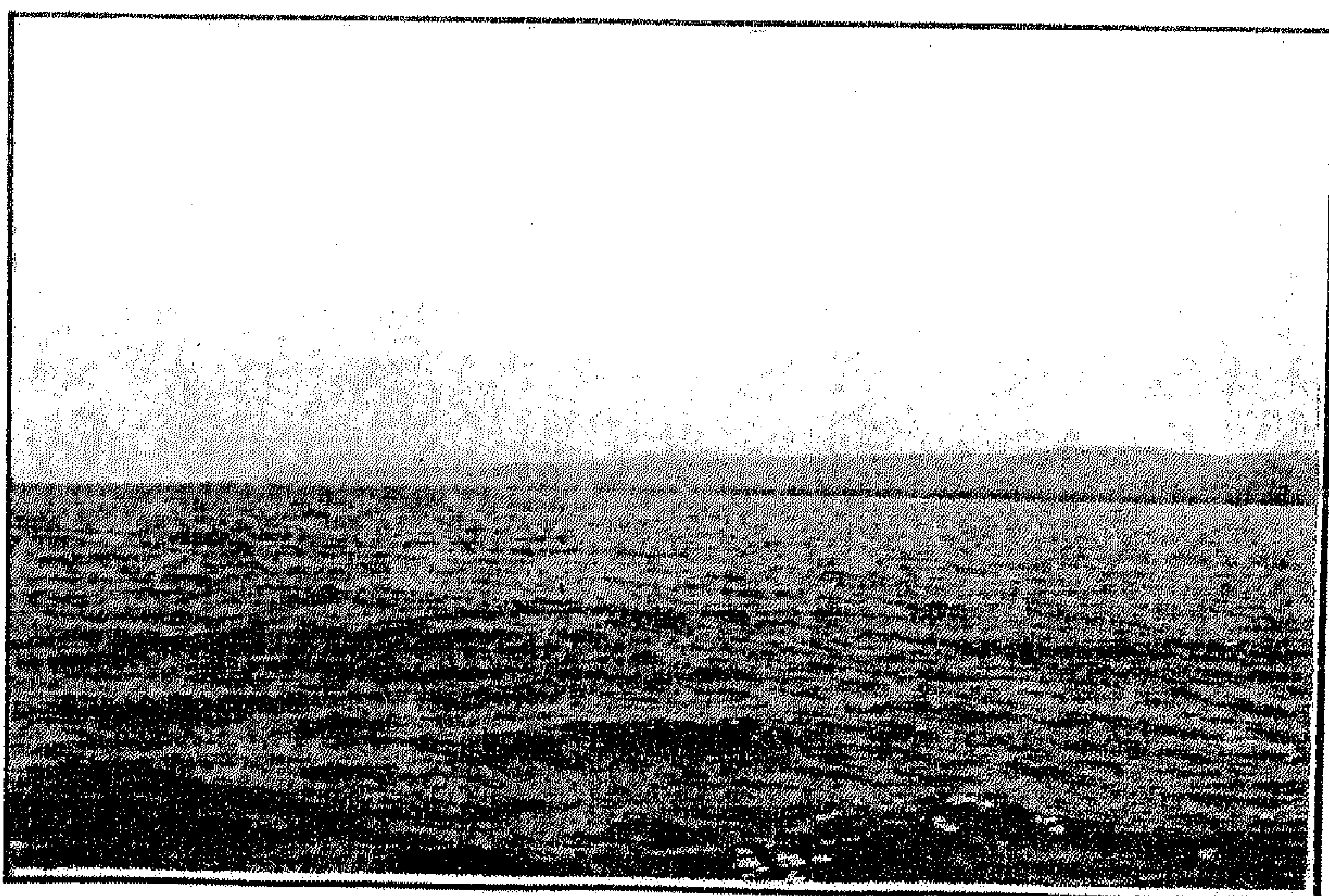
(٢) أُخذ العرض والطول عن احدث الخرائط عهداً

(٣) رواية الرحالة دومُرتُن ان طولها مئتا كيلومتر وعرضها خمسون ولكن الاستقصاءات التي عقبت روايته يؤخذ منها ان تقديره يتجاوز حد الصحيح فانهُ قد اتضح ان عرضها قبالة كيبيرو خمسة واربعون كيلومتراً فقط وهو معظم سعتها

(٤) اشهر هؤلاء جسي وامين واستلمن وأستنلي وجِيفصُن وفلكن وجروجن



ضِفَّة بحيرة البرت الغربية



ضِفَّة بحيرة البرت الشرقية

التجافي فان ساحلها متضايق حتى لقد يلاحف ماؤها في مواقع منه اسافل تلك الهضاب . هذا وعماد ما يرمي الى هذه البحيرة من الانهار انما هو نهر سملكي فهو ينقذف اليها من طرفها الجنوبي حاملاً اليها ما فاض من بحيرة البرت ادورد وما يتحلب اليهِ من سيول جبال الرونزوري وما يتلقاه من مياه كثير من الآكام الشرقية الكبرى التي تكون في تلك الانحاء حداً لمقاطعة الكنغو الحرة . ذلك فضلاً عما يفيض اليها من العيون الجارية من المغرب والمشرق[١] . وعامة هذه المسايل تجرى في عقبات وعرة محدثةً في سيرها شلالاتٍ تارةً ومساقط طوراً يكون بعضها عظيم الهويّ كبير المقدار . ويدخل البحيرة من طرفها الشمالي نيل فكتوريا والعرض الشمالي هناك درجتان وسبع عشرة دقيقة . هذا والمتعارَف عندهم أن منتهى البحيرة هو مبتدأ بحر الجبل لكن الصحيح ان البحيرة تذهب بطولها شمالاً امداً بعيداً وتتضايق حتى تصير مجرًى من الماء ينفجر منها ويُطلَق عليه اسم بحر الجبل وهو المخرج الفَرد لهذه البحيرة . اما مضاجع السيل المفضي اليها (ومنها وادي نهر سملكي) فتبلغ مساحتها زهاء اثنين وثلاثين كيلومتراً مربعاً وارتفاع البحيرة عن سطح البحر الملح مقدر بستمائة وثمانين متراً[٢] وعماقتها في اواسطها لم يسبق سبرُها[٣] لكنهُ من شاطئها على الجانبين الى مدًى بعيد

---

(١) المسايل الشرقية تنصرف اليها مياه علاية أنيورو الرفيعة الواقعة بين نيل فكتوريا وبحيرة البرت ويكون لبعضها (مثل أُمزيزي وأَنجوسي) اهمية كبرى . واما مطارح السيل على الجهة الغربية فقليلة السعة الى الغاية ومنحدرها مزاحم للبحيرة . ولما كان صبب الجبال الفواصل حادًّا حتى لقد تشبّه أسنمتها بحد السكين كان لا بدَّ من ان تكون مياه هذه المسايل قريبة الجرية وهي في الواقع سيول لا نهيرات جارية مستديمة السيلة

(٢) وعلى ذلك اكثر الباحثين

(٣) ما ذلك الاّ لخشونة ظهر البحيرة وشدة العواصف فالريح تثور فيها بغتةً على

في يمها قلما يتجاوز عشرة او اثني عشر كيلومتراً[١] قاعها طبقة غليظة رَخفةُ الطينة لزجتها اجترفتها مياه نهر سملكي وممدات الجداول التي تقع فيه على كلا جنبيهِ . وقد تكونت في البحيرة عند مصب نيل فكتوريا فيها دَلتاء اي ركمة كبرى تمتد في جوفها الى مدًى بعيد . اما اقطار الطرف الجنوبي للبحيرة فمناقع فيها منابت البردي والمنبج يبلغ مسطح اقطارها مئين من الكيلومترات المربعة ومصب نهر سملكي كَنِين متوارٍ بكليتهِ عن الابصار تحجبهُ اجمة عشبية هو يخترقها والغور عند الشاطئ قريب قد لا يجوز متراً واحداً وربما كان في العموم اقلّ من ذلك بكثير . وفي ضفاف الشط الغربي تصادف بعض الجزيرات وان شئت قلت ضحاضح او رقارق من البحيرة قد ارتفع قاعها على ممر الايام حتى نشز منه . وما زالت على ذلك حتى اتصلت شيئاً فشيئاً بالبر[٢] . وماء البحيرة في بعض المسافة عن ضفافها عامتهُ نقيٌّ صافٍ لكنه زعاق أجاج كريه المذاق وأما في اواسطها فهو عذب زلال وتربة المرتفعات القُربى يداخلها شيءٌ كثير من الأملاح وفي كيبيرو[٣] على الضفير الشرقي ملاحات واسعة يرتفع منها شيءٌ كثير من الملح يُتعامل به بالمتاجر . وفيهِ ايضاً عيون كبريتية حارة وكذا في الساحل الغربي . اما لون مائها فأخضر قاتم وهو في نصفها الجنوبي صافٍ ولا صفاء البلُّور ونصفها الشمالي لا سيما ما كان منه الى الضفة الشرقية يعلوه غشاء ثخين القوام اخضر اللون وهو الطحلبُ المائي . فاذا كان الماء راكداً

غير انتظار حتى يخشى على المراكب من شرها اذا هي حاولت العبور من ضفتها الشرقية الى الغربية ولذلك قلما ترى الملاحين يوغلون فيها متباعدين عن شاطئها وبأنفسهم يجازفون

(١) اقصى الاسبار المعروفة عن ساحلها الغربي قد نُقلت عن امين باشا وهي ستة عشر او سبعة عشر متراً

(٢) اطّلع الرحالة جسّي جزيّراتٍ في جانب البحيرة الشرقي وما لبثت هذه الجزيرات أن اتصلت بالبر فأصبحت اليوم جزءاً من قادمة الساحل

(٣) عرضها الشمالي درجة واحدى وار بعون دقيقة

ساكناً فيكون منظر سطح الغثاء كالمرمر المخطط منظر غريب مدهش[١]

هذا ومشاهد البحيرة في مواقع منها طُرفة في البهاء والجمال . فالجبال الغربية[٢] شكلها مختلط غير نظيم ولهـا قنانٌ محددة الرؤوس ميولها وعرة ذات اخوار أخاديدها عميقة ويرى الرائد في تلك الانحاء ثلاثة سطور من آكام مرصوصة متراكمة بعضها وراء بعض وفناء الارض في مقدمتها مكسوٌّ بمشتبك الشجر واذا تحولت الى الجهة الشرقية ترى الهضاب تتصاعد تصاعداً حادّاً بعض مئين من الامتار عن سطح البحيرة حتى تلتحق بعلاية أُنيورو ويغلب فيها ان تكون غزيرة الخضرة واذا استقبلتها وانت في صقع البحيرة فهي طباقٌ متناسقات من اشراف المرتفعات يتخلل مجموعها في فترات مكاسر تكون مضايق وعرة تنفجر اليها مياه الانهر مندفعةً في شلالاتٍ يرتفع من انحدارها فيها زَبد متراكب ناصع البياض وهذه المضايق كثيرة الادغال وهي مَجال لأسراب الفيلة وهي من الكثرة بحيث لا يحصيها انسان تسير فيها ذهاباً الى البحيرة واياباً منها وتطوّف في عامة اقطار المنطقة على كلا الجانبين . والى شمالي كيبيرو في سمت الغرب تتباعد الهضاب عن البحيرة ويكون ما بينها براح مسطوح من الارض يقارب نقطة اجتماع النيل بالبحيرة ويكون عرضهُ زهاء اربعين كيلومتراً . ولم نرَ للنهر في البحيرة في شهر مارس سنة ١٩٠٣ جرية بينـةً ولم نتبين له سيلة ايضاً في شمالي مجمعهِ فالمياه هناك راكدة في مسافةٍ يبلغ طولها عدة كيلومترات . ولمـا أن تدانت ضفتا البحيرة هناك وتضايق طبق الماء بينهما تضايقاً كلياً حينئذٍ ادرك البصر نهراً منبثقاً منها ذاهباً في سمت

---

(١) أحضرت عينية هذا الماء في سنة ١٩٠٣ وبُعث بها الى بلاد الانجليز طلباً للتحليل ويوم أنا أكتب هذا لم تكن نتيجة التحليل قد بلغتني

(٢) أطلق امين باشا على هذه الجبال اسم جبـال لوري لان اقطار غربي البحيرة آهلة بقبيلة لوري

الشمال[١] . وها انا ذاكر بأكثر بيان ما لسواحل البحيرة من الخواص والخصال العامة[٢] فأقول :

اذا اخذتَ من الطرف الجنوبي للبحيرة واطردت شاطئها الغربي يكون البر هناك بسائط مستوية من الارض واسعة الارجاء تمتدُّ بفساحتها مسافة تختلف بين كيلومترين وثلاثة كيلومترات عن البحيرة ويتاخم هذه البسائط جبال شامخة وعرة يتفاوت ارتفاعها عن سطح البحيرة من بين سبعمائة الى ثمانمائة متر وفي تضاعيفها كسور وفجوات متباعدة هي فسيحة المنفجر تتصل بالساحل ولكل منها في بطنهِ مسيل تترامى مياههُ في مساقط هي من الجلال والجمال بمكان[٣] . وفي هذا الموقع من البحيرة رأس نِيَمْسَسّي أي قادمتهُ وكان مرةً جزيرةً منعزلة عن البر يفصلها عنه مضيق من الماء[٤] . ويزول السهل عند كاكاناما على مسيرة ثمانية واربعين كيلومتراً من الطرف الجنوبي الغربي للبحيرة لما ان الجبل ينعطف انعطافاً كلياً الى الشرق توّاً متنازلاً الى البحيرة فيكون منه هناك مرتفعٌ عظيم . والمنظر من تلك النقطة خشن غليظ جدّاً فان الآكام تذهب في الجو كالعماد فيكون ارتفاعها ثمانمائة متر وتقوم في يمّ البحيرة هدفات عظيمة من الصخور ينطح الماء هامَها نطحاً فيحدث هديراً كالرعود

---

(١) قال فِلكِنْ في كتابهِ « أغندا والسودان المصري » المطبوع في مدينة لندرا سنة ١٨٨٢ انه رأى للبحيرة في دسمبر سنة ١٨٧٨ عند مصب نيل فكتوريا فيها تيارين يجري احدهما الى الشمال صوب بحر الجبل والآخر يمر في سمت الجنوب الغربي وكلا التيارين في شخص البحيرة .

(٢) اخذنا خواص ساحلي البحيرة الشرقي والغربي عن رواياتٍ لعدة عبّارين وروّاد

(٣) كتاب « امين باشا في اواسط افريقيا » لفلكن المطبوع في مدينة لندرا سنة ١٨٨٨

(٤) الكتاب المذكور

القواصف اذ ينفرط عقده متناثراً في السماء[١] رشاشاً. وعامة هذه الفجوات في تلك الصخور بطونها محشوكة بالاشجار والادغال وفي مسايلها شلالاتٌ ينساح عنها ماءٌ قَراحٌ يتهافت في البحيرة منـدفعاً فيها مئاتٍ من الاقدام واكثرها يُحدث في تلك البحيرة ركمة ربما بلغت مساحتها خمسة افدنة[٢] . ولقد دلت الاسبار على ان غور ماء البحيرة هناك يتقلب فيما بين خمسة امتار الى سبعة عشر متراً لكنهُ عند البر قريب للغاية . واما قاع البحيرة فمن حماءٍ أي رَدَغة من طين اسود[٣] . واذا كنت على مائة كيلومتر من الطرف الجنوبي للبحيرة فأنت في بلدة مَهاجي المعروفة بإمسنوَى على درجة واحدة واثنتين وخمسين دقيقة من العرض الشمالي هنـاك تعود الهضاب فتفارق البحيرة فيكون من ذلك مَرج واسع الاقطار يبتدئ من ضفة البحيرة وتبلغ مساحتهُ قرابة خمسة آلاف فدان من الارض[٤] ويحيق به من جميع جهاتهِ جبال مدرّجة شاهقة مقوّسة محدودبة أسماها جبل نِيديَا ارتفاعها نحوٌ من ثمانمائة متر[٥] وهناك محلة امين باشا وقد أُقيم حصنها في صَرحة اكمة في أواسط المرج . روى جفصن في ابريل من سنة ١٨٨٨ ان المرج محشوٌ عمارةً وهو آهل بالخلق الكثير . ولقد كانت بلدة مهاجي فيما سبق اشرف محلَّةٍ على الساحل الغربي للبحيرة وكان يقيم بها جندُ حامية الكنغو الحرة[٦] . وتربة المرج في تلك البلدة لينة ابليزية مَكرُمَة للنبات تذهب من البحيرة الى مدى يقدّر بثلاثة

---

(١) كتاب «امين باشا في اواسط افريقيا» لفلكن المطبوع في لندرا سنة ١٨٨٨

(٢) الكتاب المذكور

(٣) كتاب «امين باشا» لفلكن . وهناك عيون حارة تكون في اسافل تلك الهضاب

(٤) كتاب جفصن

(٥) كتاب فلكن

(٦) يقال ان بلدة مَهاجي قد هجرها أناسيها لوخامة مرتعها ووبال هوائها على الابدان وعمّروا لهم محلةً أخرى في موقع اكثر وُغولاً في البر

كيلومترات عنها وسقاياتها على جدولٍ يأخذ ماءهُ من وادٍ مندرج بين الهضاب التي حولها والآكام الى شمالي مهاجي تكون بازاء البحيرة ويتخلل سيرها بسائط من الارض الى حد الكيلومتر التاسع والعشرين وهناك أنف ضخم من جبلٍ يحفُّ بضفة الماء . ثم سرنا مطيفين بذلك الانف مسافة ستة عشر كيلومتراً فخرجنا الى تُنجوري (وهي مَهاجي الصغرى[1]) تقع من جانب البحيرة الجنوبي على مائة وستة واربعين كيلومتراً ومن جنوبي النقطة الواقعة على الشاطئ الغربي قُبالة مصب النيل في بحيرة البرت عند ماجُنْجو وهي بلدة قائمة في شبه جزيرةٍ كانت مرةً جزيرةً وبينها وبين البراليوم مضيق مستطيل بسيط من الرمال ويندرج فيما بين هذا المضيق والشاطئ كثير من الغدران قريبة الغور . وكانت البلدة محلَّة غُرْدُن القديمة

واذا تنظَّرت الجبال من ذلك الموضع مستقبلاً الشمال تراها تنحرف فوراً عن مذهبها فيتأتى من انحرافها فضاء فسيح يقع حذاء نهر النيل . وليس نزول البر على الضفير الغربي بسهل الاّ عند مهاجي وفي موقع آخر أو موقعين فيه . وأذكر ان المستر جروجان تتبع هذا الضفير راجلاً وذكر ما لاقاه من الجهد والعناء هو والحمّالون في الاطافة بالآناف التي لا يحيقها في تلك البقعة عدٌّ ولا احصاء[2] . وعلى مقربة من البحيرة هناك ترى سلسلة من الروابي تمتد مسامتة لها على محاذاتها يتراوح ارتفاعها من بين مائتين الى ثلاثمائة متر وتلوُ هذه السلسلة سلسلتان أُخريان ارفع منها احداهما تشرف على الاخرى ولهما قنان مستغربة الشكل وكلها توجد فيها الاشجار مشتتة في بطونها على

---

(١) روى جنفصن ان عيوناً كبريتيةً توجد في اصقاع ما بين مَهاجي وتُنْجورو قال ان الماء حرارتهُ مفرطة لا يطيقها اللمس ولونها في مضاجعها اصفر زاهر

(٢) كتاب « شقة ما بين الرأس والقاهرة » للمستر المذكور مطبوع في مدينة لندرا سنة ١٩٠٠

قلةٍ وهي زَعراء قليلة النبات[1] . هذا وجبال الطرف الجنوبي للبحيرة أسمى بكثير من جبال الطرف الشمالي واذا جاوزتَ مَهاجي تكون هيئة الروابي الغربية في هذه النقطة اكثر انبساطاً وتسطيحاً منها في جنوبيها وليس في ضفيرها من كلا جانبيها الاّ ما قلّ من الخلجان عمدتها خليج كيبيرو ولكنهُ لا يتداخل كثيراً في البر . اقول والبحيرة يقع منها بقدر نصفها فيما بين عمادين من الحجر الصلد تزهق من منظرها النفس ملالاً وكلالاً لولا ما فيهما من الرؤوس والانوف المتناسقة التي تبدّل مَلالَتها وتغيّر سآمتها وهي في تضاعيفها شطوط ينزلها صيادو السمك

اما الشاطئ الشرقي للبحيرة من طرفها الجنوبي الى مسافةٍ قصيّةٍ منه فلهُ شَبَهٌ بالشاطئ الغربي ووجهُ الشبهِ في ذلك ان قادمة العقبة تحدر متساقطة الى حد الماء ويكون منه هنالك هاويات ووهادٌ يبلغ متوسط ارتفاعها خمسمائة متر . والبحيرة يرمي اليها من طرفها الجنوبي الشرقي نهر امسيسي فيفيض فيها من خليج متقارب الجانبين ربما بلغ طوله ستة عشر كيلومتراً وقد تبلغ سعتهُ عند مصبهِ كيلومتراً ونصفاً . ومياه النهر تنسكب مترامية على ظاهر العقبَة ويكون انصبابها هنالك ملذّا للناظر اليه ومرماه زهاء مائتي متر[2] . وما كدنا نكون عن هذه النقطة على نحو ستة عشر كيلومتراً (فيما بينها وبين امباكوڤيا[3] حيث العرض الشمالي درجة وخمس عشرة دقيقة) حتى صارت الهضاب تحدر توًّا الى البحيرة غائصة فيها . اما البلدة فمَصْيَدٌ في

---

(١) تكون الميول الغربية لجميع الروابي الذاهبة من الجنوب الى الشمال في تلك المنطقة عامتها اقل تحديراً من الميول الشرقية ولكن الغربية اكثر عمراناً بالغابات والادغال

(٢) انظر كتاب « استطلاع بحيرة البرت » لرومولوجسي (الجمعية الجغرافية بمدينة باريز يونيو سنة ١٨٧٦)

(٣) هي ڤاكوڤيا بيكر محلة بلغ بيكر عندها بحيرة البرت وذلك في ١٤ مارس

بسائط لها من السعة كيلومتر ونصف وكل بسيطة منها مندرجة فيما بين انفين يتباعد احدهما عن الآخر بقدر ثمانية كيلومترات . وأديم الساحل هناك من رملٍ خشن قال بيكر لو علا ماء البحيرة في ابان مدّها بقدر اربعة امتار ونصف لرأيت هذه البسائطَ مغمورة بالماء حتى اسافل الآكام الشرقية(١) . ثم ضربنا مسافة قدرناها بثمانية واربعين كيلومتراً في سمت الشمال فاذا بالهضاب تحف بالبحيرة متاخمة لها وعامتها يتصاعد من الماء توًّا وربما كان للبحيرة في بعض المواقع هناك ساحل مستطيل قليل السعة يفصلها عن تلك الهضاب . اما أنف جبل هوجا فمستطيل شامخ في السماء تربتهُ صخرية مستفيض بملتف الشجر ومتشابك الدغَل(٢) . ومتى جاوزت هوجا في سمت الشمال كانت المنبسطات تنفسح منفرجة فتنكشف عن قرًى قائمة في جوار البحيرة ثم اذا أوغلت مسافة قدرها خمسة عشر كيلومتراً أخرى رأيت الهضاب تعود فتتدانى من الماء وهناك شاطئ خليج كيبيرو وفيما بين أُمبا كوفيا وهوجا نهران يرميان الى البحيرة احدهما نهر أُنجوسي الى الجنوب(٣) وهو ثالث الممدات الكبرى التي تفضي اليها والآخر نهر نيا كرنجو . وساحلها حاشيتهُ آنافٌ متتالية نادرة من الجبال آخرها الخرشوم المحيق بخليج كيبيرو . اقول وهذا الخليج هو اشرف الخلجان النافرة من البحيرة سعتهُ ستة عشر كيلومتراً وعليه قرية كيبيرو ومصانع الملح وهي عن الطرف الجنوبي للبحيرة على ثمانية وثمانين كيلومتراً

سنة ١٨٦٤ — انظر كتاب « البرت نيانزا » المطبوع في مدينة لندرا في سنة ١٨٨٢

(١) كتاب « البرت نيانزا » طبع في لندرا سنة ١٨٨٢

(٢) » » » » » » »

(٣) يعرّفه بيكر باسم نهر كاليجيري ولعلهُ الاسم المعروف بهِ النهر عند أناسي تلك الاصقاع وهو لم يتنظّره الا عند مصبهِ قال والنهر شلالٌ مسقطهُ ثلاثمائة متر وهو أجمل واشرف المساقط القريبى للبحيرة

ومنهُ ينحدر في البحيرة نهرا واهَمبو وهويما وهنا ترى غابتي بوجوما وبيدُنجا تلازمان في ذهابهما العلاية الشرقية الى أمدٍ بعيد وهما من حيث الخاصة الاقليمية كريمتا النبت نَضِرَتاهُ وهما آهلتان بالفيلة من حيث لا عد ولا احصاء. وكان حصن كيبيرو القديم على الهضبة الواقعة قبالة الخليج على ارتفاع ستمائة متر عن سطح البحيرة وهناك شعبة من الطريق تؤدي الى هويما مركز قسم أنيورو وهو عن كيبيرو على نحو اربعة عشر كيلومتراً وكانت هذه الطريق قُبَيل نجاز سكة المركبات بين عنتبي وبوتيابو مبدأ خروج السيارة نزولاً في النيل . وتكون البحيرة حيَال الخليج في جُمَّة سعتها وتبلغ خمسة واربعين كيلومتراً . وفي حضيض الهضاب تكون الارض بسائط واسعة تلحق بضفاف البحيرة وهناك يتعامل الاهلون بالملح وكان فيما سبق ينقل منهُ الى اقطار اوغندا وانيورو . وفي جوار تلك الاقطار عيون كبريتية ماؤها حارّ وماء البحيرة هناك رقارق قريب الغور جداً في مدًى من يمها وضحلتها حادثة من تراكم الطين في جوفها مجلوباً اليهـا بمياه الانهار الرامية اليها حتى تخلَّق من ذلك بسائط غريلية ابليزية صارت ركة اقيمت عليها بلدة كيبيرو ولا تزال تلك البسائط توغل كل يوم ممتدة في البحيرة في شكل لسان . قال أمين باشا ان عيون الكبريت الحارة تنفجر من سفح سلسلة جبال شاهقة وهي تقع في خور بعيد الدَرَك يكون في انحاء قاعه كتل صخر وركام أخرى منبثة في اديمه وارض ذلك الخور والحجارة الراسية فيـهِ سخنة حراقة حتى لا تطيقه القدم حافيةً وانت تسمع للماء هناك ازيزاً وبقبقةً وترى في البقعة مثين من نفَّاثات البخار وعيوناً ينبثق ماؤها متدفقاً يطبق بخارهُ الفضاء وهو صافٍ شفافٌ درجة حرارته تختلف من بين مائة وخمس وثمانين الى مائة وخمس وتسعين درجة بميزان فهرنهيت ولهُ ريح خفيفة[1] . اما تربة هذه البسائط الغريلية فمشحونة

(١) راجع كتاب «امين باشا اواسط افريقيا» للدكتور فلكن مطبوع في لندرا سنة ١٨٨٨

املاحاً مثل سائر الانحاء المستديرة بالبحيرة وهم يستخرجون منها الملح بأن يسكبوا على الارض ماءً يمتزج بترابها ثم يستنضبون ماء المزيج بالتبخير فينجلي عن ملح خشن الحبيبات ملوَّح اللون اشهبهُ مرُّ المذاق . والآكام في هذا الموقع متدرِّجات متراصفات منضودة بعضها فوق بعض كالابراج ينحدر في ثناياها نُهَير يقال له جدول كاشورا سعتهُ متران ومسافة عماقتهِ خمسة واربعون سنتيمتراً وله مساقط شتى . والى ما وراء كيبيرو تنعرج الهضاب في سمت الشرق فيكون من انعراجها منسطحات من الارض تسير مستعرضةً بالتدريج حتى تصير الى نيل فكتوريا . واذا كنت عن تلك البلدة على عشرين كيلومتراً هناك رصيف بُتَيابو وهو منتهى الطريق الآخذة من عنتبي الى بحيرة البرت . ومن هناك الى نيمولي الواقعة على بحر الجبل تكون مسافة الطريق بالقوارب ومسافة عبر البحيرة من جانب الشرق الى جانب الغرب (ذهاباً عن بلدة بتيابو) زهاء ثلاثين كيلومتراً . وعلى مسافة ليست بقصيةٍ عن جنوبي الرصيف لسان من الارض داخل في الماء طوله نحوٌ من ثلاثة كيلومترات يذهب في سمت الشمال مقوساً كالهلال نهايتهُ شجرات معدودة من النخيل وهو ركمة حادثة من تزاحم الطين الذي يأتي بهِ نهر وكي الرامي الى البحيرة شمالي عن تلك النقطة . والارض هناك معمورة بعض العمارة بنزر من الاهلين يرتزقون بتقديد السمك . ثم ان البسائط الشرقية في بوتيابو تكون سعتها بقدر خمسة الى ستة امتار لها تصاعُد بتداريج متراكبة حتى سفح الهضاب التي هي في هذه النقطة تخمٌ لمفجرة وادي الالبرتين وتربة هذه البسائط طينية وربما كانت فيما تقدم مغمورة بمياه البحيرة ودليلهُ ما يلاقيه الرائد في اديمها من عديد الاصداف . ولقد ارتفع سطحها بالقرب من الآكام ارتفاعاً يذكر بتراكم المواد التي تقذفها المياه المتحدرة من صَبَبٍ راميةً بها في تلك البقعة وتكون خدودها مثلَّمة بفعل تلك المياه حتى

تبلغ سعة الثلمة الواحدة من اربعة الى خمسة امتار واما جروفها فهويّها عمودي وفيهـا وفي قاعها ما يشير الى شدة فعلة المياه فيها فلقد ترى رأي العين في مواضع ان تيارها قد عبث باشجار عظيمة الابدان فاقتلعها من جذورها واجترفها ذاهباً بهـا . هذا ويكون ارتفاع البسيطة عن سطح ماء البحيرة عند ضفتها متراً واحداً ثم تتدرج درجة فيكون ارتفاعها الى مدًى بعيدٍ عنهـا متراً ونصفاً ثم تتدرج درجة اخرى فيصبح ارتفاعها ثلاثة امتار ثم تتدرج درجة ثالثة وربمـا بلغ ارتفاعها حينئذٍ خمسة امتار . وارضها مغمورة بملتكّ الدغل وقد يُرَى بأسافل الآكام بعض الشجر في مواقع دون اخرى كل ذلك بيّن الاشارة الى ان عامة تلك الاقطار كانت مرة مغمورة بمياه البحيرة وربما كانت المياه تلحق بلحوف الآكام الشرقية

اما نهر وكّي فيصب في بحيرة البرت في نقطة تبعد عن إسكَلَة بُنْيابو جنوباً نحو خمسة كيلومترات ويكون في مسيره قد تحدّر نزولاً في صَفَف من المساقط والشلاّلات ومسيله قد سبح في المنبسطات بتعاريج وليات حتى يفضي الى البحيرة المذكورة . وترى جنَابَيهِ محشكوين بالغابات الملتفة الاشجار يأوي اليها الفيلة . والتحدر المذكور ليس بهَوْرَةٍ محضة لكنه شديد الوعورة يذهب من السهل توًّا الى نحو مائتين وخمسين متراً صُعُداً والى وراء المرتقى الاول سطحٌ من روابٍ مستديرةٍ وعرة تكسوها الغابات والحراج وهي مضرّسة مسننة اشبه بالدرج تتصعد على هذه الصورة الى قنة العلاية فيكون ارتفاعها عن البحيرة بقدر خمسمائة متر . اما الاخوار فبعيدة القاع يصير منها في بعض الاماكن خنادق هائلة وبين هذه المجاري انوف بارزة هي صخور قرع تمتد نزولاً الى حضيض الوادي وعلى ساحل النهر معالم تدل دلالة واضحة على ان سطح مياه البحيرة فيما قبـل شهر مارس سنة ١٩٠٣ لم يعلُ اكثر من ثلاثين او اربعين سنتيمتراً عن ادنى غيضها . والمعلوم انه قبل ذلك العام

توالت سنون جاءت امطارها في تلك الانحاء قليلة حتى لاغيث في دسمبر سنة ١٩٠٢ ويناير وفبراير ومارس سنة ١٩٠٣ فكانت تلك الفترات اياماً أُمسك غيثها واحتبس ولذلك صارت جميع الانهار الممدّة (في شهر مارس) الى احط غيضها فلم يتجاوز جمهور ما انصرف الى البحيرة من مياه الانهار الصابة من المهواة الشرقية ستة عشر او سبعة عشر متراً مكعباً في الثانية ولم يكن مستورد نهر سملكي حينئذٍ سوى مائة واربعة وعشرين متراً مكعباً في الثانية . ومن الاكيد الثابتُ ان مياه الانهار الغربية كانت اقل من مياه الانهار الشرقية فلا غرو اذا كانت مياه البحيرة خلال شهر مارس سنة ١٩٠٣ في أحطّ انحطاط عَرَض لها . على انه لايبعد ان يكون فيض البحيرة في السنين الغزيرة الامطار اكثر مما تقدم ذكره . ولكن لامشاحةَ في ان مياهها لم تركب قط يوماً من الايام القريبة العهد صحيف البسائط الشرقية(١) فاؤها ضَحْل رقارق في سائر شطها الشرقي وقلما تجاوز غوره مترين او مترين ونصفاً في عدة كيلومترات عن ذلك الشط

هذا والبر الى شمالي بُتِيابو يلزم منظرهُ وخلقتهُ والمنسطحات الشرقية تنبطح كلما ابتعدت الروابي عن البحيرة وبعد ذلك بستة عشر كيلومتراً هناك لسان من الارض اشبه باللسان المتقدم ذكره ذاهباً في البحيرة الى مدًى بعيد مادتهُ مقذوفات الطين الذي يسوقها نهر ويجا داخلاً اليها من نقطة ليست بمتباعدة عن هذه النقطة وشكل اللسان المذكور هلالي مثل

---

(١) بعد كتابة ما تقدم تأكد ان هذه البحيرة في سني السبل الغزير يعلو ماؤها حتى يفوق المنسوب المعروف بكثير . اخرج المسيو بُرداج التابع لمصلحة الاشغال العمومية في أغندا (وكان قد اتى القاهرة في دسمبر سنة ١٩٠٣) ان منسوب بحيرة البرتَ في نهاية اكتوبر من تلك السنة قد جاوز منسوبها في شهر مارس بقدر ثلاثة وثمانين سنتيمتراً . وأن الامطار جاءت في خلال المدة من ابريل الى أغسطس غامرة على غير المعتاد

اللسان الذي كونته مقذوفات الطين الذي يجلبهُ نهر وكي . وقُبالة هذه البقعة تكون الشعاب الشرقية وهي شعاب تذهب على سمت الجنوب يتركب منها في كافة طولها مرتفع عجيب يتصاعد فيصير اربع قِنن اثنتان منهنَّ مستديرتان واثنتان مخروطتان جميعها يشق عباب الافق وتكون في قيد مرأى العين امداً بعيداً . اما سعة العلاية في تلك البقعة فزهاء خمسة عشر كيلومتراً من الجانب الواحد الى الآخر والطُّنُفُ المدرَّج باقٍ لم يشبْهُ تغيير ولا تحوُّل . والبحيرة تتضايق كثيراً والآكام الغربية اقل ارتفاعاً ووعورة ولكنها شديدة التحدير من جانبها الشرقي ولا تزال البحيرة تتضايق في مسيرك الى الشمال والبسائط تنفسح على كلا الجانبين فيكون متوسط عرضها في الجانب الغربي على مقربة من طُنجور او محاجي الصغير بقدر خمسة كيلومترات[١] . وهي تتعالى بميل شديد حتى تتصل بالآكام الصغرى ويكسوها شجر السنط والأدغال والبحيرة في تلك النقطة لا تكون سعتها من ضفة الى أخرى بأكثر من احد عشر او اثني عشر كيلومتراً وعلى مسيرة اربعين كيلومتراً من بتيابو شمالاً تكون هناك ركمة نيل فكتوريا على مائة وثمانية واربعين كيلومتراً عن الطرف الجنوبي للبحيرة وعلى مسافة سبعة او ثمانية كيلومترات من هناك لا يبصر المسافر في سمت الشرق الاَّ مفازةً قفرة نبتها العنبج والبردي والقصب . ويُعرف هذا القطر بقطر ماجنجو وهو خراب ليس فيه اثر للعمارة الاَّ بعض اكنَّة للصيادين[٢] أما ماجنجو القديمة التي نزلها جُرْدُن وكانت به محلةً ذات شأن قد عبثت

---

(١) محاجي الصغير بلدة مهجورة واقعة في براح البسائط فيما بين جُرُف شاهق من جبال الطبقة الثانية والآكام الصغرى الاقرب الى البحيرة ويخال للناظر الى المضيق هناك كأنَّ نهراً يصب الى البحيرة من جهة الشمال الغربي

(٢) تعهد فلكن هذه البحيرة في دسمبر سنة ١٨٧٨ وروى ان بلدة ماجنجو جيدة المبنى من حولها استحكامات حربية مصنوعة بالتراب ويحيط بها خندق عمقهُ ثلاثة امتار . انظر كتابهُ المعروف بأغندا والسودان المصري المطبوع في لندرا سنة ١٨٨٢

بعامرها ايدي الدمار فطَمَست واصبحت اثراً بعد عين وكانت قائمة على الجانب الجنوبي لنيل فكتوريا • ومن المستصعب تعليل انطماسها وغياب الارض الواسعة الاقطار التي كانت تشتمل عليها غير ان ما تعلمناه بالاستقراء فقط هو انه يتأتى احياناً ان يكون للنهر تيار شديد الجرية يلازم جرفهُ الشرقي ويسير شمالاً مندفعاً الى البحيرة وان ذلك التيار كان يجرّف اتربة جرفهِ شيئاً فشيئاً حتى أتى على عامة موقعها[١] . هذا واذا تطلعت من ظهر البحيرة فلستَ براءٍ رأيَ العين نهراً عظيما ينصبّ اليها وجلّ ما يبدو لك إنْ هو الاّ اختلاف لون الماء اذ يكون هناك زيتونياً على مثل لون الماء في بحر الجبل والبحر الابيض ولا تيار ظاهر للابصار في تلك النقطة[٢] . لكن الرُكمة لا تزال تُوغل في البحيرة من جانبها الشرقي حتى يكون منها طبقة ضحلة من الماء تمتد فيها الى مدى اربعة او خمسة كيلومترات غربي غياض العنبج التي في حاشيتها • اما الغور فلا يتجاوز متراً ونصفاً اينما كان من تلك الطبقة وقرار البحيرة طبقة من طين رَخف لزج والغور بلصق المقاصب لا يكاد يكون ازيد من ستين سنتيمتراً وكثيراً ما يكون اقرب من ذلك بكثير والمنظر من البحيرة في المشرق عقيم موحش لِمَا انّ الجبال عنها متباعدة قَصيّة والنبات الطويل يحجب النظر عن المرئيات[٣] .

---

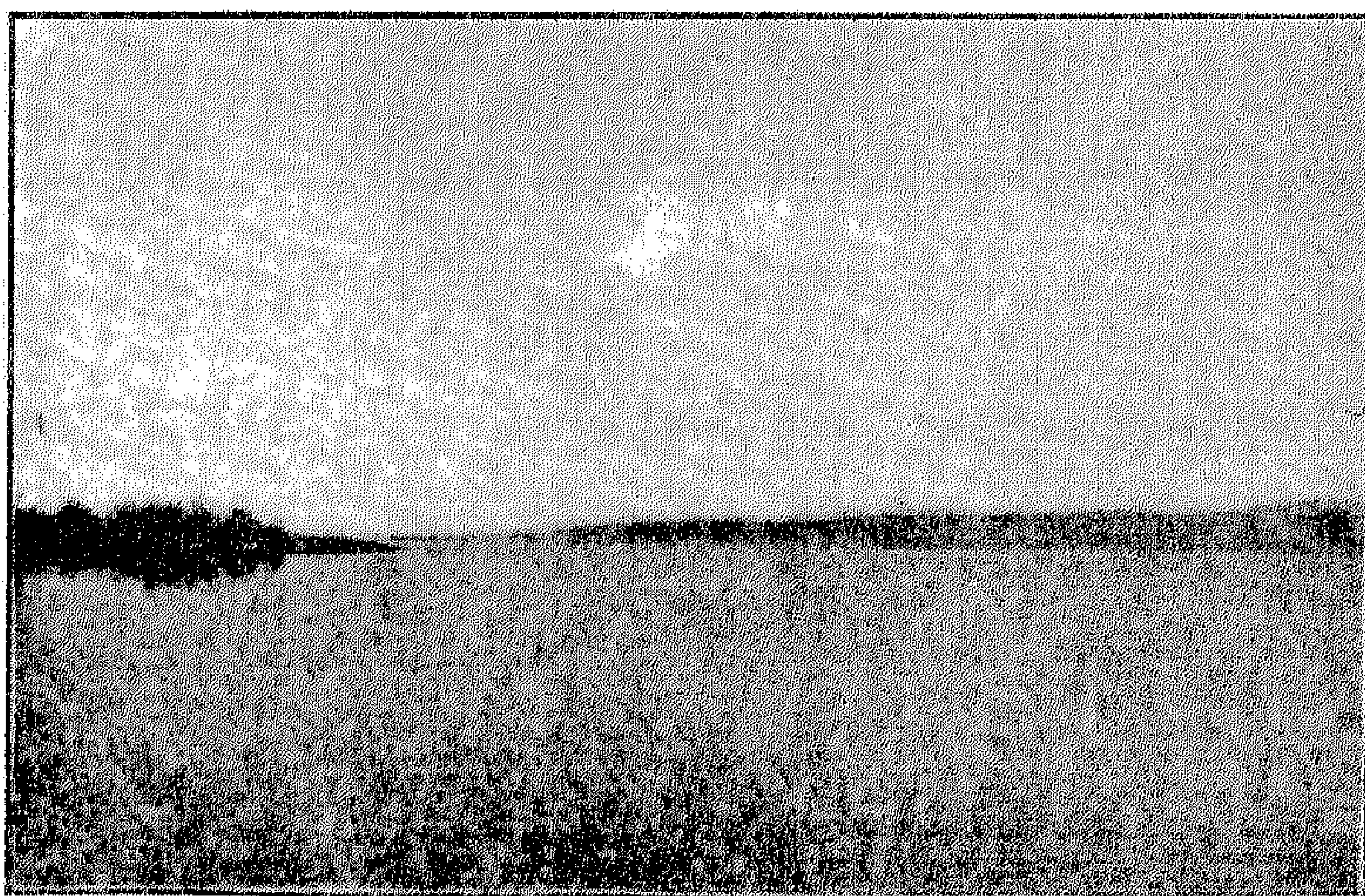
(١) تقدم ان فلكن قال بوجود هذا التيار وانهُ رآه يخترق عباب البحيرة — اقول ولكنه في شهر مارس لم يكن الامياهاً راكدة لا حراك بها

(٢) ذلك في مارس سنة ١٩٠٣

(٣) الركمة مستعرضة بفم النيل عند ماجنجو وهي ناشئة عن التقاء النيل بماء راكد ماء البحيرة فيرسب فيها ما يكون سابحاً فيه من المواد ولا خفاء ان لماءِ النيل سيلةً شديدة من حد جنادل مركيصن الى نقطة تبعد عن البحيرة بقدر سبعة او ثمانية كيلومترات ومن ثمَّ تتباطأ سيلتهُ فلا يبلغ البحيرة حتى يكون منهُ هناك بطيحة ماؤها راكد او يكاد وهو ينشعب في كل وجهة حتى يكون منهُ مجارٍ متشابكة تسير على هذه الصورة الى أن



مصب بحر فكتوريا فى بحيرة البرت



بحيرة البرت من ماججو جنوباً

قلت وسعة البحيرة عند مندغم النيل فيها لا يكاد يكون تسعة كيلومترات والركمة تستطيل في يمّها فتكون سعتها على ضفيرها الشرقي زهاء سبعة كيلومترات وفي عامتها لا نهاية لمنابت العنبج والقصب والارض على الجانب الشمالي للنهر تتصاعد فيكون منها علاية مستوية الذروة عاطلة مرداء الاَّ ما يغشاها من ذليل العشب وهي تتصعد بتداريج قصيرة حتى تنتهي الى المرتفع العليّ في الجهة الشرقية وصفتها في شمالي النيل تشاكل صفة البسائط الجنوبية المتقدم ذكرها ولا تباين بينهما الاَّ في ان المرتفع غاض بمتعانق الدغل ومشتبك النبت والعلاية عراء عادمة الشجر . واذا كانت على بعض المسافة من البحيرة يكون ارتفاعها عنها بين سبعين وثمانين متراً وتلازم هذا المستوى الى ان تلحق بالعقبة الشرقية[1] ويوجد في حاشية النهر غيضة مستطيلة من القصب العنبج وارتفاع جرفهِ يختلف بين متر ومتر وربع ولا يبرح ماؤهُ ان يكون ضحضاحاً قريب القعر في مدى عدة كيلومترات منهُ نزولاً ويكون النزول الى البر الشرقي في اية نقطةٍ منهُ شاقاً الى الغاية لا سيما وقاعه ردغة من طين مائع يبلغ سمكها عدة اقدام وقد اسلفنا ان منتهى البحيرة ومبدأ بحر الجبل مبهمان . وتظل سعة البحيرة في مدى عدة كيلومترات شمالي مصب النهر فيها على خمسة او ستة كيلومترات ولا اختلاف البتة في خواص عامة الساحل . وتتضايق تلك البحيرة رويداً حتى تصير عند الكيلومتر الثامن شمالي اوكيلو متدانية الضفتين ويصح ان تُعدُّ هناك نهراً . ولما كان

تترامى الى البحيرة . هذا وليس بين مخرج النيل وهذه النقطة جاذب ولعلَّ مياه النيل تجري بعض الاحايين الى جهة الجنوب هائمة في يم البحيرة وهي في ذلك الحين تسير الى جهة الشمال طالبةً لمخرجها

(١) يتعذر انتحال اسم لهذه القطعة من الارض اما رجال مصلحة القوارب فيسمونها اوكيلو والصحيح انها بلدة على ساحل البحيرة الغربي

للنهر على مسيرة بعض الكيلومترات من مصبه جرية ضعيفة محسوسة كان يصحُّ اعتبار تلك النقطة مبدأ نهر الجبل ولو ان البحيرة لا تختلف خلقتها وصفتها في مسافة بعيدة نزولاً

هذا وقبل الاخذ في مباحث المناسيب يجدر بنا ان نأتي على ذكر اشراف الانهار الرامية الى بحيرة البرت فنقول . ـ ان الانهار التي تفضي الى بحيرة البرت ما خلا نهر سمليكي المتقدم ذكر صفتهِ كثيرة العدد ولو ان بعضها ليس الا سيلاً ينهمر في فصل الامطار جارفاً معه كثيراً من المواد ولكنها في بقية السنة تتصغّر حتى لا تكون بالشيء الذي يذكر . وقلَّ من هذه الانهار ما هو معروف الصفة والخواص ماخلا ما رواه المسافرون الذين مشوا هذا الجانب من البحيرة . وليس لجرية واحدٍ من هذه الجداول كبيرُ مسافةٍ لقرب مطارح السيل من عامة الساحل الغربي . وبما ان ذروة الجبل هناك ليس بها علاية فلا ينجلب الى تلك الجداول الاّ صَبَبُ الجانب الشرقي للجبال القائمة على محاذاة البحيرة . أما فورتها فليست مدتهُ بمديدةٍ ولا يبعد ان تكون سيلاً دُفاقاً ينقضي على عجل لا مدًّا طويل المكث . ولا ريب ان هذا لمن الصحة بمكان فيما يختص بالانهار الشرقية غير ان مطارح الأخذ هناك اكثر فِساحة منها على الجانب الغربي للبحيرة ومضاجع السيل اوسع اقطاراً وهذه المطارح مختلطة الشكل عريضة في الطرف الجنوبي للبحيرة لكنها تتضايق تضايقاً حادًّا في طرفها الشمالي . اما جبل النقيل فغاية في الالتواء وعدم الانقياد يتعذر اقتفاؤهُ ويختلف ارتفاعهُ عن مستوى سطح البحر في مواضع دون أخرى بين ألف ومائتين وألف وخمسمائة متر ومعتمد وجهتهِ سمت الشمال او الشمال الشرقي لكنه ينثني انثناءً مدهشاً للغاية فهو يماشي سلسلة الآكام والعلايات الفاصلة انيورو الغربية عن أُغندا وبوزوجا . اما القسم الذي تتفجر عنه مياه الشرق الصابة الى نيل فكتوريا ومياه الغرب الرامية الى بحيرة البرت فقليل السمة فانها لا تكون الا

كيلومترات قليلة . ثم ان اشراف الانهار والجداول التي تمد بحيرة البرت رامية اليها من طرفها الشرقي هي إمزيزي وأنجوسي ونيا كاباري (ويقال له هورو ايضاً) ووَهَمْبا وشعبةُ المعروف بلوكاجوكا وهويءا ووكّي وويجا[١] . وهذه المجاري اعظمها اثنان امزيزي وأنجوسي وهما دون نهر سملكي في الاهمية وكلها تقطع العقبة الشرقية هابطةً بمياهها الى الوادي في سطر من المساقط الانيقة قد يبلغ علو كثير منها مبلغاً جسيماً ولا تزول عنها أناقتها البتة حتى في الجفاف . والمنظر هناك منظر بديع في جهة فيض الانهار ومدّها وربما لم يتأتَّ لرجل من اهل اوربا ان يراها في مثل هذا الاوان لان اجتياب الارض في اثناء الامطار يتعذر على الرواد في انيورو الغربية . فما من نهر من هذه الانهار عليه مَعبرٌ والاعشاب الغضة الناضرة في هذه الحصة من السنة تجعل الاسفار ممتنعة

ومبدأ نهر امزيزي من نقطة عرضها الشمالي خمس واربعون دقيقة على مقربة من حصن اجرَنط الواقع على العلاية التي تترافع عن الآكام وتسير الى جنوبي نهر اُمبايا[٢] والعلاية تُسَاير جرُفَ نهر امزيزي الايسر أي الشمالي . يتخللها قنان في فترات حتى عقبة وادي المفجرة وللنهر ممدّات شتى تجلب عامتها من الجنوب واعظمها شأناً نهر راقاسنجا[٣] ومجرًى آخر ينشأ بالقرب من جبال لوماجا[٤] . ونهر امزيزي يمرّ متحدراً في معظم مسافته في خلال

(١) كل هذه الانهار جارية ويوجد كثير من الجداول الاخرى التي هي دونها لكنها تكون في ايام الجفاف سباخاً وبقائع ومآجل تنضُّ مستقطرةً في الصوب الغربي وينسكب اليها مياه العلايات والمداغل

(٢) مِمدٌّ من ممدات نهر كافور

(٣) روى ڤندولور ان سعة هذا النهر ثلاثون متراً وبُعد غوره متر وثلاثون سنتمتراً

(٤) ارتفاع هذه الجبال عن سطح البحر الملح يبلغ ألفاً وثمانمائة واربعين متراً وهي مَطارح السيل المترامي الى ثلاثة انهار الاول فرع امزيزي الذي ذكرناه فيما تقدم

آكام حجريةٍ شامخة ويمر في طريقهِ بأصل حصن ناكابُندا وهو في تلك النقطة لا يُخاض حتى في ايام الجفاف فلا يُعبر الا من نقطة أخرى عليها[١] معبر. وفي ايام الفيض يكون ماءً زاخراً وسيلاً جارفاً ومسافة طوله تكون نحواً من مائة وخمسين كيلومتراً واذا بلغ مائة وعشرة كيلومترات عن مخرجهِ يكون مجراهُ مغرّباً ومن ثمَّ ينعطف الى سمت الشمال الشرقي مسايراً لوادٍ فسيح الفجوة بعيد القاع يجترف سيلهُ ارضَهُ فيجعلها اخدوداً عظيماً كأنه خندق ثم ينساب في بطن المهواة الشرقية متراميًا في شلالات يكون بعضها بعيد المهوى ثم يفضي الى يمّ البحيرة من خليج معروف بخليج دويرو[٢].
اما واديهِ ففي مدًى مديدٍ من طولهِ من جنوبي المهواة تكون سعتهُ زهاء اربعة كيلومترات وبُعد قاعهِ من مائة وخمسين الى مائتي متر وطرفهُ الشمالي مُنقَطَع عَرضيّ يكون منهُ شعبة من جبل مطرح السيل الواقع بين منطقة بحيرة البرت ومنطقة بحيرة فكتوريا وتكون سعة النهر في ايام مدّهِ متجاوزة كثيراً حدَّ المائة متر وبُعد غورهِ في وَسَطهِ خمسة امتار وفي الجفاف واليَبْس ينحسر ماؤه كثيراً فينتقص ومع ذلك فهو عثرة كبرى في وجهِ القوافل والسَّفْر. ويستخلص من حسابات تصرفهِ في التاسع من مارس سنة ١٩٠٣ عند نقطة تكون عن الشلالات على عشرة كيلومترات ان سعة مائهِ بين ضفتيهِ عشرة امتار وأقصى غورهِ متر واربعون سنتيمتراً وفسيح قطاع مائهِ ستة امتار مربعة وسبعون سنتيمتراً ومتوسط السيلة اربعون سنتيمتراً في الثانية ومستفرغهُ متران مكعبان وثمانية وستون سنتيمتراً في الثانية[٣].

وهو يفضي الى بحيرة البرت ونهر آمبَنْجو وهو يقع في البرت ادورد من بطيحة دويرو والثالث نهر كاتنجا وهو يصب الى بحيرة فكتوريا

(١) قاله فندولور

(٢) قال جنّي ان هويّ اصغر هذه الشلالات يبلغ مائتي متر

(٣) كان النهر ايامئذٍ في اقصى غيضه وانحساره

ومعظمهُ فوق المستوى المذكور ثلاثة امتار وستون سنتيمتراً . وقد قيس قطاعهُ في ايام فيضهِ فكان مائة وثلاثة واربعين متراً مربعاً على انه في مواضع من مسراه تكون مياههُ ضحلة قريبة الغور الى الغاية ومتوسط جريتهِ في عامة القطاع ايام المدّ لا تكون (باعتبار انحدارهِ) اقلّ من مترين في الثانيـة ذلك يعادل تصرفاً قدره مائتان وستة وثمانون متراً مكعباً في الثانية[١] .

والنهر من بين ممدات بحيرة البرت يقع بعد نهر سملكي حجماً . وبَعدَهُ نهر أنجوسي الناشئ عند ماوَنْدَا على درجة واحدة وعشر دقائق من العرض الشمالي من الحرف الذي هو امتداد العـلاية التي ترمي بمياهها الى نهر امزيزي . وهذا الحرفُ ايضاً ضيّقُ السعة ومنبع نهر انجوسي ليس بمتباعد عن منبع نهر امبايا وهو عبـارة عن بطيحة سبخة مآجاها تسيل الى نهر كافور فيكون النهر مزبداً في نيل فكتوريا . اما مسافة نهر انجوسي فلا تجوز خمسة وستين كيلومتراً وهو يذهب في سمت الغرب بانحراف عنه قليل ويصب الى بحيرة البرت شمالي محلة إمبا كوڤيا في مساقط شتى تحار العين بمشاهدها وأشرفُ ممدٍّ له نهر إمبُنْبي[٢] ينجاب اليه من الجنوب الشرقي اما جملة انحداره فأربعمائة واربعون متراً . افرز من ذلك ثلاثمائة متر للمساقط والفـاضل وقدرهُ مائتان واربعون متراً لسائر مسافة طوله . ذلك يعادل انحداراً قدره ثلاثة امتار وستون سنتيمتراً للكـيلومتر . ومضجع النهر أي قاعهُ صَخرٌ محشوك صرّاراً تترامى مياههُ في مسارع وجنادل وهو ضهيٌّ نهر امزيزي

---

(١) لايبعد ان يكون مستفرغ النهر في احايين اكثر من ذلك اما جملة انحداره فستمائة وثمانية وثمانون متراً منها خمسمائة متر تحسب للمساقط والباقي وقدره مائة وثمانية وثمانون يكون متوسط الانحدار وقدرهُ متر واربعون سنتيمتراً للكيلومتر في فاضل مسافتهِ وايضاً فان محفل مائهِ ليس برحيب

(٢) ورد هذا النهر في بعض الخرائط باسم أمبُنْجي والصحيح ما ذكرناه مثلما يعرف عند اناسي تلك الارض

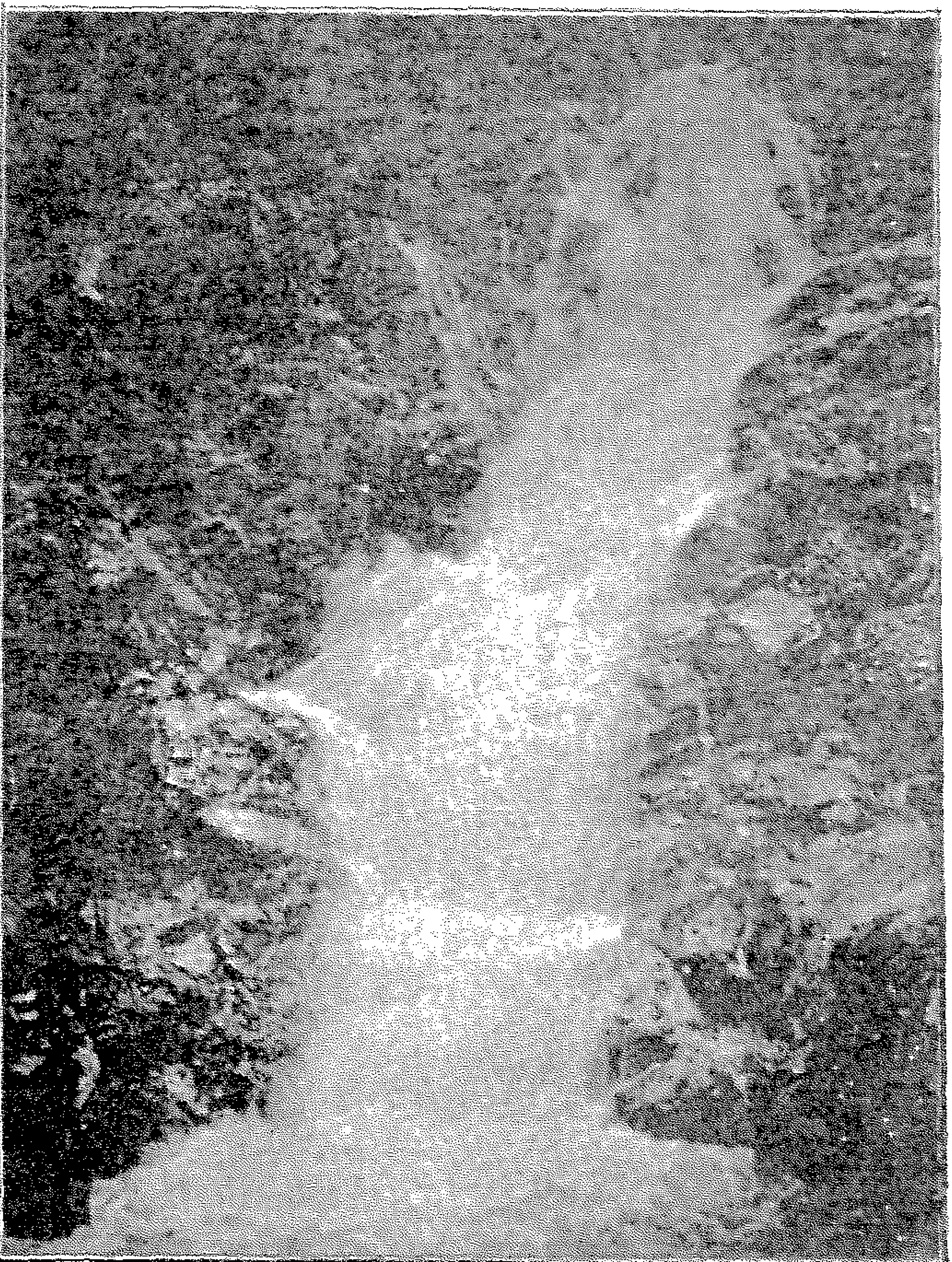
عسرُ المعبر ولو كان ذلك في ايام الجفاف فان غورهُ ابداً بعيد . ولقد استخرج مقدار مستفرغهِ في الثاني عشر من مارس من سنة ١٩٠٣ في نقطة تكون قبل العقبة بقدر خمسة عشر كيلومتراً فكانت سعتهُ يومئذٍ ستة امتار فقط وكان غوره متراً واحداً وخمسة وثمانين سنتيمتراً ومتوسط جريتهِ خمسين سنتيمتراً في الثانية وفساحة قطاع مائهِ اثني عشر متراً مربعاً وخمسة واربعين سنتيمتراً فمستفرغهُ اذاً ستة امتار واثنان وعشرون سنتيمتراً مكعباً في الثانية[١] . ومقدار مدّهِ ثلاثة امتار ونصف و بعد غورهِ في وسَطهِ بلغ حينئذٍ خمسة امتار وخمسة وسبعين سنتيمتراً . سعتهُ في ابان الفيض تسعة وستون متراً وفساحة قطاع مائهِ في ايام مدّهِ مائة وتسعة وعشرون متراً مربعاً . فاذا قلنا ان السرعة متران في الثانية[٢] كان ذلك يقابل تصرفاً قدره مائتان وثمانية وخمسون متراً مكعباً في الثانية . ولا يتأتى ان يكون مستفرغ نهر أنجوسي اغزر من مستفرغ نهر امزيزي لكن مياه فيوضهِ تأتي دُفقاتٍ متقاطعاتٍ تكون جريتها اسرع بكثير من جرية الانهار الكبرى

ثم يتألف نهر نيا كاباري (وان شئتَ فهو نهر هورو) من عدة جداول تنشأ من آكام كوكندا مثل بَلبونا وجيمنْجاو و كاجارنْدنْدُو وغيرها و يشق في غابة بوغوما ثم يصب في البحيرة[٣] حيث العرض الشمالي درجة واحدة وسبع وعشرون دقيقة . وتكون هذه الجداول في ايام الجفاف مستنقعاتٍ يتسلسل

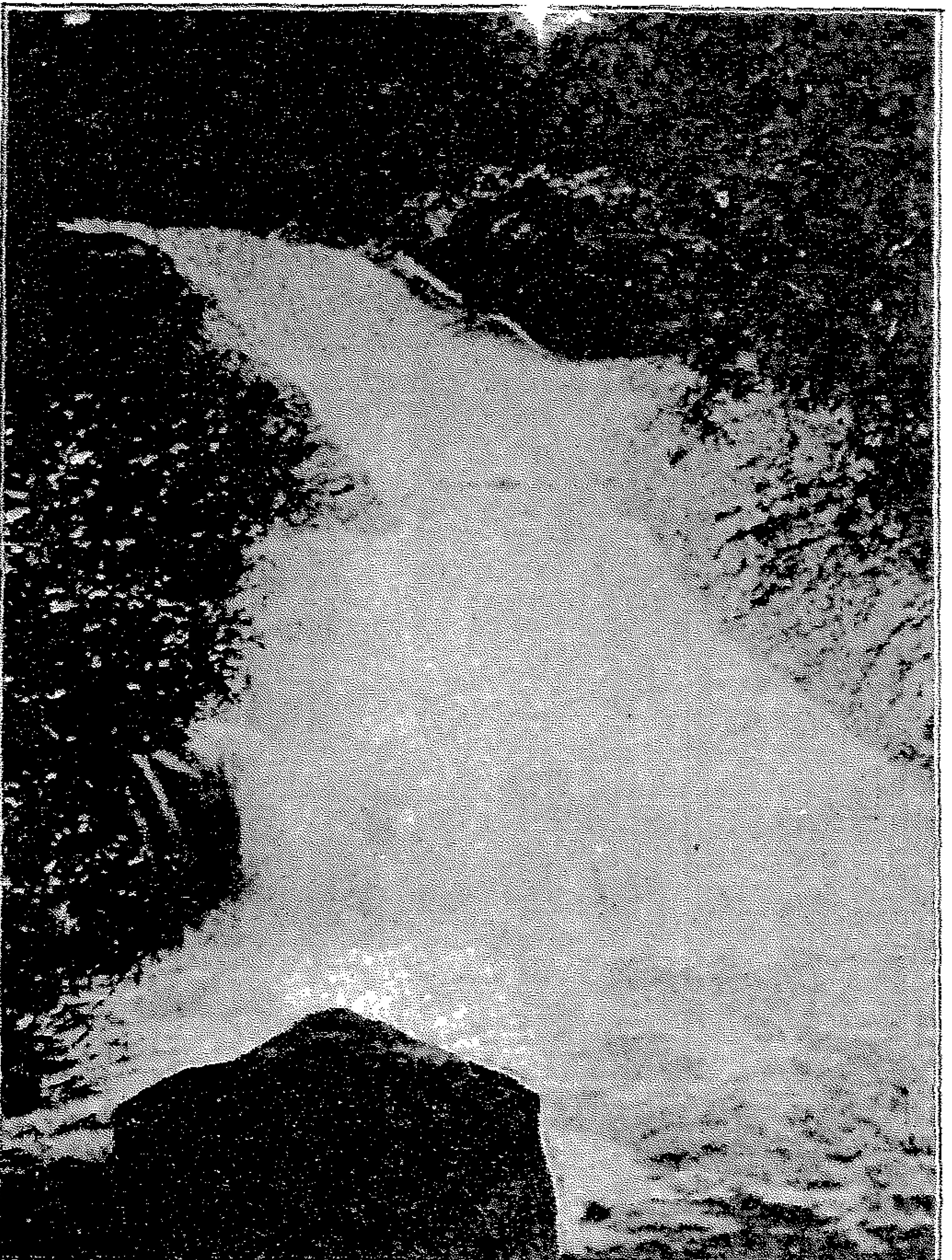
(١) في فترة ما بين التاسع والثاني عشر من مارس سنة ١٩٠٣ امطرت السماء مدراراً ربما كان منه زيادة طفيفة لها شأن في ذلك النهر ألا انه من صغار الانهار ولكن مستفرغهُ اكثر من مستفرغ نهر امزيزي . أما ماؤه فكان عند استخراج التصرف عكراً مشحوناً بمواد سابحة فيه

(٢) وقد يكون اكثر من ذلك احياناً

(٣) من المستصعب استطلاع اسماء هذه الانهار فان كل قوم من اقوام تلك الانحاء تسمي النهر باسم شيخ قبيلتها



شلال نهر وكى الأعلى (عن رسم للمستر بتشر)



شلال نهر وكى الاسفل (عن رسم للمستر بتشر)

ماؤها في اودية بعيدة القرار وهي غاصة بكثيف النبات ويتعذر استخبار مقدار جرمها في مثل تلك الايام لان جريتها تكاد تكون معدومة وهي اشبه بسِباخ منها بانهار وقد يكون للنهر في ايام مدّهِ شأن وأهمية ولكن لم يتصل بنا الى الآن نبأٌ بَيّنٌ عنهُ . وكل ما يُعلم من امره انه نهر مسافة طولهِ لا تتجاوز أربعين كيلومتراً . واذا اردت الشمال سائراً على شفير البحيرة رأيت على يسارك شرقاً نهر واهمبا وهو ممدٌّ يصفّ الثاني في الاهمية. يبدأ في آكام كيدوكا[1] على مقربة من محلة هويما حيث العرض الشمالي درجة وثمانٍ وعشرون دقيقة ويعرف عند مخرجهِ بنهر وَمبابيا واكبر ممداته نهر لوكاجوكا منشأه في تلك الآكام وبعد اختلاطهما يعرف مِزاجهما بنهر واهمبا يكون مقدار مسافتهِ ثمانية واربعين كيلومتراً ويشق قسم كبير منهُ غابة بوجوما المنفرشة في فضاء واسع من العلاية الشرقية وهو يسقط في البحيرة من الطرف الجنوبي لخليج كيبيرو ويجلب اليه في طريقهِ عدة انهار من صوب الشمال منها كابيروجوتا وميجو وجريكا وممدُّهُ الاكبر لوكاجوكا وهو كنهر وَمبابيا مخرجهُ الى الشمال عن هويما من نقطة في سلسلة كيدوكا هي قنان باليجوكو وإمبالا واذا سرتَ أمداً يسيراً الى الشمال هناك جدول ثالث يقال له جدول هويما مبدأهُ في هذه السلسلة ويعد بطوله مسافة نحو خمسة وثلاثين كيلومتراً ويرمي الى بحيرة البرت من خليج كيبيرو . وهذه الانهار كافةً منحدرها شديد يتجاوز ثلاثة امتار للكيلومتر وهي في ازمان الفيض مجارٍ غامرة الماء احياناً لكن مستفرغاتها متقطعة متواترة لا ديمة لدفقاتها الاَّ بقدر يوم واحد أو قرابتهِ . وفي ايام الجفاف تتضايق سعتها كثيراً فيكون موحد مستفرغها بحسب الاسبار التي استخرجت في مارس

---

(١) هذه الآكام هي امتداد الجبال الكبرى الوسطية او سنام أنيورو الذي يفصل بين منطقة النقيل الرامي الى بحيرة البرت ونقيل نيل فكتوريا

سنة ١٩٠٣ وذلك عند نقطة تقاطعها بالطريق المؤدية من هويما الى بتيابو لا يكاد يتجاوز مترين مكعبين في الثانية . واما موحّد قطاع الفيض فليس باكثر من سبعين متراً مربعاً . ومعظم فورة الفيض هناك متر واحدٌ وستون سنتيمتراً وربما كان معظم مستفرغ واهمبا وهويما معاً يختلف من بين مائة متر مكعب الى مائة وخمسين في الثانية لكن مستفرغ واهمبا يربو على مستفرغ هويما وهما يسيران على حصباء وصخور والماء في كليهما نقي زلال

اقول ويقع نهر وكّي في بحيرة البرت من نقطة تبعد عن بُتيابو عدة كيلومترات . ومنشأهُ ليس بقصيّ عن مازندي وهو على مقربة من قمبي ومذهبهُ في مهب الشمال الغربي ومقدار مسافتهِ خمسون كيلومتراً . هذا ولو أن مستفرغهُ في ايام الجفاف مستصغر طفيف لكنهُ في ايام الفيض يكون ماؤه غزيراً مستفيضاً . وكان مستفرغهُ في الثامن عشر من مارس سنة ١٩٠٣ مترين مكعبين في الثانية وذلك عند نقطة تقاطعهِ بالطريق المؤدية من هويما الى بتيابو . واما صبرة فورته في تلك النقطة فلا تجوز مترين وفساحة قطاع مَدّهِ خمسة وستين متراً مربعاً . ومستفرغ فيضهِ يتراوح احياناً من بين مائة الى مائة وثلاثين متراً في الثانية ولكنهُ لايختلف عن انهار انجوسي وهويما ووهمبا فهو مجرًى لا يفهمهُ الاّ الإتيُّ . واعلم ان منحدر نهر وكيّ شديد يترامى على مسيل من احجار في مساقط شتى ماؤهُ قراح غاية في الشفوف والصفاء وواديهِ مستفيض بالجُنُب وفي مواضع منهُ غياض زاهرة . ولما كان النهر يشق تحت العقبة كان قاعهُ يزيد انحداراً وينساب في مضيق خانق بعيد الغور بين مهاوٍ من الصخور الى ان يفضي الى وادي مغيض البحيرة سالكاً مسقطاً مزدوجاً يكون ارتفاع هويّتهِ زهاء مائة وخمسين مترًا وهو في بعض مسيره يشق في غابة بودُنجا

قلتُ ان اقصى الممدات الشرقية لبحيرة البرت في سمت الشمال انما هو

نهر وَيجا ويقال له نهر وايا ايضاً وهو يقع في البحيرة وانت على مسيرة خمسة عشر كيلومترًا عن بُنتيابو شمالاً حيث العرض الشمالي درجتان وست عشرة دقيقة منشأهُ في آكام كيروتا حيث العرض الشمالي درجة وثمـان وخمسون دقيقة وله مسافة طول قدرها ستون كيلومترًا . وهو ضهيٌ نهر وكيٍ قطاعاً وتصرفاً غير انه لسعة البسائط التي يصب النهر عندها في البحيرة كان انحدارهُ في مآخيره خفيفاً للغاية والملاحة فيـه ميسورة للزوارق في طائفة من السنة دون أخرى حتى آكام العقبة شرقاً

يُرى مما تقدم ان هذه الانهار تعمل ولا ريب معاً على اكثار مقدار الماء الصاب الى البحيرة ومع ذلك فان زيادة مائها بالنظر الى تقاص مسافتها وشدة انحدارها وتضايق محفل مائها أي مغيضهِ لا تكون الزيادة مستمرة . واما مستفرغاتها فلا ريب في انها تجلب دفقاتٍ شديدة لا تمكث الاّ امداً محدوداً فهي لا تلبث ان تخمد فتزول[1] . هذه معـلومات لا خلاف فيها[2] . اما الانهار الصغرى فقد لا يدوم المدُّ فيها الاّ ساعاتٍ معدودةً[3] . واما مقدار ما ينصب الى بحيرة البرت من الماء في السنة فيتعذر تقديره لان الانباء في هذا الشأن قليلة جدًّا . وليس لهذه البحيرة مقياس ولم يُجعل للامطار ارصاد

(١) لا يتناول هذا الوصف تصرف نهر سملكي فان ايراده غزير وفيضهُ يكون اثبت من فيض سائر الانهار الممدة

(٢) اذا ضرب رجال الأغندا في الارض ثم رجعوا يقصّون اخبار الانهار كثيراً ما اخرجوا أن نهر الفلان كان حينئذٍ في ابان مدّه فقُضي عليهم ان يحطوا رحالهم مقيمين خمسة أو ستة أيام ريثما ينحسر ماؤهُ فيعبروه

(٣) يندر أن يصير واحد من هذه الانهار الى جُمام فيضهِ دفعةً واحدةً أو دفعتين في الشهر ما خلا نهر سملكي فان أشدّ الامطار وقعاً يكون في مدارين تكون برهة الواحد منهما ثلاثة أشهر ربيعاً فخريفاً يعني ان أقصى الفيض يقع اثنتي عشرة مرةً في السنة على الاكثر

الآ من عهد قريب ذلك في مكان واحد فقط هو حصن بُرْتَلْ وهو عن البحيرة على نحو ستين كيلومترًا جنوباً على مقربة من العدوة الشمالية لوادي سملكي [١] . ولم يُبدأ بقيد الارصاد الآ من منذ سبعة او ثمانية اشهر فليس فيه ارصاد لسنة كاملة . وليس في هويما (وهي محلة انيورو الملكية) مقياس للامطار وهي في قيد ستة عشر كيلومترًا عن بحيرة البرت . والذى نتمناه ان يقام هناك في القريب العاجل مرقبة يُرصد منها مقدار الامطار وليس في قيدها بسجلّ مشقة وصعوبة لان في هويما ثلاثة اوربيين . ولا مشاحَّة في ان الوصول الى استطلاع مقدار ما تمطره السماء في عامة السنة على العلاية الواقعة شرقي البحيرة يكون له فائدة عظمى والذي نراه ايضاً ان يقام مقياس عند تليفون بُتيابو في ذروة الربوة يُوكل امره الى عامل يقيد ارصاده . اما انحاء غربي البحيرة فيتدبَّرُ أمرها بأن يُطلب الى السلطة البلجيكية مراقبة الامطار في مواضع هناك . ثم يقام مقياس في بُتيابو ايضاً لرصد مدّ وغيض البحيرة يومياً . أقول ان هذا الموقع غير صالح في حد ذاتهِ للارصاد لانه معرَّض للنوازل ولكنهُ من وجهةٍ أخرى هو الموقعُ الفرد التي يتيسر معرفة المناسيب اليومية به اذ لا يؤمل ان يتخذ الاروبيون في المستقبل القريب غير هذا الموقع (من مواقع ضفاف البحيرة) لهم مقاماً . واذا اتُّخِذَت ارصاد بُتيابو وارصاد مقياس النيل عند وادلاّي لاجتمع منها انباُ ذات شأن فيما يختص بوجه الارتباط بين البحيرة والنيل . اما مقدار ايراد البحيرة فمسألة لا تزال مبهمة لاجل ان مياه نيل فكتوريا تقع فيها . ولا مشاحة في ان البحيرة

---

(١) ان بين هذا المكان وبحيرة البرت طيةً شاسعةً حتى لا يرجى من ارصادها كبير نفع من حيث مقدار الامطار التي تقع في تلك البحيرة أو تهطل على العلاية المجاورة لكن المقياس هناك لايخلو من نفع وجدوى في رصد مقدار مايسيل من الامطار شمالي جبال رونزوري ومقدار ما يقع منها في قسم من وادي سملكي

خزانة النيل الكبرى ولا يبعد ان تكون بمثابة عامل تسوية لمستورد مائه . ولقد بوشرت مقاساتٌ في نقطتين متباينتين لاستطلاع مقدار تصرفه الواحدة فوق مصبه في البحيرة وذلك في مارس سنة ١٩٠٣ والاخرى عند وادلاي تحت مخرجه منها فاستخلصنا منها انه عند ما تهبط مياه النيل والبحيرة معاً حتى يكون منسوبهما غير بعيد الارتفاع عن درجة جمة غيضهما يكون في المياه الخارجة من البحيرة زيادة طفيفة (ان كان ثمت زيادة) عن مقدار المياه الرامية اليها من بحيرة فكتوريا شيء يسير لا يلتفت اليه [1] . واعلم انه في شهر مارس المنقضي لم يشاهَد للنهر الى البحيرة عند ماجنجو جريةٌ ما صَوْب الجنوب . قلنا فيما تقدم (وكنا في قولنا مستندين على رواية فلكن) ان ماء النيل في احايين دون اخرى يجري في البحيرة في وجهة الجنوب فيزيدها ماءً على مائها [2] . اقول ولا اخال ذلك الا صحيحاً لان قوة

---

(١) في الثاني والعشرين من مارس سنة ١٩٠٣ قد استخرجت زيادة تصرف النهر عند وادلاي على مقدار تصرفه تحت جنادل مركيصن في العشرين منه فكانت تسعة وستين متراً مكعباً فقط في الثانية يُسقَط من ذلك تصرف نهري أشواوأومي الراميين اليه جنوبي والدلاي وقدرهُ واحد وثلاثون متراً مكعباً في الثانية ويوجد ايضاً جدول او جدولان يقعان فيه ايضاً على جانبه الغربي . وعلى ذلك يصحُّ ان يكون مقدار ما تدفعهُ البحيرة من الماء في ابان الجفاف بقدر ما ينصب اليها كيفما كانت الحال

(٢) راجع كتاب أغندا والسودان المصري المنشور في مدينة لندرا سنة ١٨٨٢ . يقول فلكن انه في الثالث والعشرين من ديسمبر سنه ١٨٧٨ تبصّر للبحيرة تيارين وذلك قبالة ماجنجو أحدهما يذهب في سمت الشمال فيكون منه بحر الجبل والآخر يمرُّ في سمت الجنوب الجنوب الغربي ساقطاً اليها من نيل فكتوريا فيندفع فيها من الجانب الواحد الى الجانب الآخر وفي زعمه أن للبحيرة اثراً اكبر على النيل فهي له مذّخر ويقول ان في ايام الجفاف يقلُّ مقدار ما يُلقيه نيل فكتوريا من الماء الى البحيرة فينحسر ماؤها الى ان تجيء الامطار ويعود النيل بمدّه كالمعتاد صابّاً فيها . اقول ولا ارى فلكن الا متجاوزاً مغالياً في مبلغ اثر نيل فكتوريا في البحيرة فانهُ غير ثابت ان فيضها وغيضها

الجذب على نيل فكتوريا عند مصبهِ تقرب من التعادل من كل الجهات ولا تشاهَد للنهر سيلة يجري بها الى بحر الجبل الاّ على كيلومترات عن نقطة مقترنهِ بالبحيرة وتكون تلك البحيرة حينئذٍ قد تضايقت كثيراً وقلت سعتها . ولم يهتدِ اولو الامر الى الآن الى استطلاع وجه العلاقة والنَسَب بين ما ينسكب في البحيرة وما ينطلق منها من الماء في اثناء فصل الغيث يوم تكون البحيرة والنهر في اقصى مدّها ولا علم لنا الاّ باليسير مما يتماق بدرجة مائها شيء تلقيناه عن الروّاد وهم تعلّموه من امم تلك الاصقاع فليس لذلك من مقياس يُهتدى بهِ وكل تعليلٍ من هذا القبيل ما هو الاّ حدسي وتخميني [١] . خذ سنة ١٩٠٣ مثلاً فهذه لم يتصل بنا عنها من المعلومات فيما يختص بالبحيرة الاّ شيء قليل هوَ ناقص غير سديد لكنهُ يؤدي الى تخمين جُمام الماء المنصبّ الى البحيرة في تلك السنة وهذه المعلومات اخرجها المستر بُرْدَج احد رجال

يكون مبلغها بنسبة ما يجلبه النيل اليها من الماء فان مقدار ما تبخّرهُ يتجاوز مقدار ما ينصرف منه اليها فالتبخير اذاً هو علة هذا الاختلاف في مناسيب سطحها . والقضية المسلمة ان للبحيرة اثراً لا ريب فيه على النيل وقد لا يكون العكس بالعكس الاّ في النادر الأندر

(١) ان مناسيب النيل المأخوذة عن مقياس وادلاّي هبوطاً وارتفاعاً في مائه لا يتأتى ان تكون مطابقةً لمناسيب الهبوط والارتفاع في البحيرة ولو ان المقياس المذكور ليس الاّ على اربعة وخمسين كيلومتراً فقط عنها لان قطعة النهر الواقعة بينها وبينه ينجلب اليها انهار شتى يكون من مائها ارتفاع في المقياس وربما كان ذلك مثله في ايام الجفاف ايضاً على ان درجة المياه في البحيرة تكون في الغالب أحطّ منها في النهر . فهذه سنة ١٩٠٢ سنة الجفاف القامع كانت درجة مياه النيل فيها بذلك المقياس ستة وثمانين سنتيمتراً وفي سنة ١٩٠٣ وهي سنةٌ جاء سيلها جارفاً كانت درجة الماء فيهِ متراً ونصفاً بينما انها في البحيرة كانت في العام الماضي على ما رواه المستر بُرْدَج ثلاثة وثمانين سنتيمتراً بمعنى انها أحطّ من درجة مقياس وادلاي بواحد وستين سنتيمتراً

نظارة الاشغال العمومية في اوغندا فانهُ تعهَّد البحيرة مراراً في تلك السنة وقال انهُ اطَّلع منسوبها عند بتيابو فاذا بهِ في العشرين من اكتوبر أعلى منه في ابريل بقدر قدمين وعقدة ونصف (اي ثلاثة وثمانين سنتيمتراً) . أقول ولا أرى هذه الرواية سديدة تامة المغزى فليس فيها ما يثبت ان ما بلغهُ المنسوب في شهر اكتوبر كان منتهى الارتفاع في خلال تلك الفترة . وايضاً بما ان مقياس وادلاي قد بلغ أبعد ارتفاعهِ في ذلك الشهر فلا غرو ان تكون البحيرة قد بلغت حينئذٍ منتهى فورتها . ولذلك نقول ونحن بقولنا على بعض الثقة ان مقدار ما كان مذخراً في البحيرة من الماء في سنة ١٩٠٣ من دون ما يتصاعد بالتبخير وما يستمدهُ بحر الجبل منها ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسة وثلاثين مليون متر مكعب باعتبار كون مساحة البحيرة اربعة آلاف وخمسمائة كيلومتر مربع

قلنا فيما قبل ان ليس لما يقع من الامطار في مغيض بحيرة البرت احصاء معلوم والمظنون انه لا يكون اقل مما يقع في مغيض بحيرة فكتوريا وربما كان اغزر منه لان قسمي تورو وأنيورو يُمطرَان مطراً اغزر مما في أغندا حيث يكون متوسطهُ في السنة بحسب مقياسي عنتبي وناتيتي متراً وعشرين سنتيمتراً في السنة في بَرهة من الدهر قدرها اربع عشرة سنة . ولقد تبين من خريطة الامطار التي وضعها السر هري جونستون والحقها بمؤلَّفهِ عن بلاد أغندا[1] ان مطارح السيل الشرقية وقسم من مطارح السيل الغربية لبحيرة البرت تندرج في منطقة الغيث ويبلغ مقدار امطارها جميعاً من اربعين الى ستين عقدةً في السنة . اما وادي سملكي فهو يجعل شِقهُ الاعلى (وهو النصف الجنوبي) في منطقةٍ تجوز امطارها ستين عقدة واما الشق الشمالي والساحل الشمالي الغربي للبحيرة فهما في المنطقة التي يختلف مقدار الامطار

(١) كتاب مستعمرة أغندا مطبوع في سنة ١٩٠٣

فيها من بين عشرين الى اربعين عقدة[١] وعلى ذلك يصحّ ان يقال ان معدَّل ما تدره السماء في عامة مطارح سيل سملكي وبحيرة البرت لا يكون اقل من خمسين عقدة أي متراً وربعاً في السنة اما مآخذ السيل فسعتها اثنان وثلاثون الف كيلومتر مربع تكاد تكون كلها غابات وغياضاً وادغالاً متشابكة ملتفة وعلى ذلك لا يكون حائر الماء اي ما ينساح منه على وجه تلك المضاجع اكثر من ربع مقدار الامطار بمعنى ان مقدار ما يدخل البحيرة من ذلك يكون يقدر خمسة وعشرين بالماية من متوسط تلك الامطار. فيكون ما ينصبّ في البحيرة من منطقة مآخذ السيل بقدر ٢٧٥٠٠ × ١ر٢٥ × ٠ر٢٥ ومقدار ما يقع في جوفها من الامطار بقدر ٤٥٠٠ × ١ر٢٥ · ذلك يعادل اربعة عشر الفاً ومائتين وتسعة عشر مليون متر مكعب · هذا ومتوسط تصرُّف بحر الجبل بمقياس وادلاي بحسب ما استخرجه المستر كُرَيج[٢] يبلغ سبعمائة وتسعة وستين متراً مكعباً في الثانية. ذلك يعادل اربعة وعشرين الفاً ومائتين وخمسين مليون متر مكعب في السنة. قلت ان مقدار ما اشتملت عليه البحيرة من الماء في سنة ١٩٠٣ ما خلا ما تصاعد منها في الجو بخاراً وما اندفع في النهر كان في سبعة اشهر من السنة ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسة وثلاثين مليون متر مكعب[٣]. ويُعلم من حسابات المستر كريج المذكور ان تصرف نيل فكتوريا

---

(١) لم يبين السرهري عمَّن اخذ عنهم معلوماتهُ وبما ان هذه المعلومات مدرجة في كتابهِ فقد اثبتناها ايضاً في هذه الحاشية

(٢) راجع الملحق التاسع

(٣) ربما كان ذلك اقل من الكل والتعليل انهُ ولو ان يناير وفبراير شهرا يبس وجفاف اطراداً لكن نوفمبر ودسمبر هما شهرا سيول طافحة لا سيما منهما نوفمبر ومع ذلك ليس في وسعنا من الوسائل ما يوقفنا على مقدار الضميمة اذا كان ثمَّت ضميمة ناشئة عن سيول هذين الشهرين . اذاً لا بدَّ من اعتبار مشتمل البحيرة بالمقدار الذي اوردناهُ

يكون متوسطه سبعمائة وستة امتار في الثانية او اثنين وعشرين الف ومائتين وخمسة وستين مليون متر مكعب في السنة وهاك بيانه

١٤٢١٩ مليون متر مكعب في السنة زيادة ناشئة عن السيول

٣٦٤٨٤ ١٢٢٦٥ مليون متر مكعب في السنة زيادة يسوقها نيل فكتوريا

٢٤٢٥٠ ينزَّل منهُ مقدار ما يستمدهُ النيل

٢٧٩٨٥ ٣٧٣٥ ثم العلاوة الفاضلة في سنة ١٩٠٣

٨٤٩٩ مليون متر مكعب وهو مقدار البخار المتصاعد من الماء فهو يبلغ زهاءَ ستين بالمائة من مقدار الزيادة التي تنشئها السيول والانهار جميعاً ما خلا نيل فكتوريا . ثم اذا لم يُعتد بتصرف نيل فكتوريا وتصرف بحر الجبل (وهما تصرُّفان يكادان يتساويان مقداراً) فيكون التقدير كما يأتي :

١٤٢١٩ مليون متر مكعب في السنة زيادة ناشئة من السيول

٣٧٣٥ مليون متر مكعب في السنة العلاوة الفاضلة

١٠٤٨٤ مليون متر مكعب مقدار الفرق . فيكون ما يفقد بالتبخير من ستين الى سبعين بالمائة من المياه الرامية الى بحيرة البرت . واعلم ان عامة هذه الاحصاءَات ما ركنها الاَّ التخامين ولكنها مثل احصاءَات نيل فكتوريا لها بعض الاساس وهي في حد نفسها ذات فائدة تذكر

وتتمة ما نقوله في هذه البحيرة ان مساحتها قد انتقصت ومناسيبها قد هبطت عما كانت عليه في الازمان الغابرة . فما لا خلاف فيه ولا نزاع ان يمها كان من قبل منفرشاً في سعةٍ افسح مما في عهدنا وسطحه ارفع . اما مقدار الارتفاع فغير ميسور تعيينهُ . ثم ان البسائط الابليزية المنفسحة جنوبي البحيرة وشماليها كانت في سالف الازمان مخبوَّةً والماءُ يغمرها واما بسائط الساحل الشرقي فمفروشةٌ ببواقي الصَدَف وآثار الرواسب المائية

بينة فيها [١] . فنؤكد اذاً ان مياه البحيرة كانت مرةً تحف بالصخور المحيطة بهـا في عامة طولها لكن غواطس تلك الصخور لم يقم الى الآن دليل على مقدارها . فمن هذه الحيثية يكون ساحل بحيرة البرت وساحل بحيرة البرت ادورد على تباين بالصفة وذلك بان تلك الرواسب بساحل بحيرة البرت ادورد توجد في اعالي الصخور المستديرة بها . وصُبرة مايقال في بحيرة البرت ان مياهها كانت قبلاً تغطّي البسائط الشرقية الى حد الآكام ويقتضي من ذلك ان يكون منسو بها في ذلك الحين أعلى منه في هذه الايام بقدر ستة امتار في الاقل. ذلك دليل اكبر على ان البحيرة كانت تستطيل صوب الشمال وربما بلغت في استطالتها مَسارعَ وجنادلَ نِيمولي وليس للنهر مضيق عند نقطة خروجه من البحيرة وهو في جمهور مسافته من مخرجه الى الشلالات يمرّ بين جرفين قليلي الارتفاع مادتهما طين الابليز [٢] وفي مواضع من سيره تتقارب منهُ حزون الارض وأنجادها على الجانبين حتى تكاد تماس جرفيه فيتضايقا لكن تضايقهما لا يكون له مدًى بعيد فلا يلبث مسيل النهر ان يفارق هذه المضايق حتى ينفسح فوراً وينساح مستبحراً فيكون منهُ بطيحةٌ بعيدة المسافة مستقربة الجانبين ضحلة الماء . وقد يحار الذهن في انتحال السبب الداعي لهذا الهبوط في المناسيب فانك لا ترى في تلك المواضع معالم تدل على حواجز اعترضت في طريق النهر فاخترقها مجراه او تجرفاً حدث في ارض مضجعه او تآكلاً اصاب جرفيه فالامر على خلاف ذلك . فان جريتـهُ خفيفة فاترة ومجراه فسيح هادئٌ ليس له حِسٌ وهو يسير في سمت الشمال. وما ادراك ان مقادير الامطار المتساقطة الى مسيله في الايام الأُوَل كانت اغزر بكثير مما في ايامنا وان بقعة الرقارق التي كانت فيما مضى مولد البخار وهي اليوم سهل تربتهُ

(١) مدرّجات هذه البسائط عليها علامات المناسيب التي استقرت عندها المياه

(٢) يعرف عند العامة بطين ابليس وهو طين تجرّفهُ المياه من علوٍ (المعرب)

غريلية سمينة لابدّ ان كانت أيامئذٍ واسعة الاقطار. ولا يبعد ان يكون ذلك هو السبب الاصلي للانحسار وان قوة التبخير قد استظهرت على مجموع المياه الرامية الى البحيرة فحدث من ذلك هبوط تدريجيّ فيها على هذه الصورة.

والامر الذي لا شبهة فيه ان مياه البحيرة في فترات قريبة العهد قد تناقصت. قال امين باشا في كلامه على الساحل الغربي انه في سنة ١٨٨٥ رأى بعينهِ في سمت جنوب الجنوب الغربي عن بلدة مهاجي جزيرة قائمة في البحيرة ناشزة عن سطحها بقدر مترين وفي سنة ١٨٧٩ كان في تلك النقطة منفسح من الماء قريب الغور. ولقد بحث استلمن في هذه المسألة مسترسلاً فيه بعض الاسترسال وكان قد تعهد الطرف الجنوبي الغربي للبحيرة في عام ١٨٩١ [1]. قال بأن المياه كانت في السابق أعلى مما هي اليوم وكانت في القِدَم تلامس جسوم الهضاب [2]. وفي اعتقادهِ ان هبوط سطحها لا علاقة له بالانقلابات الدورية الحادثة في طائفة من السنين في كافة البحيرات التي في اواسط افريقيا [3]. ذكر في روايتهِ جزيرتين في الضفير الغربي وهما راسنيَسي ونيامَسّنسي قال انهما كانتا في ذلك العام انفين من البر ويوم جاءهما استلمن كانت المياه تحيط بهما من جميع الجهات. ثم قال مستدركاً برواية امين باشا ان منفسحاً من الرقارق شوهد في سنة ١٨٧٦ على مقربة من جزيرة تنغورو في طرف البحيرة الشمالي كان اصحاب الزوارق من أناسيّ تلك الاصقاع

(١) انظر الكتاب المعروف « مع امين باشا في قلب افريقا » (برلين)

(٢) طالع الكتاب المتقدم ذكره - يريد امين باشا ان الارتفاع كان نحواً من ستة امتار على الساحل الشرقي

(٣) كانت مياهُ البحيرة فيما قبل سنة ١٨٩١ توالي الانحسار غيضاً وفي تلك السنة عاودت مدّها فيضاً لحدّ سنة ١٨٩٦ فعادت حينئذٍ الى انحسارها. وهذا التراوح بين هبوط وصعود يضاهي تراوح بحيرة فكتوريا ولا ريب في ان هذا الاختلاف إسّه السيول الدورية

يركبونهُ بغير عناء . ولما جاءت سنة ١٨٨٠ اصبح ذاك المنفسح عَرَمةً اي جرفاً من الرمال[١] . ثم ذكر جزيرة أخرى قال انها كانت في عام ١٨٨٦ منعزلة عن الساحل وما اتت سنة ١٨٩١ حتى اضحت شناخاً او أنفاً ناذراً عن سطح البحيرة بقدر مترين . ثم افضت به الرواية الى ان قال حدثني امين باشا قال رأيت خطاً مرقوماً على صخور الساحل الغربي يدل على ان منسوب المياه كان مرةً أعلى منهُ في عام ١٨٩١ بمترين الى ثلاثة امتار

فيعلم مما بسطناهُ ان مياه البحيرة قد واقعها انحسار في بَرهةٍ من السنين تقع من بين سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٧٩١ لكن ليس من دليل على ان الانحسار يكون مكيثاً مستديماً فالخبر الذي استجليناه يدل على عكس ذلك. اما الامر الذي لا خلاف ولا ريب فيه انما هو ارتفاع قاع البحيرة كل يوم بالجُفَاء الطيني الذي تنفيه مجاري المياه اليها والشيء ظاهر في العيان عند طرفها الجنوبي حيث المناقع الرحيبة التي كانت في السابق بطيحة وهي اليوم رقارق مستنقعة لا غور لها واقعة على منكبي نهر سملكي الادنى ومثل ذلك ماتراه في اقطار مصب نيل فكتوريا واقل منهُ في مصاب الانهار الرامية اليها من الطرف الشرقي رُكم نازعة الى الاندفاع في جوف البحيرة على التوالي والطبقات الطينية الابليزية تُطبّق ارضها فتغشاها . قيل ومثل ذلك تحدثهُ الانهار التي ترمي اليها من طرفها الغربي[٢] ولا غرو فان كل رائدٍ

(١) قال جفصن ان تنجورو كانت في سنة ١٨٨٦ جزيرة لكنهُ تعهّدها في ابريل سنة ١٨٨٨ فاذا بها قد اقترنت بالبر وبينها وبينهُ برزخ متضايق السعة يكون عن سطح البحيرة بقدر متر واحد ونصف ارتفاعاً وهو يؤكد ان جرم هذه الجزيرة يتعاظم بانحسار ماء البحيرة — راجع الكتاب المعروف « بأمين باشا » (لندن سنة ١٨٩٠ لِمُنتيني جفصن)

(٢) شاهد جروجنْ الرقارق الذي يمتد مسافةً بعيدةً في قادمة كل نهر يرمي الى البحيرة . وقد اورد فلكن وجفصن كلاهما امثلةً وشواهد على مزاحمة هذه الركام للبحيرة

تعهد البحيرة تنكشف له هذه الحادثة فيراها عياناً وهي حادثة دائمة استمراراً يكون منها على ممرّ الزمن ارتفاع قاعها كلهِ فيقرب غورها على نسبة ذلك الارتفاع . هذا واما مقدار مدّ البحيرة وغيضها في مدار السنة فالمعلومات في شأنهما قليلة . وعن السر صمويل ان جملة نهضة المياه فيها تكون اربع اقدام اي متراً و ربعاً لكن المستر ولسن وكيل ادارة أُغندا الخرج عن أنابي تلك الاقطار خمس اقدام اي متراً و واحداً وخمسين سنتيمتراً . وفي شهر مارس سنة ١٩٠٣ شوهد مَعلَم الفيض لدبيرتها (سنة ١٩٠٢) فكان قدماً اوخمسين سنتيمتراً فقط و ربما كان ذلك مَعلماً لطائفة من السنين التي توالى فيها الجفاف مبتدئاً من سنة ١٨٩٥ . وقد تقدم ان مقدار الفورة بلغت في سنة ١٩٠٣ ثلاثة وثمانين سنتيمتراً ولقد تعدُّ تلك التباينات مستقصيات بين سنين وفرَ سيلها وغمَر وسنين قحطت امطارها



